بعدها، عبر المدينة، توجهنا إلى أحد المتاحف حيث يقام معرض للتصوير... أدينا الصلاة واتجهنا إلى مقهى يطل على المحيط، ودخلنا في حوار خصب حول الأدب الإسلامي، أداره الأخ الأديب محمد إقبال عروي... غادرناه إلى المقر الجديد لجمعية الإصلاح، حيث كان ينتظرني مجموعة من الأساتذة المعنيين بالفكر والأدب، وطلبة الدراسات العليا واثنتان من الأخوات... كان الترحيب والتقويم يفوق الوصف... والكلمة التي ألقيتها حول استراتيجية الأدب للمرحلة القادمة كانت محكمة متدفقة بحمد الله...

بعدها طلبت التعريف بأنفسهم... فكان كل واحد منهم يضمّن حديثه التأكيد على تلقيه عن كتاباتي، ويقوّم دوري الريادي في حركة الأدب والفكر الإسلامي إلى آخره... من كلمات التقويم التي أعجز عن الإلمام بها... بحمد الله وحده... وكانت الكثير من الرسائل تعالج أعمالي الأدبية والفكرية لمرحلتي الماجستير والدكتوراه... بعدها عرّفت بحياتي الشخصية بإيجاز، ثم استمر الحوار إلى ساعة متأخرة... تناولنا بعده العشاء وودعنا بعضنا، وأقلتني السيارة إلى الفندق وسط حالة من التشتت بسبب ضرورة التهيؤ للمغادرة غدا على بركة الله، وكثرة الكتب التي حملت بها، رغم حذري...

الاثنين ١٠/١١: استيقظت بعد نوم متقطع، في الخامسة صباحاً، وانطلقت مع الدكتور الدريني والدكتور إبراهيم بسيارة الإيسسكو في رحلة طيبة إلى المطار... كنت أحسّ بارتياح متجاوزاً كل قلق... في الصالة قضينا أكثر من ساعة وبعدها انطلقت بنا الطائرة في رحلة الساعات السبع إلى عمّان...

[٢٣]

رحلة عام ١٩٩٥ م إلى قطر

الأربعاء: ٣/٨: الانطلاق بالحافلة إلى عمان... تأخر الحافلة ومتاعب الانتظار... تعقيدات التفتيش في طريبيل... الارتياح للوصول صباحاً.

الخميس: الاكتئاب المركّز والمعتاد لدى الوصول... تاكسي إلى الفندق...

التشتت ثم الإمساك بالموقف... سيارة إلى المعهد... قلق بسبب كثرة المطالب يقابله ارتياح لإنجاز العديد منها... مع الدكتور محمد زكي محمد خضر في جولة لدى الناشرين، وتثبيت الحجز على العودة... الرجوع إلى المعهد واتصالات ناجحة بالدوحة للإعلام بموعد الوصول... وبالموصل لطمأنة زوجتي... حوار حول النظام المعرفي... غداء... إنجازات أخرى مع ماجد أبو غزالة، وتصفية العديد من المكالمات وإحساس بالارتياح... دعوة عشاء في دار الدكتور فتحي الملكاوي... حوار طيب... ثم عودة إلى الفندق... جلسة في الصالة ونومة مريحة...

الجمعة: اتصالات هاتفية وتصفية مطالب أخرى... التوجه مع الدكتور محمد زكي إلى موقف باص المطار... تأخر في انطلاق الطائرة... ساعات طيبة في مطار البحرين... السوق الحرة... تناول الطيبات في صالة ركاب الدرجة الأولى... تأخر آخر لدى إقلاع الطائرة... الوصول والتعرف على المستقبلين... التوجه إلى فندق الدرجة الأولى.

السبت: تناول الفطور مع ولدي الروحي مصطفى طه وأحاديث شتى... سيارة إلى الوزارة... استقبال حافل... لقاء بالعديد من المعارف... جولة في الدوحة... العودة للفندق... ومجموعة من البوارد والنساتل من الكواري مسؤول وزارة الأوقاف... غداء لذيذ في مطعم الفندق... قيلولة ثم استيقاظ على الكآبة والتشتت... متاعب الفتقة تتواصل منذ الصباح دون انقطاع... تدفق الهواتف... ارتياح لحسم مكالمة زوجتي... زيارة لغرفتي يقوم بها عدد من الأخوة الشيشانيين... جولة قاسية مع متاعب الفتقة في شارع الفندق والاضطرار للعودة... زيارة لعميد كلية الشريعة وأحد الأساتذة...

والكواري يحلّ العديد من المطالب المعلقة ويعرض بعضها على الضيوف ويعد بإنجازها... ارتياح عميق للتحرر منها... أمسية طيبة في بيت أبي ياسر وحوار في أمور شتى بحضور الشيخ القرضاوي والدكتور القره داغي في جو

ماطر... تدفق في الحديث عن العلاقة بين الكرد والعرب عبر التاريخ الإسلامي... عودة للفندق ونومة عميقة.

الأحد: استيقاظ على اكتئاب مركّز يثير دهشتي... زيارة للأخ أحمد رمضان وتكليفه بتهيئة الأدوية الضرورية المفتقدة في العراق ووعده بالتنفيذ... السائق ينقلني إلى رئاسة المحاكم الشرعية... استقبال حار وقهوة لذيذة... التوجه إلى الوزارة وحوار مع الشاعر أحمد الصديق... جولة في الدوحة لدى الذهاب لزيارة القرضاوي...

استقبال حار... وإهداء كتب... وحوار متمكن... أداء صلاة الظهر والعصر... جولة أخرى لدى التوجه لدار وكيل الوزارة تلبية لدعوة على الغداء... أحاديث ممتعة وغداء لذيذ من السمك والرز والدجاج... حوار حول قضايا معلقة مع عمر حسنة... العودة للفندق وقيلولة يقطعها هاتف مصطفى يعلمني فيها أنه يجب أن يراني... محاولة للعودة للنوم دون جدوى... وصوله وهو يقول أنه جاء بأخبار مؤلمة وأخرى طيبة: سرقة كتابي (التفسير الإسلامي) من قبل أحد الإيرانيين تثيره مجلة الحياة اللندنية... فصله من العمل وطلب وساطة مع الكواري... وفاة الكيلاني... مجموعة من المجلات والجرائد تتضمن مقالات لي أو عنّي... ترتيب موعد لحل الأمور المعلقة مع دار الثقافة... زيارة مبيّض وابنه... زيارة الكواري واثنين من ندوة الشباب القطري، وترتيب أمور الأمسية الشعرية مساء الأربعاء...

التوجه بسيارة الكواري إلى الجامع الكبير... قلة الحضور تدهشني!!... تقديم سخي عني ينفذه الصديق... البدء بالمحاضرة بقدر كبير من السيطرة لولا الانزلاق بين الحين والحين باتجاه السرعة... ارتياح عام بسبب استكمال معظم مفردات المحاضرة وتقبلها بترحاب... جملة من الأسئلة بعد الانتهاء منها... لقاءات ودية مع الحضور وعدد من الزملاء.. العودة للفندق بمعية الكواري ومصطفى، وارتياح لاستعداد الكواري التوسط لعمل مصطفى. يعود

معنا أيضاً محمد رمضان والصديق وعمر عبيد ورأفت السيد وطالب الماجستير والباحث أبو عمير... قلق وعدم ارتياح بسبب ما تصورته خطأ مع رمضان...

رأفت يطلب عناوين مؤلفاتي في السيرة... أتبين أن عدداً من الأساتذة السوريين في جامعة قطر اعتزموا ترشيحي لجائزة فيصل... أعلن رفضي للترشيح لسببين... ومن وراء الرفض إحساس قاسٍ بالندم والتضييع، وأقول في نفسي لو لم تجدد الجروح... فإلى متى؟... أنغمر في حديث عن اختيار موضوع للدكتوراه لأبي عمير... وترتيب موعد مع حسنة للحديث حول سلسلة كتاب الأمة...

وعبر الأمسية أتلقى مكالمة من أحد الإعلاميين لتثبيت موعد لغرض تسجيل حلقتين تلفزيونيتين، أوافق على إحداهما وأطلب تبديل موضوع الأخرى... وثمة مكالمة أخرى من أحد القضاة الشرعيين يصرّ فيها على دعوتنا على العشاء يوم الخميس... وثمة دعوات أخرى ليومي الثلاثاء والأربعاء في دار مبيض والقره داغي... الإحساس بالجوع وطلب عشاء لذيذ من السندويج... وقرار بمواصلة العمل حتى ساعة متأخرة من الليل فيما يذكرني بأيام عمان إياها... أكتشف أنني لم أدون شيئاً من المذكرات، فأسارع لكتابتها خشية نسيان التفاصيل وأحسّ بارتياح عميق... أقرأ في عدد من الصحف والمجلات وأشرب البارد وأسلم نفسي للنوم.

الاثنين: أستيقظ مبكراً رغم عدم ارتباطي بموعد مبكر... أتذكر قضية الترشيح للجائزة، فتصفعني كآبة مركزة، ومع الترشيح قضية زيارة مدير الجامعة... أحاول أن أغفو فلا أستطيع... بعد الفطور تزحف الغيوم وتسقط أمطارٌ هائلة في عنفها وغزارتها... المنظر رائع جميل ولكن النفس مترعة بالهموم والقلق... أصل حدّ القرف... وأقول في نفسي إنها رحلة رائعة لولا رباعية الفتقة، وزيارة مدير الجامعة، وتجدد إغراء الترشيح للجائزة، والندم على عدم الإتيان بالوصفات الطبية لكي يدبرها لي أحد الأصدقاء مجاناً وبسهولة بالغة...

يجيئني مندوب عن صحيفة (الراية) يجري معي لقاءً صحفياً عن التاريخ والمنهج والأدب والنظام العالمي ونهاية التاريخ. أتدفق في الإجابة وأقول في نفسي لولا المنغصات إياها لازددت إبداعاً وتوافقاً... ولكن مكتوب عليَّ الدخول في قنوات الحيرة والندم والتردد، والتي أصبحت لا أطيقها، وأنتظر اليوم الذي أرجع فيه إلى بلدي لكي أتحرر من كل شيء... أنزل إلى الصالة لتهيئة خطوط عريضة لسيمنار يوم غد مع أساتذة القانون والشريعة، والمطالعة في الصحف والمجلات... أتناول غداء شهياً في المطعم، ولكن النفس المنقبضة التي يزيدها التنغص للزوجة والأولاد اكتئاباً يحيل الوجبة إلى عذاب... أصعد لأنام فلا أستطيع، وأنهض لكي أتهيأ لموعدي مع مصطفى لأغراض المسواق...

أناقش في أصول بحث عن مالك بن نبي ونتجه إلى السوق... اشتري العديد من الحاجات المطلوبة فأحس بارتياح عميق... نتجه إلى دار الفتح وأعرض همي على المبيض بصدد الجائزة فلا يعطيني المطلوب، رغم أنه يشير إلى ترجيح التبرع بالمبلغ كحل وسط... أحسّ بقدر من الارتياح لأن المحصول الكبير في كل الأحوال لن يكون لي... نتجه إلى بيت مصري مثابر ليعرض علينا محاولاته التوثيقية النادرة... نخرج بعدها لاستكمال المسواق فيمنعنا ارتفاع مستوى الماء في الشوارع... نتجه إلى دار الثقافة في محاولة لتصفية الحسابات المعلّقة... أتسلم مبلغاً هزيلاً، وأقنعهم بإمكان تسليمي بقية حقوقي لكي لا يظل معي أي ارتباط بالموجودات المتبقية... يدعونا الأخ المصري إلى وجبة فول فأطلب سندويتشاً وأرجع إلى الفندق لأجد تأكيداً لدعوة أحد الشيوخ على الغداء يوم غد... ومكالمة من رمضان... أتصل به وأطلب منه نوعين آخرين من الدواء فيعدني خيراً...

يجيء زرزور وأستاذ من الشريعة لزيارتي... أقضي معهما وقتاً طيباً في الغرفة في حوار شيّق... نتفق على صيغة ذهاب جماعي لمدير الجامعة... وأعرض عليه ترددي بصدد الترشيح للجائزة وامتناني لوفائه وترشيحه إياي... نتفق على مناقشة الموضوع في لقاء آخر... أتصل هاتفياً وبعد تردد بالدكتور

الشجاع في صنعاء، وأعرض عليه نتائج محاولاتي ورغبتي في تلقي دعوة جديدة على الشهر الحادي عشر أو الثاني عشر... فيرحب ولكنه يقول إنه لن يكون بمقدوره إرسالها قبل بدء الدوام في الشهر العاشر... أقفل السماعة فتلفني الحيرة كرةً أخرى: إن الدعوة لن تصلني بالبريد قبل أقل من شهر، ومعنى هذا أن المدة المتبقية للمعاملة لا تكفي وسأبدأ رحلة أخرى مع العذاب... أتجه إلى المنضدة لتصفية أكداس من الأوراق والمطالب المعلقة، وأعمل كيوم أمس حتى ساعة متأخرة من الليل.

الثلاثاء: الاستيقاظ المترع بالكآبة كالعادة... قلق بصدد تأخر الدكتور الذي سيوصلني إلى الجامعة لمقابلة المدير ولقاء السيمنار... اتصالات هاتفية ثم مجيئه... الانطلاق مسرعين إلى الجامعة... التوجه إلى غرفة الأساتذة لاصطحابهم يؤخرنا دقائق أخرى عن الموعد... استقبال حار من الأساتذة... التوجه إلى المدير... دقائق كانت كافية لمفاتحته في الموضوع الذي أقلقني كثيراً ثم تبيّن ألّا مبرّر للقلق... ثم التأكيد على تقديم المعونات العلمية على مستوى النشريات والأجهزة لجامعة الموصل... لم أتحدث في أية مسألة أخرى حتى بصدد تبادل الأساتذة...

غادرنا المكان وأنا أحسّ رغم اختياري الموقف الصحيح تماماً بانقباض ليس بالقليل... نتجه إلى قاعة السيمنارات الفخمة المعدة إعداداً جيداً... يقدمني دكتور جمال عطية تقديماً سخياً، ثم أبدأ بإلقاء محاضرتي عن منهجية علم الشريعة إزاء التحديات بتمكّن تام وسيطرة كاملة على الأداء، وأتلقى تقييماً لدى تعقيبات الحاضرين من الأساتذة وإحدى الدكتوراة... وعدداً من الأسئلة أجيب عليها بتمكّن هي الأخرى...

أغادر القاعة وأنا أحسّ بارتياح عميق... دقائق لشرب الشاي والحديث مع مدير الجامعة السابق وعدد من التدريسيين... الدكتورة تطلب لقاء بالمدرسات وأعتذر بسبب زحمة أعمالي... لكن أحد الموجودين يذكرني بإمكان اعتماد الفترة بين (١٢ ــ ١)، فأجدها مناسبة وأتفق على الموعد، ثم أتجه مع أحد

الأساتذة إلى دار الشيخ عبد العزيز مساعد رئيس المحاكم الشرعية لتناول الغداء... وأُستقبل بحفاوة بالغة جاوزت كل حد... القرضاوي كان أحد الموجودين... نتناول غداءً سخياً ولذيذاً... ألتهم بعده قطعة مانجو كبيرة... العديد من أصحاب الداعي يتسابقون إلى تقديم ما أشتهي..

لحظات أحسّ فيها أنني أمارس التحقق الضائع... يزيدني تحققاً ـ لدى العودة إلى غرفة الضيوف لتناول البخور والقهوة والشاي ـ أنهم يطلبون مني قراءة إحدى قصائدي يسبقهم إلى الطلب القرضاوي... فألقي قصيدة (المحطات الأخيرة) بعد أن أقدم لها... أطلب من القرضاوي ومن كان شاعراً إلقاء قصائدهم، نستمع إلى اثنتين وسط أجواء يسودها الانسجام والمحبة... نودع المدعوين وأعود بصحبة أحد الأساتذة إلى الفندق.. لا أستطيع أن أنام فأنهض قائماً لكي أستكمل بعض الأمور المكتبية.. وأتصل هاتفياً برمضان لاستكمال مطالب الأدوية والاتفاق على صيغة لإرسال وجبات أخرى بعد تزويده بالوصفات التي أخطأت فسلّمتها في عمان...

أحسّ بارتياح... يجيء مصطفى وندخل في حوار حول جملة أمور، ويعرض عليَّ عناوين العديد من المجلات التي يمكن أن أكتب فيها مستقبلاً، ويطلعني على صحيفة الشرق التي تناولت تقريراً عن محاضرتي ليوم الأحد... يجيء الكواري وأسأله عن الأمور المعلقة فيعدني بأنه سينفذها جميعاً... نتجه إلى أحد الجوامع لأداء الصلاة ومنها إلى النادي الأهلي... بناية رائعة تتضمن كل المرافق الخدمية... كنت أحسّ بارتياح عميق بسبب تخففي من مسألة زيارة مدير الجامعة، والأكثر من ذلك بسبب ميلي لعدم الترشيح للجائزة... نتجه إلى قاعة المحاضرات... قاعة فارهة مترعة بالأضواء... لم يكن الحضور كبيراً لكنني ما أن بدأت محاضرتي بالطريقة المتأنية المحكمة التي طالما حلمت بها حتى بدأ المدعوون يتدفقون على القاعة بما فيهم الدكتور القرضاوي فشجعني ذلك على المزيد من الإبداع...

وما ألبث أن أنجز واحدة من أكثر المحاضرات التي ألقيتها في حياتي

نجاحاً بفضل الله... أعقبها سيل من الأسئلة المكتوبة بإخلاص... أجيب عليها بالتمكن نفسه واحدة بعد أخرى، ثم ينتهي اللقاء ويتدفق عليَّ الحضور مصافحين ومهنئين... كنت أحسّ بسعادة بالغة، خاصةً وأن ذلك كله جاء في أعقاب إحساسي بالتحرر من قضية المقابلة ومصيبة الترشيح...

أتجه مع الكواري إلى حيث دعينا إلى العشاء في بيت أستاذ قطري... تقدم منا أحد الحضور وطلب ترتيب لقاء مع مجموعة من المثقفين فاعتذرت، ولكن الكواري أقنعني بإمكان إيجاد فرصة مناسبة... نتجه إلى الدار وسعادتي تزداد إيغالاً ونستقبل هناك بحرارة... وأجد نفسي وسط جمع من المدعوين أعرف بعضهم ولا أعرف بعضهم الآخر... سعيداً متحققاً...

وبعد العشاء يدور الحديث في موضوع تاريخي، ويطلب مني القرضاوي والآخرون الإسهام فيه، فأقدم كلمة بالتمكن نفسه مختاراً الموضوع المناسب... نغادر المكان بعد واحدة من أعذب الأمسيات... يتقدم مني الكواري لكي يقدم لي مظروفاً أحسست أنه مبلغ آخر... أحسّ في أعماقي بفرح غامر، رغم أنني أحاول أن أقول له أن المبلغ الأول يكفي... أعود بصحبة صديق سوري يحكي لي عن واقعة تؤكد ارتباط المملكة إياها بأمريكا فأحس بالمزيد من الارتياح لأنني وجدت دافعاً آخر للاعتذار عن المشاركة في الجائزة... أدخل صالة الفندق وأجلس، ربما لأول مرة منذ مجيئي، باسترخاء مريح في الصالة أفتح المظروف فإذا به ألفان وخمسمائة ريـال أخرى... الحمد لله... سأشتري كثيراً وسأعود بمبلغ دسم يجعلني لا أجهد في إيجاد فرص أخرى على الأقل في المدى المنظور... أخرج إلى الغرفة لكي أصفي المعلقات، وأكتب وأقرأ إلى ساعة متأخرة من الليل...

الأربعاء: أستيقظ على الاكتئاب المركّز إياه... يبدو أنه قدر لا مفرّ منه... لا أدري كيف أتذكر الموصل وأشتاق إلى مقاهيها... إلى جلسات طويلة بدون هم أو قلق أو عمل... لقد طحنتني المتجددات وعوامل القلق منذ تموز الماضي وحتى الآن... أتذكر أيضاً أنني أحتاج لعدة أيام في الموصل قبل أن أجفف

بقايا المنابع!: مقابلة رئيس الجامعة... سيمنار قسم التاريخ... وربما مطالب بيتية شتى... يجيئني الإعلامي عبد السلام البسيوني مع المخرج وكادر العمل لتصوير حلقتين تلفزيونيتين... إحداهما عن الأدب والأخرى عن السيرة... بانسجام وتمكّن وألفة وحوار خصب تعين عليه ثقافة المحاور وتمكّن المخرج... نمضي لاستكمال العمل في ثلاث ساعات لم أشعر عبرها بالإعياء أو التكلف والحمد لله... ووعدوني بإرسال الشريطين فور إنجازهما...

يتصل بي الدكتور يوسف من كلية الشريعة للذهاب إلى هناك لإلقاء محاضرة عن الخطاب الأدبي والفني على طالبات الكلية... عاملٌ جديد يتدخل فيرغمني والأساتذة الذين معي على تقديم موعد المحاضرة وإيجازها إلى عشرين دقيقة... ذلك أن ثمة دعوة على الغداء في دار الكواري في الواحدة تماماً... جلسة استقبال في الكلية مع عدد من الأساتذة ثم التوجه إلى قاعة المحاضرات... لم يحضر سوى قلّة من الطالبات، يبدو أنه ليس ثمة اهتمام ثقافي كالذي يجده المرء في العراق أو الأردن... وجدتها فرصة مناسبة للإيجاز... قدّمني الدكتور جمال عطية... تدفقت كلماتي بتمكّن تام واستطعت بسهولة بالغة وإحساس بالانسجام إيجاز المحاضرة وضغطها بعشرين دقيقة...

أغادر القاعة وأتجه والدكتور يوسف إلى دار الكواري... دقائق من الأحاديث الطيبة ونتجه إلى الغداء... آكل بشهية، ولكن سرعان ما يصيبني القرف إياه من جراء كثرة الطعام والتهام كميات كبيرة منه، تعقبها وجبة دسمة من الحلويات والفاكهة... أغادر الدار بمعية عمر عبيد، يلحقني الكواري لكي يقول بأنه سيسلمني مساء اليوم رسالة من مدير جامعة قطر إلى رئيس جامعة الموصل... أتأرجح بين الارتياح والقلق... أرجع إلى الفندق مرهقاً مشتتاً كالعادة... أحاول أن أنام فتقطع نومي ثلاث مكالمات هاتفية... أنهض قبيل الغروب فتصفعني الكآبة مرةً أخرى...

يا سبحان الله!... المنظر الذي ينفسح أمامي رائع إلى حد الدهشة: البحر والسماء والعمران والشوارع المغسولة... لكني منخور بالقلق والاكتئاب

حتى العظم... فلا فائدة... يجيئني مصطفى، أغرق معه في أحاديث شتى... أنقل عنه عناوين مجلات شتى تدفع مكافآت سخية... يجيء الكواري فنذهب بعد أداء الصلاة إلى جمعية الشباب... استقبال حار وقلة من الحضور... أصعد وأستاذ آخر في التاريخ الإسلامي من جامعة قطر... يتم التقديم السخي وأبدأ كلمتي عن قيمة التاريخ... بالتدفق نفسه والقدرة غير المتوترة على استدعاء المفردات... واحدة من الكلمات أو المحاضرات التي اقتنعت بها تماماً والحمد لله... يعقبني الدكتور ثم نتلقى أسئلة وُجِّه معظمها إليَّ، فتتم الإجابة الطيبة عليها...

يصدر مني تعليق حول مرافقة توفيق الحكيم لسارتر أيام زيارته للقاهرة، وأن ذلك لم يكن يليق بالحكيم، ثم ما لبثتُ أن حوصرتُ بندم عميق وإحساس متوهم بأن العبارة آذت الكواري وظل الإحساس القاسي يحاصرني حتى نهاية الأمسية التي قضيناها بصحبة حشد من المعارف في بيت مبيّض، حيث الحلويات الشامية اللذيذة والحوار الطيب والإحساس السعيد بالتحقق... وزادني سعادةً تلك الأحاديث التي دارت حول ضرورة عدم توظيف المفكر من قبل السلطة، وأن الاعتذار عن المشاركة بمهرجان الجنادرية بالرياض من قبل العدد من المدعوين يعدّ ضرورة بالغة، وكذا الحال ما حدث للقرضاوي في المغرب...

فأزداد اقتناعاً بالميل صوب رفض الترشيح للجائزة، ويزيدني هذا بعداً عن دائرة القلق والتردد اللعين... أغادر الأمسية بصحبة عمر عبيد... حديث مؤلم يدور عن المعهد ومصيره المتوقع... أسأله وأنا أهمُّ بمغادرة السيارة عن موقفه من الترشيح فيما لو كان مكاني فأجاب بقطع أنه يُكبر فيَّ موقفي وأن عليَّ أن أمضيَ على الطريق كما بدأت... أحسّ بسعادة غامرة وأنني رسيت على البّر الذي قاومت كثيراً للوصول إليه... أصعد إلى الغرفة مترعاً بالقلق من جراء الأعمال التي تتطلب الترتيب قبل أن أسلم نفسي للنوم...

الخميس: أذهب إلى مصرف السدّ مع السائق، وأحسّ بارتياح لإنجاز

معاملة دكتور محمد قاسم بسهولة... أتجه مع مصطفى ومحمد إلى مطعم مصري لتناول الفطور عبر جلسة وحوار ممتع... نيمّم وجوهنا صوب أسواق (العالم الجديد) لكي أجد هناك الكثير مما كنت أود شراءه وبأسعار مناسبة..

تهيج عليَّ الفتقة ولكن وبحمد الله ما تلبث الأوجاع أن تتوقف بعد وقت قصير... نواصل تجوالنا في الأسواق وشراء حاجيات أخرى... وندخل أحد السوبرماركتات المدهشة في غنى موادها وأناقة عرضها...

نتجه إلى بيت محمد وأنا أعاني من الإعياء وشيء من القلق، خشية ألا يكفي الوقت المتبقي لاستكمال المطالب... أحاديث شيقة عن المجلات وكتابة منظومة بعناوين عدد منها التي تدفع مكافآت نقدية سخية... نتناول الغداء والفاكهة، وأحاول أن آخذ قسطاً من النوم، ولكن حالة غياب النفَس تفاجئني على حين غرة وبعنف فأنهض قائماً...

نتجه ثانيةً إلى السوق، ونوفَّق في شراء بدلة مناسبة وحاجيات أخرى... نتحول إلى دار الثقافة لكي ما ألبث أن ألدغ بموقف (ناشف) من المحاسب المصري... لكنني لم أدعها تمرّ، وقمت كعادتي بهجوم مضاد أعربت فيه عن احتقاري وتجاوزي للمال... وأرغمته على تقديم الاعتذار أكثر من مرة... ولكن ومع ذلك ظل في النفس شيء من الحقد راح ينتفض بين الحين والحين...

أحوّل المكافأة إلى الدولار لدى صراف قريب، ثم نقفل عائدين إلى الفندق، حيث تبدأ ملحمة من نوع آخر: اثنان من المتابعين جاؤوا إلى الفندق عصراً بناء على موعد مسبق فلم يجداني، وليس ثمة هاتف للاتصال بهما والاعتذار عن نسيان الموعد...

جرس الهاتف يدق بإلحاح خلال صلاة المغرب يرافقه قرع على الباب... أقطع الصلاة وأرفع السماعة فلا أجد أحداً... أفتح الباب فإذا بعدنان زرزور يعلمني أنه جاء لكي يأخذني إلى بيت عمر حسنة، وأنه بالانتظار بناء على موعد مسبق، وأن علينا أن نهرع إليه بسبب ضيق الفترة بين المغرب والعشاء... كنت قد تلقيت مكالمة وارتبطت بموعد من الشابين المذكورين، وها

هما قادمان بإلحاح عجيب على طرح بعض الهموم الثقافية، وليس ثمة فرصة أخرى، فغداً سأسافر... أحاول أن أجيب على سؤالهما الأول والقلق يتآكلني وعدنان يحدّق في ساعته، وما يلبث أن يذكرني بضرورة مغادرة الفندق... أعتذر لهما وأعرض عليهما فكرة العودة للفندق بعد تلبيتي لدعوة على العشاء لدى رئيس المحاكم الشرعية مساء اليوم، فيعدانني خيراً...

أغادر وعدنان الفندق على عجل، وأتذكر فجأة أن عليَّ أن أنتظر لدقائق أخرى الشيخ الكواري حسب موعده المعتاد... ثم أقنع نفسي بالاتصال الهاتفي به من بيت حسنة... أتذكر أيضاً أن اصطحاب مصطفى دون دعوة موجهة إليه لا من حسنة ولا من رئيس المحاكم أمراً غير مقبول، فأصرفه بأدب رغم أن ذلك حزّ في نفسي حتى الأعماق... أتجه إلى سيارة عدنان فإذا بمحمد يهرع عائداً لكي يعلمني بمجيء الكواري فأتحفز للعودة، لكنه يقول إنه أعلمه أنه سيلتحق بنا على دعوة العشاء... أحسّ بندم شديد لأنني لم أقدّر مجيئه وهو الرجل المترع أدباً والتزاماً...

ننطلق بالسيارة لكي ما ألبث أن أتلقى مطرقة أخرى أشد هولاً من كل ما تلقيته من قبل... الدكتور عدنان زرزور يعرض عليَّ بإلحاح الترشيح لجائزة فيصل، ويقول بأنه وعدد من أعضاء قسم الشريعة في جامعة قطر قد رتبوا كل شيء، بما في ذلك التكتم على إعلان الجائزة، وعدم اشتراط الحضور بسبب الحالة الاستثنائية... ها أنا ذا أجد نفسي كرةً أخرى في دائرة العذاب، وأجد أحد المبررين الأساسيين للرفض ينهار تماماً، لكنني أستجيش كل طاقتي وقدرتي على التشبث بالموقف، الذي عرفت كيف أمسك به في معظم الأحيان... يقتنع الدكتور عدنان بعض الشيء لكنه يترك الأمر مفتوحاً، فهناك شهور أخرى قبل إقفال باب الترشيح... أوافقه على ذلك وفي نفسي مرارات كالعلقم...

نصل بيت عمر عبيد حسنة، وأنتهز أول فرصة لمفاتحته في الموضوع، فما يلبث أن يوافقني بحزم على رفضي، ويقول أن عليَّ أن أتشبث به، وأنني

لست كالآخرين، وأن أموراً كهذه لا مهادنة فيها... كأنه يصب ماء بارداً على أعصابي التي تكاد تلتهب، وأحسّ فجأة بارتياح عميق... بفرح كنت قد ألفته كلما اجتزت مطحنة كهذه... تمرّ الدقائق التالية وأنا سعيد... وأتناول شيئاً من الحلويات اللذيذة، ثم أسلمه أصول كتابين للنظر في إمكان نشرهما في سلسلة كتاب الأمة، فيعدني خيراً... فأزداد إحساساً بالسعادة، ونتجه سويةً إلى دار رئيس المحاكم لكي أُستقبل هناك استقبالاً قلّ نظيره من قبل كبار المفكرين والإداريين والأصدقاء... أقوم إلى العشاء لكي يُطلب مني الجلوس في صدر المكان باعتبار الدعوة على شرفي... نتناول عشاء لذيذاً، وتدور أحاديث شتى، ثم نخرج إلى المجلس المقام في الحديقة... يطلب الشيخ يوسف القرضاوي أن أتحدث في موضوع ما، وينادي بالإنصات... أقدم عبارات الامتنان للإخوة القطريين وأرسم انطباعاتي عن محبتهم... ثم ما ألبث والشيخ يوسف أن نردّ على سيل الأسئلة التي توجه بها الحاضرون.

الجمعة: حان موعد المغادرة... يجيئني الكواري ومدير متحف قطر وعدد من الأصدقاء لكي يودعوني في المطار... إحساس غامر بالسعادة والاسترخاء وأنا أجلس في الطائرة التي تقلني في رحلة مريحة إلى عمان... أمسية وعشاء في بيت حيدر قفة بمعية عبد الله الطنطاوي وآخرين...

السبت: الملكاوي يصطحبني لجامعة الزرقاء... استقبال حافل... محاضرة وحوار مع طالبات من جنوب إفريقيا يحقق نجاحاً كبيراً... تناول الغداء بدعوة من رئاسة الجامعة... العودة إلى الفندق وبعد قيلولة سريعة أتجه إلى المعهد لإلقاء المحاضرة القمة عن منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام... تقييم سخي لم ألقه في حياتي... ملكاوي الذي لا يجامل يبدي إعجابه البالغ وآخرون كثيرون... النساء يطالبن بلقاء خاص فأوافق بعد تردد... حوار وتحلق الطلاب والسائلين... تقييم وزير يمني سابق... مكالمة من أمريكا مع الدكتور طه العلواني... حوار مع الدكتور نزار العاني... العودة إلى الفندق وعمل متواصل حتى الثانية ليلاً...

الأحد ٣/١٩: الملكاوي يأخذني إلى المعهد... استكمال المطالب المعقدة والكثيرة مع ماجد أبو غزالة... الدكتور محمد أبو سل، مدير المعهد، يبدي إعجابه بمحاضرة يوم أمس ويقول أنه لم يشهد لها ولا للجمهور الكبير الذي حضرها مثيلاً... جلسة عمل أخرى مع الملكاوي بخصوص المشاريع والإنجازات الفكرية والتأليفية... محاضرة أمام عدد من الطالبات والنسوة عن العقل المسلم بتمكّن تام والحمد لله... التوجه إلى بيت عبد الله الطنطاوي بمعية الدكتور محمد زكي وحوار شيق وعشاء لذيذ وقراءة لقصيدة من الشعر... العودة للفندق والعمل المتواصل حتى ساعة متأخرة من الليل... استعداداً للعودة إلى الموصل يوم غد بإذن الله...

[٢٤]

رحلة عام ١٩٩٥ م إلى تركيا

الأربعاء: ٩/٢٠: الانطلاق المريح مع أديب الدباغ بالسيارة والجو الماطر... تأخيرات في الطريق... الوصول ليلاً... نوم مشبع في الفندق.

الخميس: التوجه إلى المعهد وإنجاز جملة من المعلقات مع الملكاوي وأبي سل... غداء ممتع... وعودة أخرى إلى المعهد لاستكمال العمل... ارتياح لقطع التذاكر والاتصال الهاتفي بالموصل... دعوة في فندق المطار...

الجمعة: رحلة مريحة إلى إسطنبول... الاستقبال الحار... الفندق... اللقاء بعبد الحليم عويس (رحمه الله)، وحل بعض المعلقات بخصوص الموسوعة التاريخية... عشاء في الفندق وأمسية طيبة مع حشود المدعوين.

السبت: جلسة في الصالة... جولة في إسطنبول الآسيوية... غداء... أمسية نورسية وعشاء... استكمال الأمسية في الفندق وارتياح لإقناع عويس بكتابة مواد أخرى للموسوعة.

الأحد: إنجاز بعض المعلقات في الغرفة... حضور حفل الافتتاح... المشرفون على الحفل يطلبون من عويس التحوّل من مكانه في الصف الأول

إلى الخلف بسبب مجيء عدد من الشخصيات... عويس يتأثر للموقف فأسعى لتداركه مع إحسان الصالحي بما في ذلك التنازل له عن إدارتي لإحدى الجلسات تطييباً لخاطره، وارتياح لحلحلة الأزمة... أمسية في صالة الفندق ولقاء تلفزيوني حول الحضارة والتاريخ... استكمال الأمسية في الغرفة لإنجاز بعض المعلقات، وإحساس عميق بالسعادة والارتياح...

الاثنين: تناول الفطور مع البوطي وعويس وآخرين... الجلسة الأولى والأداء المقنع... ارتياح لترتيب إدارة الجلسة مع عويس وإحسان الصالحي... اللقاء بالعديد من الطلبة والدارسين والأساتذة... الغداء والاستراحة ثم العودة إلى الجلسة المسائية... عرض من أساتذة في ماليزيا لزيارة جامعتها العالمية، وترتيب الأمر مع الدكتور قطب سانو أحد كبار مسؤولي الجامعة... حل معلقات أخرى مع عويس... لقاء صحفي مع جماعة من كلية الإلهيات في قونية، واعتذار عن حضور مؤتمر هناك... حديث عن العديد من كتبي المترجمة إلى التركية وترتيب الأمر لترجمات أخرى...

عودة للجلسة المسائية... أمسية في جريدة الزمان... الإحساس بالغثيان عبر الطريق الطويل... العشاء... ودعوة لمؤتمر في إسطنبول عن البوسنة بعد شهرين، أعتذر عنه... العودة مع الأمراني وحوار حول الأدب ومجلة (المشكاة)... إحساس بالإعياء وقلة النوم والقلق المتواصل من جراء كثرة المطالب المعلقة... العمل في الغرفة حتى الثانية ليلاً...

الثلاثاء: حضور جلسات المؤتمر... تسليم صورة من موضوع سرقة كتابي (التفسير الإسلامي للتاريخ) من قبل أحد الإيرانيين وطبع باسمه... إلى أحد المتابعين... تحرّك الفتقة وعودة سوفان الركبة... الغداء وحل المعلقات مع عاشور... الأمراني يفتح باباً للقلق: إعطاء مساعدات مالية لي وللمحتاجين من العراقيين... أعتذر عن قبولها بالنسبة لي، وأسأل الآخرين فيعتذرون، ويستقر الأمر لحكمت صالح ربما... تصفية المعلقات مع عويس وتسليمه عدداً من مواد الموسوعة... مقابلة صحفية مع إحدى الصحف التركية...

الذهاب لزيارة الأستاذ المصري حسن عباس زكي في فندقه، وتقييمه السخي لي كمؤرخ، وإعرابه عن رغبته لدعوتي والدكتور محسن عبد الحميد إلى القاهرة... التوجه بالسيارة لحضور دعوة جامع السليمانية، وعودة الغثيان عبر الطريق... العشاء اللذيذ واستقرار المعدة بعض الشيء... قلق بصدد تحديد موعد السفر والتردد بين الجمعة وبين البقاء لعدة أيام أخرى حسب رغبة أديب والصالحي، والتخوف من ألا نحصل على الأوكي يوم الجمعة، ومعنى ذلك اضطرارنا إلى البقاء حتى الأربعاء...

العودة إلى الفندق واستكمال الأمسية في صالة الفندق مع الأمراني وبن حمزة والصالحي... قراءة قصيدة عليهم وحوار في شؤون الأدب... الخروج المرهق القلق إلى الغرفة والعمل حتى ساعة متأخرة من الليل.

الأربعاء: استيقاظ غير قلق بسبب تصفية الأعمال... توزيع المعلقات على أصحابها وإحساس أكثر بالارتياح... سعادة بالغة بسبب حسم الحجز على يوم الجمعة بعد قلق وتردد... فطور ممتع... جولة رائعة في البسفور... واحدة من أجمل الجولات في حياتي... تعليقات وإحساس بالتحقق... الصلاة وعودة للمركب... غداء خفيف... زيارة للمتحف والجوق الموسيقي ولحظات التأثر العميق... الدكتور قطب سانو يحاورني في أعز مؤلفاتي... جولة عند السلطان أحمد وصلاة المغرب... عشاء في مطعم مجاور...

الرجوع إلى الفندق وعودة للقلق والحيرة بسبب ميل أديب ومحسن الصالحي للبقاء أكثر، لكنني أحسم الأمر بالإصرار على الجمعة متذكراً مواعيد المحاضرات، والمستشفى الإسلامي في عمان، وحساسية جامعتي تجاه التأخر، والأذى النفسي لزوجتي في حالة التأخر، فضلاً عن أنه لم يبق ثمة ما يستحق البقاء، واحتمالات الملل والاكتئاب في حال تحولنا إلى إحدى دور النورسيين...

الصديق الجزائري لعرابة نصر الدين يزورني ويحكي لي عن انتشاري الواسع في الجزائر وتربِّي جيل الصحوة على كتاباتي وشعبيتي لدى القارئات!! وحديث ذو شجون وأن وكيل وزارة الأوقاف كان يوصي بمؤلفاتي ودعوتي

للمؤتمرات هناك... كما أن عميد أصول الدين في جامعة الجزائر عرض أكثر من مرة فكرة دعوتي أستاذاً زائراً...

استكمال الأمسية في صالة الفندق ثم صعود للغرفة... وإحساس بالقلق للأعمال المعلقة ومواصلة العمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

الخميس: الفطور... جلسة مع عويس... مبلغ آخر من مكافأة الموسوعة... فراغ وإحساس بالملل وارتياح لحسم موعد السفر غداً... جلسة وداعية قصيرة مع عاشور وبهجت، والأخير يطلب إرسال بعض مؤلفاتي لكي يكتب عنها في الأهرام... توديع المصريين... جولة تخطي... شيء من القلق بصدد المسواق ثم صرف النظر عنه... غداء طيب في صالة الفندق...

ننطلق بالسيارة إلى محلّات ايدنلي لاختيار البدلات، وأعدّد في الطريق منغصات الرحلة فإذا بها تبلغ قريباً من خمسة عشر... ارتياح لاختيار بدلة مناسبة... عودة للفندق واسترخاء في الصالة... التوجه بعد صلاة العشاء إلى مطعم رائع على ساحل البسفور... عودة الغثيان خلال الطريق... حوار ممتع على مائدة العشاء قبالة البحر ووجبة مقبلات وسمك لذيذ... العودة إلى الفندق... جلسة أخرى في الصالة مع عدد من الزوار، وحديث مع أحدهم عن ذكريات رحلة العين في الإمارات عام (١٩٨١م)... إحساس بالإعياء ورغبة في النوم. العودة إلى الغرفة والعمل حتى الثانية عشرة.

الجمعة ٩/٢٩: الفطور... ترتيب الحقائب... جلسة في الصالة مع الزملاء بانتظار صلاة الجمعة... توديع بقية المصريين... أداء الصلاة في جامع الفاتح... الانطلاق إلى المطار في جو ماطر... شيء من التأخير في المطار بسبب الزحمة... الوداع المؤثر... الطائرة تتأخر قليلاً عن موعدها... الانطلاق إلى عمان بجوار الدكتور محسن... الوصول ليلاً إلى عمان، وبعض الملابسات بصدد السيارة التي ستقلنا إلى الفندق... أحد المدعوين يصرّ على نزولنا عنده، أقابله بإصرار على الاعتذار... إصرار قطب على اصطحابنا إلى الفندق يثير بعض العراقيل بسبب ضيق السيارة التي ستقلنا... دكتور زياد يقلنا بسيارة

أخيه إلى الفندق... المفاجأة الطيبة بنزول دكتور محسن والشيخ عبد الوهاب السامرائي في الفندق نفسه... النزول إلى العشاء في مطعم القدس، ليلة مزعجة مع الحرّ والمروحة الكهربائية...

السبت: الاستيقاظ المفعم بالقلق والحيرة والهم بسبب مطالبي العديدة التي يتوجب حسمها، وبخاصة مسألة مراجعة المستشفى واتخاذ القرار النهائي بصدد العملية... تناول الإفطار في مطعم القدس... الانطلاق لصرف العملة، والتوجه إلى شركة الجت لضمان الحجز... الاتفاق على أن أتجه أنا إلى المعهد كسباً للوقت، بينما يتولون هم مسألة الحجز... دكتور زياد يستقبلني بمحبة ويعاتبني على التأخر عن الموعد الذي ضربه مع الجراح... إحساس بالندم... ثم اتصال هاتفي بالمستشفى يتبين منه أن الجراح قد دخل قاعة العمليات مضطراً بسبب حالة ملزمة، وأن عليَّ أن انتظر خروجه قبل الذهاب إلى المستشفى...

محسن وأديب يعودان في أقصى درجات التوتر ويقولان بأن الحجز ليوم الثلاثاء مستحيل بسبب الزحمة، وأن الخيار الوحيد هو المغادرة ظهر اليوم أو الانتظار للسبت القادم... محاولات من أبي زياد على الهاتف للحصول على وعد أو ضمان دون جدوى... محسن وأديب والسامرائي يقررون السفر ظهر اليوم، فيما يضعني في دائرة الوحشة والاكتئاب، والإحساس العميق بالتألم لموقف أديب الذي اختار أن يتركني وحدي قبالة إشكاليات المستشفى... يغادر أديب والسامرائي إلى الجت لضمان الحجز ويظل محسن، حيث ما يلبث الملكاوي أن يجيء ويحل الإشكالية بسرعة كعادته، بأن يعدنا بتوفير سيارة خاصة بنا تقلنا إلى بغداد فجر الثلاثاء...

أحسّ بقدر من الارتياح... أتجه مع المحاسب إلى المستشفى الإسلامي وأحمد الله على أن أجد الجراح قد عاد إلى غرفته... عرض الأوراق والتقارير عليه... يحيلني إلى طبيب الباطنية عصر اليوم قبل اتخاذ رأي نهائي... ثم ما يلبث أن يسألني عن حصى المرارة فأؤكد وجودها... فيقول أن بمقدوره

عبر عملية واحدة أن يخلصني من الحصا والفتقة في آن واحد... لحظات مترعة بالقسوة والحيرة والمرارة تجتاحني... أغادره وأنا ألعق جراحي، محاولاً تعليق القرار الأخير لما بعد فحص طبيب الباطنية، فها أنا ذا قبالة فرصة ذهبية طالما حلمت بها للخلاص من متاعب المرارة والفتقة معاً...

وهي فرصة لا تتكرر مرةً أخرى... ولكن ماذا بشأن عدم ضمان النتيجة بالنسبة للعمليتين وفق طريقة الناظور، فيما حذرني منه جراحو الموصل؟.. وماذا بصدد ضرورة البقاء فترة قد تطول في عمان في أعقاب العمليتين؟..

أعود إلى المعهد وأنا في تلك الحال التي لا أحسد عليها، وأميل شيئاً فشيئاً إلى عدم الاستجابة لعرض الجراح، والاكتفاء بعملية الفتقة وفق الطريقة الاعتيادية في مدينتي... أسأل المحاسب عن إمكان فتح حساب لي فيقول أن بمقدوره أن ينجزه لي الآن، لكني ما ألبث أن أتذكر تحذير محسن حول إعدام كل من يفتح له حساباً في الخارج، فأترك الموضوع على مضض...

في المعهد أقدم أوراقي ومستنداتي للمحاسب للعثور على مبلغ ضائع لي في حساباتهم كان قد أرسل من دار المنارة، وأنصرف لإنجاز أعمالي المعلقة في غرفة مجاورة... بعد ساعتين يجيئني المحاسب لكي يقول أنه قد عثر على الحق الضائع: أربعمائة دولار، وسوف يدبرها لي غداً... فالحمد لله...

وثمة ارتياح آخر بالاتصال الهاتفي بزوجتي وطمأنتها عليَّ وإعلامها بالموعد التقريبي للسفر... دكتور زياد يدعوني وقطب إلى الغداء فأعرض عليه مطعم القدس... غداء طيب هناك وعودة الإحساس بالتنغيص بسبب غياب الزوجة... العودة للفندق بسبب الأخ قطب لأخذ حقائبه... الزمن يضيق الخناق عليَّ حيث يتوجب أن أكون في المستشفى عصر اليوم... ولحظات قاسية من انتظار التاكسي دون جدوى.. العثور على واحدة منها أخيراً...

التوجه إلى المستشفى وإجراء فحوص عديدة خلال فترة قصيرة، وارتياح حتى الأعماق للنتائج الطيبة والمشجعة على إجراء العملية في الموصل... تسلّم التقرير التفصيلي من الطبيب... ودفع مبلغ كبير غير متوقع، لكن الفرحة كانت

تغمرني لتجاوز القلق والحيرة واتخاذ قراري الأخير، تشجعني عليه نتائج الفحوص فالحمد لله... أغادر المستشفى فرحاً منشرحاً وأنا أردد: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦] مقارناً بين حالتي المترعة بالتعاسة صباح اليوم ووضعي السعيد الآن...

أتجه إلى المعهد وأنجز العديد من المعلقات، وأدخل دائرة الحيرة لدقائق بين الذهاب مع ملكاوي إلى المطار لتوديع قطب وبين البقاء لإنجاز أبحاث أخرى.

أميل إلى الأولى هروباً من العمل... جولة طيبة إلى المطار وأحاديث شتى، وترتيب زيارة لجامعة ماليزيا عبر أحد أشهر الصيف القادم يحملها قطب إلى إدارة الجامعة... العودة إلى الفندق ودعوة على العشاء مع أحد أصدقاء محسن... عشاء طيب في مطعم القدس واستئناف الأمسية في بيت الصديق... وعرض بدعوتي والدكتور محسن أساتذة زائرين لجامعة آل البيت التي يعمل فيها الداعي... ليلة مزعجة مع الحرّ وصوت المروحة الكهربائية...

الأحد: التوجه بمعية محسن إلى المستشفى، وارتياح غامر لوجود الجراح وعرض التقرير عليه وطمأنتي بسهولة العملية... نغادر المستشفى وأنا أحسّ بفرح عميق... نتجه إلى دار البشير فلا نجد (رضوان) إنما ابنه، حيث يتم الاستفسار عن جملة أمور، ولا أحظى بدولار واحد، وحيث أقع على بغيتي الضائعة ديوان القرضاوي... ونتجه إلى المعهد لكي أتلقى بشرى أخرى: تهيئة مبلغ الأربعمائة دولار الخاصة بدار المنارة من قبل المحاسب فالحمد لله...

ويزيدني سعادةً إجراء اتصال هاتفي مع لندن وحديث مطول مع أنس والعلواني للاستفسار عن كافة القضايا المعلّقة... أعود لمواصلة حلّ المعلقات في إحدى الغرف وأقطع شوطاً طيباً، وأجري سلسلة من المكالمات الهاتفية...

دعوة على الغداء من قبل ملكاوي، أقترح أن تكون بعيداً عن قرف مطعم القدس وبدلاً عنها في مطعم جبري: واحدة من أجمل وأعذب الدعوات في هذه

الرحلة مع الطعام اللذيذ والدوندرمة الرائعة والأحاديث والنكات والتعليقات والإحساس بالتخفّف من هموم الأعمال ومطالب المستشفى.

نرجع إلى الفندق لكي نرتاح قليلاً، ثم نتجه إلى المعهد لإلقاء محاضرتي عن (تكوّن الحضارات ونموّها في المنظور القرآني)، حيث حضر حشد طيب، وحيث أتيح لي بفضل الله وحده أن أقدم واحدة من أكثر المحاضرات في حياتي إحكاماً وتدفقاً، وكنت مقتنعاً بها بخلاف العديد من المحاضرات. ودارت بعدها مناقشات خصبة، ثم غادرنا المكان مدعوين لدى أحد أصدقاء دكتور محسن، حيث تناولنا عشاء طيباً، ورتبنا أمر التاكسي التي ستقلنا إلى بغداد، ثم قمنا بزيارة للدكتور طارق العوسج، الذي أجرى عملية في الشرايين، وعدنا إلى الفندق لكي نعاني من المتاعب إياها مع الحر وصوت المروحة الكهربائية وقلة النوم...

الاثنين: الاستيقاظ على هموم المشتريات التي يتوجب عليَّ أن أنجزها جميعاً هذا اليوم... وزادني قلقاً إصرار محسن على اصطحابي، حيث سيعرقل هذا سرعة حركتي... ولكنني عبر عدة ساعات وبحركة لولبية سريعة، وعبر دوامات القلق والصعود والهبوط النفسي التي طالما عانيت منها في جولات كهذه أنجزت معظم المطالب... ووقعت ملابسة كادت تلحق بي دماراً صحياً لولا أن الله سلّم، عبر شجار مع بائع مجنون شك في أني ربما أكون قد سرقت منه شيئاً، فلما رددت عليه سلّط عليَّ سيلاً من الشتائم، فرددت بمثلها ثم بصقت في وجهه فتقبلها دون رد، ولو أنه فعل لكان يمكن لقلبي أن يتوقف...

وثمة انفعال آخر مع بائع ثانٍ بسبب سحبة الهدية والدجل الذي احترفه معظم البائعين... أجلس أكثر من مرة في المكتب الإسلامي لتجميع الأغراض وحل عدد من الأمور النشرية... ثم أتغدى بمعية دكتور محسن الذي يقفل عائداً إلى الفندق. وأنطلق أنا لاستكمال المشتريات، ثم ما ألبث بعد قلق حمل الأغراض أن أعود إلى الفندق سعيداً بعد إذ نفذت معظم المطالب...

أستحم فأسترجع استرخائي، ثم نتجه إلى المعهد لحضور محاضرة دكتور

محسن عن مناهج التفسير. يتلقاني دكتور فتحي بحصوله على خيوط العملية فأحس بسعادة غامرة لضمانها. ولكن يقلقني الحصول على حبوب احتياطية أخرى من الدولستوب حيث يمتنع الصيادلة عن بيعها دون ترخيص... أزداد فرحاً بتلقي مبلغ الثلاثمائة دولار الذي أرسلها أنس ومبلغاً أردنياً تغطية لتكاليف التاكسي إلى بغداد...

جلسة استرخاء ممتعة مع المحاضرة، وطلب من ملكاوي بأن أكون أول المعلقين، وفاكس من عبد القدوس يؤكد وصول معظم إرسالياتي، وأسئلة تحريرية من دكتور رشدان... وأجواء طيبة، وما ألبث أن أدخل دائرة الشد النفسي بعد المحاضرة. فالطنطاوي يريدني أن أسرع للعودة معه إلى منزله، دكتور محمد زكي ينتظر هو الآخر، وأحد الشباب يريد توصية مستعجلة إلى اليمن، ومجموعة من طلبة الدراسات العليا يلحّون على جلسة ضرورية للتباحث في قضاياهم، وزعاترة ونسيبه يجيئان للسلام، فأعرض عليهما الحصول على دولستوب إضافي فيبديان استعدادهما، ثم ما يلبثان أن يجيئاني به والحمد للّه... وزكي يعاون في رزم الكتب المبعثرة... وأسارع بلقاء الطلبة وأتحدث بإيجاز بعد أن تم الاتفاق على ترتيب موعد عبر زيارتي القادمة إن شاء اللّه لإقامة ورشة عمل ليومين أو ثلاثة حول الموضوع...

أغادر المعهد بعد توديع دكتور فتحي متجهاً في سيارة محمد زكي إلى بيت طنطاوي، وأنا أحسّ بارتياح عميق للتخفف من المطالب التي لا تنتهي... نصل البيت فأفاجأ بحصول أحد الأطباء على كمية من خيوط العملية فالحمد للّه... عشاء لذيذ وحوار في قضايا إسلامية لم أشأ أن أدخل طرفاً فيها لأني كنت أريد الاسترخاء... العودة إلى الفندق بعد تسلّم مجموعة (فلسطين المسلمة) لعام (١٩٩٥م)، وإلحاح رئيس التحرير على استمرار الكتابة وإبداء أحد محرريها القدماء إعجابه بمقالي (الرحيل إلى الخرطوم)، وأنه أعيد نشره في إحدى الدوريات السودانية في لندن... نرجع إلى الفندق لكي أستكمل ترتيب الحقائب استعداداً للانطلاق فجر غدٍ بإذن اللّه...

الثلاثاء: ١٠/٣: الانطلاق فجراً في سيارة صديق دكتور محسن إلى موقف التاكسيات، ومنها ننطلق إلى بغداد عبر رحلة مريحة... حيث تم شراء المزيد من الحاجيات من صفاوي... تناولنا غداءً مزعجاً في رويشد وتجاوزنا متاعب التفتيش وفحص الإيدز بسهولة، وبعد تقديم باكيتين من الجبن... وثمة غداء آخر في محطة استراحة عراقية ثم الانطلاق إلى بغداد... حيث بدأ القلق يتناوشني من مخاطر الطريق في الليل بين بغداد والموصل، وزادني قلقاً إصرار محسن على أن أبيت عنده الليلة وألا أسافر إلّا مع الفجر، لكن الإصرار ركبني.

وأحسست بارتياح عميق وأنا أعثر على سيارة بسرعة بالغة وأحجز المقعد الأمامي وتنطلق السيارة وسط مشاعر الفرح والارتياح والاسترخاء... ولكن أيضاً مع التخوف من احتمالات الأمن الضائع، وسط أحاديث السائق حول حوادث السيارات التي جاوزت كل تصوّر... وأحسّ بشيء من الاطمئنان وأنا أرى أحد الركاب يصطحب مسدساً، ويتعرف عليَّ باعتباره طالباً في كلية الإدارة والاقتصاد... أصل الموصل في الساعة الثانية عشرة لكي أحط الرحال بحمد الله وتوفيقه...

[٢٥]

رحلة عام ١٩٩٥ م إلى اليمن

الأربعاء: ١٢/٦: استيقظت فجراً... وجرت الأمور بيسر وسهولة وغادرت الدار إلى الكراج، حيث ركبت إحدى السيارات المتجهة إلى بغداد وسط إحساس غامر بالفرح والانسجام والتحرر من شد الأعصاب الذي دمرني لأسابيع طوال... ووصلنا بغداد عبر رحلة مريحة، لكي ما ألبث أن ألتقي بعلاء نورس في كراج المنشأة، وتتم إجراءات الحجز ثم أودّعه وأتجه إلى الباص، الذي انطلق إلى عمان في موعده وكنت أحسّ بمزيد من الارتياح بسبب استقلالي بمقعدي في الباص...

ومضت الرحلة هينة مريحة وأنا ألتهم غذائي أو أغرق في تداعياتي... ثم

ما لبثت المتاعب أن فرضت حصارها: البرد الشديد، ونقل الحقائب الثقيلة للتفتيش في نقطتي طريبيل ورويشد هذا إلى تأخر المعاملات لساعات طويلة، ولكن هذا خدمني بجعل الوصول إلى عمان صبيحة اليوم التالي، فوفر عليَّ ليلة في عمان فضلاً عن متاعب الوصول في أعماق الليل...

الخميس: استيقظت بعد نوم عميق على الباص، وهو يوشك أن يصل إلى عمان وسط أجواء ضبابية باردة، وصفعتني الكآبة إياها والتي اعتدتها لدى كل وصول. ثم ما لبثت أن وجدت تاكسياً أقلني إلى الفندق وأحسست بارتياح وأنا أتجاوز حلقة الوصول والاستقرار في الفندق... ثم ما لبثت أن توجهت إلى الخطوط اليمنية، فإذا بالتلكس قد وصل، وإذا بالتذكرة تسلم لي خلال دقائق معدودات...

وغادرت المكان وأنا أحسّ بسعادة بالغة، ثم اتجهت إلى المعهد العالمي لكي أبدأ مطحنة نفسية مع شبكة من المطالب والأعمال: متابعة حساباتي لدى المعهد، المصرف الإسلامي، كتابة العديد من الرسائل والفاكسات المستعجلة، الاتصال الهاتفي بالعديد من الأصدقاء... الخ. وأحسست بإعياء بالغ وبضيق في النفَس، وكانت فترة الغداء فرصة في مطعم المنقل مع الملكاوي، رغم أنني أحسست بالندم على إلحاحي في تناول المشويات المتبلة والأرغفة المترعة بالسمن... وعدنا إلى المعهد وخلال ذلك صفيت مع الملكاوي الكثير من المعلقات، وتلقيت العديد من الإجابات المعلقة خصوصاً في المسائل المالية...

وبعد العشاء توجهت ودكتور محمد زكي إلى بيته لقضاء أمسية طيبة وتسليمه الرسائل الخاصة به، وطلب معاونته في متابعة بعض التوصيات...

الجمعة: استيقظت صباحاً في حالة من الانشراح والسعادة... وغادرت الفندق لاستبدال العملة دون جدوى بسبب إقفال المحلات في هذه الساعة المبكرة، وعدت إلى الفندق لكي أحمل حقائبي وأتجه إلى موقف باصات المطار... وهناك استرجعت استرخائي وسعادتي، وانطلقنا إلى المطار عبر شوارع عمان الجميلة، لكي ما تلبث الطائرة أن تنطلق متأخرة عن موعدها

بعض الشيء... وقد انتابني للحظات التخوف من ركوبها بعد إذ رأيت صغر حجمها... لكنني توكلت على الله، حيث مضت الرحلة في أجواء مريحة، اخترقتها في المراحل الأخيرة اهتزازات ارتجف لها قلبي، بسبب من الجيوب الهوائية...

ووصلنا مطار صنعاء وأنا قلق من ألّا أجد أحداً، ولكنني ما لبثت أن وجدت شخصاً يمنياً يبحث عني... إنه موظف العلاقات العامة... أحسست بارتياح عميق وأنا أستقل معه الباص حيث أعلمني بأنني سأنزل في فندق حدّة بدلاً من دار الاستراحة بسبب عدم وجود مطبخ فيها... وكان الباص يجتاز شوارع صنعاء والموظف يشرح مواقعها المختلفة... ووصلنا الفندق... وللحظات وأنا أعاين روعته وتيسيراته اكتنفني كالعادة شيء من الانقباض، لكنني بمجرد أن وضعت متاعي في الغرفة، أحسست بارتياح فجائي، وقررت أن أتجاوز كل المنغصات القديمة التي افترست عليَّ رحلاتي السابقة، وأن أجعل من هذه الرحلة واحدة من أنجح الرحلات... ونزلت إلى الصالة لكي أتجول قليلاً وأتناول عشاء لذيذاً ثم أجلس في الصالة مسترخياً الساعات الطوال وأتناول الحلويات اللذيذة، ثم ما ألبث أن أغادرها إلى غرفتي لاستكمال بعض الأعمال، ومشاهدة بعض برامج التلفاز، ثم ما ألبث أن أسلم نفسي لنوم عميق.

السبت: ١٢/٩: استيقظت في الثالثة ليلاً على ألم قاسٍ في جنبي الأيمن سرعان ما تبيّن لي أنه الكلية... وأنه قد يكون أعراض مغص كلوي فأين المفر! وكيف أجد حقنة البسكوبان لإسكات الوجع الذي لا يطاق؟ أدعو الله من أعماق قلبي أن يخفف عني... بعد دقائق يجيء الجواب، ويسكت الوجع...

يا الله... لك الحمد حتى ترضى... لك الشكر بما يكافئ نعمك التي لا تعدّ ولا تحصى... أنهض إلى التواليت لكي أتبوّل فإذا بي أفاجأ بأنني أبول دماً قانياً... يتملكني الخوف كيف سأوقف النزيف إذا ما حدث؟ إن الجرح الخارجي عندما يحدث أجد صعوبة في وقف سيال الدم الذي ينبجس عنه

بسبب تناولي للوارفارين؛ فكيف بالنزيف الداخلي وبهذه الكمية المخيفة التي تملأ حوض التواليت؟!!

أدعو الله مرةً أخرى وأنام... والخوف يتقاذفني من أن يصيبني مكروه وأنا بعيد عن أهلي وعائلتي... وتتملكني الشفقة عليهم للاحتمالات السوداء... وأتذكر... لعلّ هذا كله بسبب تناولي لوجبة المشويات المشؤومة مع دكتور فتحي والمترعة بالمتبلات... كيف فاتني هذا؟ لكن الندم لا يجدي... وتأخذني سنة من النوم وأستيقظ بعدها لأجد البول لا يزال يختلط بالدم ولكن بدرجة أقل... أستبشر بعض الشيء... وبمرور الوقت يخف اللون حتى يرجع الإدرار إلى قريب من وضعه الطبيعي... الحمد لله... ها قد منحني الشفاء دون اللجوء إلى طبيب!!

أنتظر بقلق رئيس القسم... أكثر من ساعة وأنا أنتظر دون أن يأتي... يتملكني نفاد الصبر وأضطر إلى مكالمته على القسم والبيت، وأحظى به بعد لأي في القسم. إذن لم يكن في نيته أساساً أن يأتي لكي يصطحبني إلى الكلية... وأتذكر ما قاله علاء النورسي... فليست هذه الأولى والآخرة عن الإخوة اليمنيين... أضطر لاستئجار تاكسي تكلفني مبلغاً كبيراً... وأدخل القسم لكي أتعرّف على الموجودين في جلسة ودية... وتم ترتيب جدول المحاضرات... وكانت تقلقني مسألة البقاء في الفندق وتحمل متاعب الطريق الطويل ومصاريفه الباهظة. وقد تبين لي عبر حوار بين رئيس القسم وأحد التدريسيين أن رئيس الجامعة طلب إقامتي في الفندق، حيث أن مطبخ دار الاستراحة قد أقفل...

تراوحت مشاعري بين الانزعاج والقبول فلكل عيوبه ومزاياه، ولكن وبعد أن شرح لي رئيس القسم صيغة رخيصة للوصول إلى الكلية والعودة منها بواسطة الباصات الصغيرة؛ أحسست بارتياح عميق. فها أنا قد تخلصت من السكن هناك حيث قلة النظافة والصراصير والوحدة... ومخاطر الطعام... وعوّضت عن ذلك بفندق غاية في الروعة والبهجة ووجبات الطعام اللذيذة والنظيفة... فالحمد لله...

أوصلني رئيس القسم بسيارته... وتناولت وجبة غداء لذيذة من الجمبري

وأنا أحسّ بسعادة بالغة وأقول في نفسي لعلها تكون واحدة من أروع الرحلات في حياتي، وعليَّ ألّا أدمرها بوساوسي وحرصي وعملي المتواصل...

أخذت قيلولة عميقة... وجاءني عند الغروب الدكتوران ضرغام وأنيس الليلة، حيث قضينا في صالة الفندق ساعات طيبة، وأنهيت العديد من المعلقات، وتلقيت الإجابة على العديد من الأسئلة... وبعد مغادرتهما الفندق تناولت وجبة قاسية من الدجاج والخضار المسلوق رغبة في تجاوز متاعب الكلية واحتمالاتها، ثم بدأت العمل في جدولة المحاضرات وتحديد موضوعاتها، وتم ذلك بيسر وسهولة شعرت معها بارتياح عميق وغبطة بالغة، وثنيت باستكمال مذكرات الأيام الأخيرة من رحلتي فازددت ارتياحاً، ونزلت إلى صالة الفندق في جلسة استرخاء وتناول للحلويات استغرقت فترة طويلة... بدأت بعدها رياضة المشي السريع داخل ممرات الفندق المريحة، وأنهيت الأمسية بجلسة طيبة مع التلفاز، ثم أسلمت نفسي للنوم...

الأحد: استيقظت سعيداً غير قلق بسبب عدم التزامي بموعد محدّد... ونادراً ما يحدث هذا لدى الاستيقاظ عبر رحلاتي جميعاً، وتناولت فطوري في البوفيه، ثم اتجهت إلى الكلية، حيث تمكنت من الحصول بسهولة على باص وآخر حسب شرح رئيس القسم، ولم يكلفني سوى عشرين ريالاً... دخلت القسم وسط إحساس بالغبطة وسلّمت الجدول لرئيس القسم، وقمنا بزيارة تعرّف على عميد الكلية، حيث التقينا هناك بالعديد من التدريسيين بما فيهم وزير العدل اليمني، وتلقيت ثناءً سخياً من معظمهم على مكانتي كمفكر وأستاذ فالحمد للّه... ثم جلست في الغرفة لاستكمال جدولة المحاضرات وإعداد أوراق المكافأة... حيث وعدني رئيس القسم بتقديمها يوم غدٍ بإذن اللّه. وعدت بالباصات إلى الفندق سعيداً لأتناول وجبة الغداء، وأخرج إلى الغرفة لأنام بعض الوقت، وغادرت المنام وسط دوامة من القلق. ثم ما لبثت أن انغمرت في العمل وترتيب الأوراق والمحاضرات والمطالب المتبقية وتدوين المذكرات... فها هنا الدواء الذي يعرف كيف ينتشلني من القلق والتشتت والاكتئاب...

تناولت عشاء بوفيه لذيذ... وقضيت الأمسية في صالة الفندق مع رئيس جامعة العلوم وأحد الأساتذة، حيث دارت أحاديث شتى وعرض عليَّ المعاونة في توصيف مناهج التاريخ، وزيارة الجامعة وإلقاء محاضرة فيها... كما عرض القيام برحلة إلى مأرب... ثم ما لبثت أن عدت إلى الغرفة لأقوم بمحاولة أخرى للاتصال بالموصل دون جدوى، الأمر الذي أورثني قدراً من القلق والاكتئاب... وبعد مشاهدة للتلفزيون أسلمت نفسي للنوم الذي كانت تقطعه متاعبي مع ضيق النفس...

الاثنين: استيقظت مبكراً لكي ألحق محاضرتي الأولى في موعدها، وتناولت إفطاري في البوفيه، ثم توجهت إلى الكلية بواسطة الباصات الصغيرة وبسهولة بالغة ووقت قصير. وكان عليَّ أن أنتظر أكثر من ساعة قبل بدء موعد المحاضرة، حيث كان رئيس القسم ينتظرني قبالة الطلاب وقدّمني بسخاء بالغ مؤرخاً ومنظراً ومفكراً...

وبدأت المحاضرة عن خصائص الحضارة الإسلامية قبالة طلاب جيدين، وبتمكن، وقدرة على التنويع والإثارة وشد الانتباه. لكن التشنج اللعين في النفَس والقلب سرعان ما أحكما قبضتهما عليَّ وجعلتا الأقسام الأخيرة من المحاضرة صراعاً قاسياً، كما هو الحال في معظم الأحيان...

غادرت القاعة مع حشد من الطلبة، حيث وجهوا أكثر من سؤال، ودخلت الغرفة لأجد رئيس القسم منغمراً في حل مشاكل الطلبة، فلم يتح لي الوقت الكافي لمفاتحته بموضوع المكافأة وضرورة التعجيل بها قبل فوات الأوان... وقلت في نفسي إن هناك (رضوان) في إدارة الجامعة سألجأ إليه لكي يحقق المطلوب بإذن الله... وتلقيت دعوة من طلبة القسم لحضور حفل توديع العميد واستقبال الطلبة والترحيب بقدومي...

ثم عدت إلى الفندق لأتناول غدائي وآخذ قسطاً من النوم ثم أتجه مع الدكتور عابد الهاشمي لمركز البحوث، الذي استُقبلت من قبل مديره الشيخ الزنداني بحفاوة بالغة، وجرت مناقشات حول مقارنة الأديان استغرقت الساعات

الطوال، وعرض عليَّ إلقاء محاضرة اعتذرت عنها، لكنني ما أن عدت إلى الفندق حتى أحسست بالندم. وبأنها قد تكون فرصة مالية طيبة (!!) ولذا أسرعت بعد تناول العشاء للاتصال ببعض مدرسي الجامعة لمفاتحة مديرها برغبتي في إلقاء ثلاث محاضرات في الفقه الحضاري فوُعدت خيراً... وثمة طالب ماجستير جزائري يطلب موعداً ويقول بأنه وحشد الجزائريين من قراء كتبي، وأنها كانت منذ بدايات بعيدة إحدى عوامل الصحوة هناك فالحمد لله...

ضربات خفيفة من الألم في الكلية اليمنى وتوجس من وجبات الطعام، ومحاولات أخرى غير مجدية للاتصال بالموصل... وعودة إلى الإحساس بالاكتئاب والقلق، إذ يبدو أنه لا بدّ أن أجد نفسي في المنغصات حتى ولو لم تكن هناك في الحقيقة... تلك هي طبيعتي...

أمارس رياضة المشي اليومية داخل ممرات الفندق... أجلس إلى التلفزيون بعض الوقت، ثم أسلم نفسي لنوم يجثم على صدري فيه ضيق النفَس فلا يكاد يدعني أنام...

الثلاثاء: أستيقظ مبكراً، فأنا على موعد لزيارة جامعة العلوم والتكنولوجيا... أحاول الحصول على مكالمة للموصل فلا أوفق... أتناول فطوري وأنطلق مع عميد آداب جامعة العلوم إلى تلك الجامعة عبر شوارع صنعاء والأحاديث الممتعة... أُستقبل بحفاوة بالغة ويمضي بي رئيس الجامعة عبر مختبراتها وأقسامها شارحاً معرّفاً، وتلتقط الصور التذكارية بكامرة مدير العلاقات... وأودّع بالحفاوة نفسها عائداً مع العميد إلى قسم التاريخ لألقي محاضرة موفقة عن شروط إعادة كتاب التاريخ، وأسبقها باستكمال محاضرة يوم أمس عن خصائص الحضارة الإسلامية... ويدور نقاش خصب ومشاركة طلابية جيدة لولا أن يقطعها طالب من المنحلّين فكرياً، أولئك الذين لا يجدون أية أهمية للتاريخ، ويساوون بين المسلم والمسيحي واليهودي... ويرون في البحث عن الصفحات البيضاء في تاريخنا عملاً يعوزه الدليل...

أردّ عليه بتدفق معزّز بحشود من الشواهد وأخرسه... وأواصل المحاضرة

إلى حد الإعياء الذي أعرفه جيداً... ضيق النفَس والتشنج مضافاً إليه هذه المرة ثقل في الساق اليسرى... ويلحقني بعض الطلبة خارج القاعة لكي يواصلوا أسئلتهم وحوارهم... أصعد إلى غرفة القسم وأرتمي محطماً على الأريكة... بجوار مقبول الذي جاء لزيارتي، وأشعر بوجوده بارتياح عميق... ويدور حوار أتلقى فيه أجوبة على الكثير من المعلقات، وأزداد ارتياحاً لحل مشكلة تمديد موعد الحجز على العودة مع رئيس القسم، حيث تمّ الاتفاق على الجمعة (١٢/٢٩)، وأعرب رئيس القسم بأريحية بالغة عن سعادته بخدمتي، وأنه سيحجز لي في الأيام الثلاثة الأخيرة في فندق سبأ ذي النجوم الخمسة بسبب حجز فندق الحدّة من قبل وفد كبير...

كما يعرب عن استعداده لتسريع معاملة المكافأة، التي أخذت تسبب لي بعض القلق خشية تأخرها... يطمئنني مقبول بأنه سيتولى أمر إيصالها إليَّ حتى لو لم آخذها خلال بقائي، كما يصطحبني إلى السنترال حيث نتمكن من الحصول على الموصل، فأكلم زوجتي وأطمئنها وأتلقى ما يطمئنني أنا الآخر...

ورغم الثمن الفاحش للمكالمة فانني شعرت بارتياح عميق، فها قد تحررت من ملاحقة سنترال الفندق دون جدوى... يرافقني مقبول بالدباب إلى الفندق ويتفق معي على جولات قادمة في صنعاء: معالمها وأسواقها... وعلى زيارة في الفندق مساء اليوم... ثم أمضي لتناول واحدة من أشهى الوجبات منذ مجيئي: الجمبري مع الرز والمايونيز... وأم علي!! أصعد إلى الفندق لكي أتناول قيلولة عميقة حتى الغروب، ثم أستيقظ لأصلي وأتناول الشاي وأعدّ محاضرة يوم غدٍ لطلبة الدراسات العليا، وأنجز المذكرات وبعض الأمور الكتابية...

عند تناول العشاء يزورني مقبول، فأقضي معه في صالة الفندق ساعات طيبة في أحاديث شتى، ثم أمارس جولة المشي السريع وأجلس إلى التلفزيون أكثر من ساعة، وأسلم نفسي لنوم متقطع يجثم عليَّ خلاله ضيق قاسٍ في النفَس. ولدى الصباح أتذكر أن السبب ربما يكمن في الارتفاع الكبير لصنعاء، وأن نزيف الكلية ربما كان للسبب نفسه، وما لبثتُ لحظاتٌ من الخوف أن

اجتاحتني، فها أنا ذا ـ ربما ـ على بعد خطوات من احتمالات نزيف قد يكون في الدماغ، فهل أواصل تناول الوارفارين؟

الأربعاء: أستيقظ صباحاً وأتناول فطوري في البوفيه ثم أتجه إلى الكلية... لم يكن ثمة ما يقلقني ولكن لماذا الاكتئاب؟ وأين الفرح الذي انتظرته طويلاً؟ يبدو أن نفسي لم تعد تصلح لتقبُّل الفرح والصفاء. فثمة حالة يصعب إجلاؤها أو السيطرة عليها، هي مزيج من الاكتئاب والقلق وعدم الإحساس بطعم الأشياء... حالة أصبحت بالنسبة لي هي القاعدة وغيرها الاستثناء... أذهب إلى مجلة المنتدى لتسليم رسالة لصديق فلا أجد أحداً هناك... أتجه إلى القسم وألتقي برضوان، موظف الجامعة، وأكلّفه بمتابعة حقوقي المالية فيبدي ترحيبه... أسأل في قسم اللغة العربية عن إمكان قبول دكتور علي كمال الدين، فيقولون إن الدرجات لن تعلن إلّا في الصيف...

أتجه إلى القاعة التي سألقي فيها المحاضرة الأولى على طلبة الدراسات العليا، فإذا بأحد الطلبة يتقدم مني ويقول بأن صديقاً له أخبره يوم أمس عن حصولي على جائزة الدولة التقديرية في قطر عن كتابي (رؤية إسلامية).

تصدمني المفاجأة وتفتح عليَّ جبهة همّ جديد كم أنا في غنى عنه، إذ قد يكون أساء مصدّر الجائزة، ولعلها تكون جائزة عويس نفسها... فأين أذهب بالمبلغ الأسطوري؟ وكيف أهرب من حسد الناس المدّمر؟ إذا صحت توقعاتي؟ وكيف أتجاوز الإحساس القاسي بالازدواج لقبول جائزة من بلد لا يزال فيه أحد كبار الدعاة معتقلاً... يعتصرني الهم والقلق، وأدخل القاعة على الحالة التي ذقت مرارتها كثيراً: مزيج من القلق والاكتئاب والتوتر والخوف من المجهول... من حصولي على مزايا هي أكبر بكثير من قدرتي على استيعابها والتحقق بها.. ومع ذلك فإنني أتجاوز محنتي النفسية وألقي محاضرة مترعة متدفقة عن الوحدة والتنوع...

وعند ختامها أفتح باباً للأسئلة، فإذا بخبيث يوم أمس يفاجئني بوجوده ويبدأ بطرح إسرائيلياته، التي يحاول من خلالها أن يساوي بين الفتح الإسلامي

والغزو الصليبي والاستعمار... أردّ عليه بعنف وأمطره بالشواهد وأضعه في خانة أولئك الذين فقدوا الاحتفاظ بالذات، وأصبحوا صيداً سهلاً للتطبيع والنظام العالمي الجديد الذي يستهدف تعويم الأمم والشعوب، من خلال فك ارتباطها بعقيدتها وتاريخها ووضعها تحت رحمة الآلة الاقتصادية التي تمسك أمريكا والصهيونية بأعنّتها... يحاول أن يردّ فأمنعه من الكلام، وأعطي الفرصة للآخرين، وأغادر القاعة وأنا أعاني من الإعياء القاسي في أعقاب ساعتين من الكلام المجهد، وأحسّ كما لو أن قلبي يتشنج وأنفاسي تغيب...

يلحقني الطلبة ويكيلون لي ولمؤلفاتي الثناء والتقويم ويمطرونني بالأسئلة المخلصة، ويطلبون مواعيد للإجابة على مطالبهم، فأعدهم وأنا أعاني من التشنج وضيق النفَس وأستلقي على أريكة القسم لكي أرتاح قليلاً... أذهب مرتين لإهداء أحد مؤلفاتي لعميد الكلية الجديد فلا أجده... أرجع إلى القسم لكي أجد رئيسه يعرض عليَّ قراءة وتقويم كتاب منهجي له عن السيرة والراشدين، وكتابة مقدمة له... أعرب له عن استعدادي وترحيبي، وأنا أقول في نفسي: وهذه هي الأخرى... وأتلقى منه تقويماً سخياً... أغادر القسم بمعيته، حيث يعرض عليَّ إيصالي إلى الفندق... في الطريق وعبر لحظات انتظاره لكي يجلب أولاده من إحدى المدارس... وعبر حصار الغبار والإعياء والحر... أحسّ بالقرف، وفقدان طعم الأشياء...

وأصل إلى الفندق فأتناول غدائي على الحالة نفسها من عدم الارتياح... وأصعد لأصلي وأنام. فإذا بجرس الهاتف يدق، وإذا بعميد تربية جامعة العلوم الدكتور عبد الغني يقول بأنه فاتح رئيس الجامعة عن ضرورة تخصيص سيارة لي تقلني من الفندق إلى الكلية... وأن عالماً ومفكراً إسلامياً له مكانته المعروفة في عالم الإسلام، يجب ألّا يركب (الدّباب) في الذهاب والإياب... وإذا برئيس الجامعة يعده بتهيئة السيارة وبأنه سيزورني مساء اليوم... وأقول في نفسي: وهذه أخرى... إن انكشافي الزائد وتقويمي على المستويات العليا لا يسعدني... أريد أن أعيش بعيداً عن هذا كلّه أقضم سعادتي بهدوء... ولكن كيف؟

وأحاول أن أنام... فلا أغفو سوى قليلاً رغم حاجتي للنوم وأستيقظ على رشقة من الكآبة التي أعرفها جيداً في رحلاتي، التي تخترقها المتاعب والمطالب فضلاً عن الحنين الخفي... وأطلّ من النافذة عبر المنظر الجميل فما أزداد إلا اكتئاباً... ثمة زيارة أخرى حدثني عنها عميد التربية، تلك التي سيقوم بها الشيخ الواسعي: رئيس تحرير (النور) وواحد من الشخصيات اليمنية المعروفة... وكالعادة فما ثمة لمجابهة الحصار النفسي إلّا العمل...

أنكبُّ على تدوين المذكرات وأُغرق فيها بعض همومي، ولكن يظل هاجس القلق بخصوص الجائزة يستفزني، بانتظار يوم غد حيث أكدت على الطالب إياه ضرورة أن يأتيني بالخبر اليقين فلعل فيه خطأً ما... وأرجو ذلك... وعند ذلك قد أرتاح وألقي عن كاهلي عبئاً ثقيلاً...

يزورني الدكتور عبد القهار العاني وأبناء يوسف ذنون وأقضي في الصالة معهم ساعة طيبة، لولا المفاجأة بمجيء مدير الجامعة وعميد الآداب وجلوسهما قريباً منا مع دكتور عز الدين إسماعيل... أحسّ بقدر من التمزق فأنا لا أستطيع تركهم والذهاب للجلوس مع مدير الجامعة، وأنا لا أستطيع أن أظل معهم، فقد يغادر المدير المكان دون تأدية الواجب معه، خاصةً وأنه جاء إلى الفندق لكي يتصل بي، فضلاً عن دكتور عز الدين... ومرّ الوقت بطيئاً وعين على جماعتي والأخرى على جماعة المدير، وأنا أدعو الله أن يتركني ضيوفي ويغادروا المكان... وعلى حين غفلة ينهض المدير للمغادرة فما يكون منا إلّا أن نتدارك الموقف بالذهاب جميعاً للسلام عليه والجلوس قليلاً عبر حوار سريع في النقد الحداثي، وقد فاتحني بضرورة ترتيب أمر السيارة مع العميد الذي أعرب عن استعداده، واتفقت معه على زيارته يوم غدٍ لترتيب الأمر...

وأحسست بارتياح بعد خروجي من الورطة، ثم ودّعت ضيوفي وقفلت عائداً... وترددت قليلاً بين تناول عشائي في البوفيه وبين تأجيله بسبب عدم إحكام الجوع قبضته عليَّ... وجلست لحظات لأرتاح فإذا بعميد تربية جامعة العلوم يجيئني بملابسه الشعبية فأستقبله ونجلس لحظات، ثم يعرض فكرة

القيام بجولة في أسواق اليمن ومعالمها... واخترقنا الأسواق وأنا أحسّ بارتياح وانسجام وعاينّا عدداً من البضائع، ثم غادرنا إلى الجبال المحيطة بصنعاء والتي تشرف عليها قريباً من الجندي المصري المجهول ومقبرة الصينيين...

كنت أحسّ بقدر من الاكتئاب، ثم قفلنا عائدين لكي أودعه وأهرع إلى المطعم قبل إقفاله لتناول وجبة لذيذة من السندويتشات والمايونيز، ولأتلقى مكالمة من الواسعي تم فيها الاتفاق على زيارتي مساء غدٍ... ثم لأجلس قليلاً في الصالة أطالع إحدى الصحف وما ألبث أن أتذكر ضرورة الإعداد لمحاضرة يوم غدٍ عن المستشرقين، فأخرج إلى الغرفة وأرتب المانشيتات في وقت قصير، وأحسّ بارتياح عميق وبعودة الانسجام إلى نفسي، ثم أخرج لكي أمارس رياضة المشي وأرجع فأقضي وقتاً مع التلفاز وأسلم رأسي للنوم...

الخميس: قضيت ليلة قاسية مع ضيق النفس الذي لم يدعني أنام، وسيطر عليَّ تخوّف من احتمال استمرار الحالة عبر كل الأيام والليالي القادمة وما قد يسببه للقلب والدم... وبدأت أفكر بإمكان تقليص الزيارة لأسبوع آخر...

واستيقظت صباحاً على الرشقة إياها من القلق والاكتئاب والإحساس بالهم والضياع... فهناك متاعب النفَس، وهناك جبهة الجائزة والخبر المقلق بخصوصها، حيث أنتظر بصبر نافد الطالب الذي وعدني بأن يجيئني بخصوصها بالنبأ اليقين، فلعله لا أساس له من الصحة وحينذاك سأرتاح...

قمت بتناول فطوري بدون شهية وتلقيت مكالمة من رئيس تحرير إحدى المجلات الإسلامية، أعلمني فيها أنه نشر نبأ قدومي في صحيفته ورتب معي موعداً... الأمر الذي زاد قلقي وانقباضي، خشية أن يكون الخبر بمثابة الفرصة السيئة التي ستعرف بها السفارة العراقية بوجودي. وقد يتصل بي مسؤولها طالباً زيارته، وقد يحملني بما كاد أن يحملني به رئيس الجامعة لولا أن اجتزت المحنة بسلام وحينذاك سأتعرض للدمار النفسي كرةً أخرى... اتجهت إلى الكلية مترعاً بالقلق وزرت إدارة مجلة المنتدى وسلّمتهم رسالة رعد الحيالي (رحمه الله) بخصوص نشر إحدى مقالاته...

ثم يممت صوب القسم حيث كان ينتظرني الدكتور عبد القهار ومنها إلى قاعة الدراسات العليا... وحمدت الله أن الخبيث لم يأت، وإن كان صديقه الذي على دينه قد جاء وقدم طروحاته السيئة لكنني عرفت كيف أكتسحه...

وتدفقت في المحاضرة وجرى حوار خصب مع الطلاب، وأعربوا عن ارتياحهم العميق وإعجابهم بالمحاضرة، وتوسّلوا أن يتلقوا المزيد منها. وبسبب العامل النفسي لم أحسّ بالضيق والتشنج رغم استمراري على الكلام مدة طويلة، فالحمد لله، وغادرت المكان سعيداً منسجماً لكي أجلس قليلاً مع طالب دكتوراه أسدي له النصح، ثم أمرُّ على العميد لترتيب السيارة فلا أجده فأحس بارتياح أكثر. وأغادر المكان إلى الفندق لتناول الطعام والقيلولة بانتظار مجيء رئيس القسم للقيام بجولة في أطراف صنعاء...

وفي الثالثة والنصف غادرنا المكان مجتازين العديد من الشوارع وأنا أحسّ بانسجام وارتياح وانتهى بنا المطاف عند حافة مرتفع يطل على وادي ظهر تقبع فيه قرية تدعى القابل... كان المنظر أسطورياً: الضباب المعلق والوادي السحيق، وحركة الأطفال في أعماقه كالحلم، وبساتين القات والجبال الصخرية الحادة المطلة على الوادي، والقلاع القادمة من عصور التاريخ السحيقة، وأحاديث رئيس القسم عن طقوس القات...

وفي العودة اصطحبنا ثلاثة من المخزنين لكي أراهم عن كثب، ثم ما لبث أن أوصلني إلى الفندق لأصعد إلى الغرفة على الحالة التي ألفتها كثيراً في رحلاتي: القلق والتشتت والاكتئاب، وهموم المطالب المعلقة وحصار المواعيد، وضيق النفَس الذي أطبق عليَّ تماماً...

لكنني ما ألبث أن انغمر في كتابة هذه المذكرات، فأدفن فيها همومي ومشاعري... أنزل إلى الصالة لاستقبال الواسعي، حيث تدور أحاديث شتى عن النشر والمجلات والحياة الشخصية. وما أن يغادرني حتى أسرع بتناول البوفيه قبل أن يدهمني أحد الزائرين، وقد شككت في اثنين جاءا لزيارتي فتسللت خفية إلى المطعم، وعندما غادرته متخماً تبين لي أنني كنت واهماً...

بعد قليل قدم حشد من الضيوف الموصليين، حيث قضينا ساعات ممتعة في أحاديث بديعة وتقويمات لمكانتي الفكرية في العديد من الدول والبرامج التي تتحدث عن أعمالي في العديد من الإذاعات... ولولا صخب الباند لكانت واحدة من الأمسيات العذبة... وبدأت بعد مغادرتهم رياضة المشي، ثم جلست إلى التلفاز، وأسلمت بعدها نفسي لنوم كانت تقطعه بين حين وحين نوبات من ضيق النفَس القاسي...

الجمعة: استيقظت على قدر من الارتياح وأنجزت العديد من الأعمال، وتناولت فطوراً من الموز في الغرفة، ثم غادرت الفندق بمعية أنيس وضرغام، حيث كنت مدعواً على الغداء... وبعد صلاة الجمعة وتبادل التحية مع العديد من سكان الحي الجامعي وتلقي العديد من الدعوات، اتجهنا إلى بيت الدكتور أنيس الليلة لتناول غداء شهي وتبادل الأحاديث والنكات...

ثم خرجنا مع العائلة إلى جولة طيبة في صنعاء، حيث كان الجو في أقصى درجات صفائه واعتداله، وقضينا وقتاً طيباً في إحدى السوبرماركتات، واتفقت على القيام بجولة أخرى للشراء عبر الأسبوع القادم بإذن الله، وأوصلوني إلى الفندق وأنا أكافح لمسات الاكتئاب والقلق لدى دخول الغرفة، لكي ما ألبث أن أغطي عليها بالكتابة قائلاً في نفسي: إنها أصبحت كالدواء المسكّن بالنسبة لي رغم ما في الدواء من مرارة...

وثمة ما أقلقني ظهيرة اليوم ووضعني في دائرة الحرج: مفاتحة أنيس وضرغام الدكتور عابد الهاشمي بضرورة منحي المكافأة التي أستحقها عن محاضراتي لجامعة الإيمان، وأشاروا إلى أن وضع العراقيين يقتضي الانتباه إلى ذلك من الجهات التي تدعوهم... ولم أشأ أن أردّ عليهم وملت إلى السكوت على مضض فيما تصورته نوعاً من الكدية التي لا تليق بي... وقررت مع نفسي أن أتصل بالهاشمي لتوضيح الموقف المحرج هذا... وثمة أيضاً مكالمة ضحى اليوم من رئيس القسم يقول فيها أنه رتب مع العمادة أمر تخصيص سيارة لي تقلني إلى الكلية، فشكرته رغم أنني أميل إلى الاستقلال في ذهابي وإيابي...

أستكمل مذكرات اليوم... وأتلقى دعوة بالهاتف من صديق صحفي على العشاء فأعتذر عنها... وأتابع الاطلاع على بحث رئيس القسم عن السيرة، وأدون بعض الخطوط والملاحظات الأساسية فأحس بارتياح عميق. فها أنا ذا أضع الخطوة الأولى لإنجاز هذه المهمة قبل أن تستنزف وقتي وتسبب لي القلق وترغمني، كما كان الحال أيام الأردن، على الاعتقال في الغرفة الساعات الطوال... وأقول في نفسي: إنها رحلة رائعة حقاً، لولا بعض المنغصات التي يبدو أن لا بدّ منها: مخاوف أوجاع الكلية، ضيق النفَس والأرق عبر الليل، التشنج القاسي عبر المحاضرات، مخاوف الحصول على الجائزة الخليجية التي حدّثني عنها أحد الطلاب... قلق معاملة المكافأة المالية واحتمال عدم إنجازها قبل سفري.. التخوف من وصول إعلان جريدة الصحوة إلى الجهات المعنية في صنعاء، واحتمال استدعائي للزيارة وما قد يترتب عليها من ويلات، لا لشيء إلّا بسبب خطئي بالسماح لأحد المسافرين على الطائرة التي قدمت عليها أن ينقل نبأ وصولي إلى إحدى الصحف الإسلامية... هناك أيضاً لحظات الاكتئاب والتشتت وربما الضجر والرغبة في اقتراب موعد الرجوع والاستقرار في بيتي وبلدي بعيداً عن زحمة المطالب والزيارات والمواعيد والمخاوف والأضواء!

أتناول عشاءً لذيذاً من الجمبري، ثم أجلس باسترخاء في صالة الفندق أنقح في بحث رئيس القسم وأطالع في الصحف مرتاحاً لعدم زيارة أحد... ثم أمارس رياضتي وأقفل عائداً إلى الغرفة...

السبت: ١٢/١٦: لم أنم إلّا قليلاً بسبب ضيق النفَس، واستيقظت لصلاة الفجر وأنا أعاني من التوجس من احتمالات النزيف... عند السادسة والنصف استيقظت مترعاً بالقلق والاكتئاب: فهناك ضرورة الحضور في الثامنة وإلقاء محاضرتين على مدى أربع ساعات... وهناك انتظار جواب الطالب بخصوص الجائزة الخليجية... جاءتني سيارة الجامعة وأقلتني إلى هناك وألقيت محاضرة طويلة في مناهج البحث على طلبة الصف الثاني... رغم إعيائي وضيق نفسي إلّا أن طبيعة الموضوع، واعتماد الأسلوب المتقطع أعانني على اجتيازها بسلام.

وازددت ارتياحاً عندما دخلت على طلبة الماجستير، وأحسست بانسجام عميق أعانني على تقديم محاضرتين عن الاستشراق وهموم الدراسات العليا بإبداع وتمكّن، وبتجاوز لشدّ التشنج وضيق النفَس. وأحسست بانسجام الطلبة التام وعمق المحبة بيننا، وغادرت القاعة لكي ألتقي بالطالب الذي حدثني عن الجائزة، فإذا بها سوء فهم لصديقه حول عبارة وردت في نهاية كتاب الأمة.

وأحسست بالفرح يجتاحني بسبب تجاوزي محنة صعبة فيما لو كانت هناك جائزة كبرى، ورحت أدعو الله ﷻ أن يقيني شر الحصول على جائزة العويس... وزادني انسجاماً أن يتعهد رضوان، موظف العلاقات في الجامعة، بمتابعة جدية لمعاملة الكفالة...

وعدت إلى غرفة رئيس القسم لكي أبدي رأيي في خطتَي بحث لطالبة وطالب بانسجام وارتياح، ولكي أغادر الكلية في سيارة أحد طلبة الماجستير، وأجيء إلى الفندق لكي أتهيأ لغداء بوفيه. لم تكن شهيتي للطعام قد تفتحت له. فكتبت بعض الشيء ثم يممت وجهي صوب المطعم... وخرجت وأنا ألعن البوفيه والإسراف وملء المعدة بألوان لا تعد ولا تحصى دونما شهية حقيقية، الأمر الذي جعلني أحسّ بالقرف وأقرر عدم تناول العشاء تعويضاً عما حشرته في معدتي حشراً من مقبلات وطعام وحلويات فضلاً عن أذى التوابل والملح والسكريات...

استطعت أن آخذ قيلولة عميقة، ولكن ما لبث أن قطعتها عليَّ مكالمة من تعز من أحد الأصدقاء اليمنيين طالت أكثر مما يجب فأذهبت النوم من عيني.

قمت لأداء الصلاة وشرب الشاي واللجوء إلى المسكنات، وهي عندي العمل والإنجاز... ثم ما لبث رئيس القسم أن جاء لاصطحابي إلى جامعة العلوم لمناقشة مفردات مناهج التاريخ... وعندما فاتحته بموضوع المكافأة المالية واحتمالات تأخيرها طمأنني عليها فأحسست بارتياح عميق.

جرت المناقشات، على ما يرام وتم الاتفاق على عقد اجتماع آخر بعد الاطلاع المتأني على المناهج وصياغة المقترحات الدقيقة... وقبل أن نغادر

المكان تم ترتيب التفاصيل المتعلقة بمحاضرتي القادمة في جامعة العلوم، حيث اعتذرت عن نشر الإعلان عنها في التلفزيون والصحف خشية أن تفتح عليَّ الباب الذي يُدخِل عليَّ الهواءَ الباردَ...

وغادرت المكان بصحبة عميد التربية، حيث قمنا بجولة ليلية في سيارته، وانتهى بنا المطاف في فندق الشيراتون، حيث تجولنا في صالاته وحدائقه، وجلسنا لكي نتحدث ونشرب عصير الليمون، وكنت أحسّ بإعياء شديد ورغبة في النوم بسبب سهر يوم أمس والجهود المكثفة عبر هذا اليوم... وأوصلني إلى الفندق، فألقيت نظرة على المطعم فإذا بالبوفيه لا يزال قائماً، تجاوزت قرفه وخرجت إلى الغرفة مشتتاً قلقاً فأمامي بعض المطالب الملحّة، وبخاصة الإعداد للمحاضرة التي ربطني بها رئيس القسم على غير سابق موعد صباح يوم غد... كنت تعباً مرهقاً لكنني ما لبثت أن تناولت كمية من الموز، وقمت برياضتي اليومية، ثم شمرت عن ساعد الجد، فأنهيت المطالب المستعجلة وأحسست بالارتياح...

الأحد: كان نومي على تقطعه بضيق النفَس أحسن من الليالي السابقة، واستيقظت مبكراً لأتناول فطوري ثم أتجه مع رئيس القسم إلى الكلية، حيث ألقيت محاضرة في قاعة جمال أمام حشود كبيرة من الطلبة عن ظاهرة الفتوحات الإسلامية... بعد أن قدمني رئيس القسم بسخاء باعتباري منظّراً للتاريخ الإسلامي وصاحب مدرسة فيه... الخ... كنت متمكناً تماماً وتدفق الموضوع بشمولية وتماسك ولم أعانِ من متاعب التشنج وضيق النفس بحمد الله. وعندما أراد الطلبة طرح أسئلتهم طلبت أن تكون مكتوبة، ثم تم الاكتفاء بأخذ الأسئلة في جيبي وعدم الإجابة عليها!!

زرت المنتدى لمتابعة موضوع رعد الحيالي وتم الاتفاق على موعد مطول لزيارتهم... اتجهت وعدد من الأساتذة إلى حفل قسم التاريخ حيث استُقبلنا بحفاوة، ورحب بي أحد المشرفين على الحفل ودعاني للصعود إلى المنصة... وجّه إليَّ عدداً من الأسئلة فأجبت عليها وتلقيت تصفيقاً حاراً، ثم همست في

أذنه أنني سألقي عليهم قصيدة، ونالت القصيدة (مناجاة في زمن الغربة) استحساناً كبيراً وقوطعت بالتصفيق مراراً... ثم نزلت لمتابعة الحفل حتى الثانية عشرة حيث أعلن عن انتهائه...

استقبلت في القسم عدداً من طلبة وطالبات الدراسات العليا، وأشار أحدهم إلى أنه اشترى اثنين من كتبي يوم أمس، وإلى أن عدداً من مؤلفاتي موجود في مكتبات صنعاء، وطلب الآخر قائمة مؤلفاتي الكاملة بآخر الإصدارات، وقال ثالث أنه من قرأ كتبي وأنه تأثر كثيراً بكتابي عن ملامح الانقلاب... وعرض عليَّ آخرون خطط بحوثهم وموضوعاتهم للماجستير فناقشتهم فيها... وجاءت طالبة من قسم اللغة العربية كانت قد حصلت على الماجستير لتقول أنها تكتب في الأدب وأنها بخصوص كتابة رسالتها للدكتوراه في اللغة... وأنها تتابع كتاباتي وتسألني النصح... وتحاورنا في نظرية الأدب وأمور أخرى، ثم غادرت القسم عائداً إلى الفندق وشيء من الاكتئاب يتناوشني لا أدري لماذا... وتناولت البوفيه بشهية أكثر قياساً على يوم أمس.

وصعدت إلى الغرفة لأقرأ قليلاً، وأرفع سماعة الهاتف وأنام، فأمامي وقت طويل لكنه لم يكن نوماً مشبعاً، كان من النوع السطحي المتقطع، واضطررت إلى القيام وأنا أتلقى رشقات من الكآبة لكي أشمر عن ساعد الجدّ وأبدأ بملاحقة المطالب... فبذلك وحده أستطيع حصار القلق والاكتئاب...

ثمة محاضرتان أضافهما رئيس القسم إلى جدول الأسبوع القادم. وتحديد لمواعيد وعناوين المحاضرة العامة والسيمنار، وعرض للقيام برحلة خارج صنعاء يوم الثلاثاء القادم... أعتذر عنها بسبب ارتباطي بموعد على الغداء، فيطلب تغييره ولكنني لا أحسم معه الأمر خشية إزعاج صاحب الدعوة... أنجز المذكرات وأصفي العديد من المعلقات وأكاد أن أكمل مقدّمتي لكتاب رئيس القسم فأحس بسعادة وارتياح بالغين، وأتصل بالهاشمي وأصفي معه ورطة مكافأة المحاضرات بالشكل الذي أرتاح إليه تماماً، ويتصل بي الدكتور منير البياتي فأرتب معه محاضراتي الثلاث في جامعة الإيمان...

ثم يدق عليَّ الهاتف حيث ينتظرني دكتور طارق وبعض الضيوف، فأنزل اليهم سعيداً متخففاً بعد إذ تناولت ما يمكن تسميته بفاليوم المفكرين والكتاب وهو الإنجاز، ويدور حوار طيب ويلحق بهم دكتور عمار يوسف، حيث أؤكد معه الموعد بسبب إحراجه بالتأخير، فأتجاوز قلق التأرجح بين الذهاب والاستجابة لرحلة رئيس القسم.

وأودعهم عائداً إلى الغرفة لتنفيذ المزيد من الإنجاز وأتناول عشائي في الغرفة: شيئاً من الموز وفستق العبيد تجاوزاً لقرف البوفيه... ثم أخرج لتنفيذ رياضة المشي، وأعود لأشهد التلفزيون، وأسلم نفسي لنوم عميق لم أعرفه منذ بداية وصولي صنعاء!

الاثنين: أستيقظ على الكآبة إياها وأتساءل: أهي حالة مزمنة أم أن وراء الاكتئاب سبب ما؟ لقد صفيت العديد من الهموم والمعلقات، وسددت معظم منابع القلق، فلماذا لا أستيقظ سعيداً؟ وأجد نفسي مرغماً على تذكر مدينتي وأحن إليها وإلى شوارعها ومقاهيها، وأقول لعلّي سأحظى بالفرح الضائع لدى الاستيقاظ عندما أعود بإذن الله، فلا أجد أيما شيء يقلقني، خاصة بعد اعتزامي إعادة ترتيب حياتي والكف عن اللهاث المجنون وراء مطالب الإنجاز التي لا تنتهي، والتي بدأت رحلتها المعذبة منذ عشرات السنين!

أتناول فطوري بدون شهية كالعادة، ويجيئني السائق لكي يقلني إلى الكلية... أتلقى دعوة لحضور مهرجان الطلاب الشعري، ولكن المحاضرة تقف في طريقه فأتجه إليها... أبدأ محاضرتي عن ضوابط إعادة كتابة التاريخ الإسلامي. فإذا بي أتلقى سؤالاً من طالب تبدو عليه آثار التشنج العصبي، وإذا بمفردات سؤاله تنصب في دائرة الكراهية الصفراء لثوابت العصر الراشدي من مثل اعتبار الردة حركة شعبية ومسألة التاريخ الديني!! الخ... أتمالك نفسي لكنه عندما يذكر الرسول (ﷺ) دون أن يصلي عليه أصرخ فيه بعصبية قل (ﷺ). فيقولها بامتعاض.

فما يكون مني إلّا أن أصب عليه حمماً من نار الغضب، وأجدها فرصة

للحديث عن المكانة والشرف اللذين قدمهما لنا رسول الله قبالة عصور الحكام والطواغيت، الذين ضيعوا كل شيء، وأن المرء فيهم ليقف أمام صاحب السلطان مرتجفاً معظماً، ولا يمنح المعلم الأكبر ما يستحقه من تقدير...

كانت كلماتي تتدفق كالحمم، وحاول الطالب أن يرفع يده فلم أعطه الفرصة، ثم ما لبث أن تبين لي أنه يريد مغادرة القاعة، فتركته يخرج وواصلت المحاضرة، لكن حالة التشنج والإعياء وضيق النفَس سرعان ما حاصرتني وحولت بقية المحاضرة إلى معاناة باهظة.

وقال اثنان من الطلبة أن الطالب المذكور قد لا يكون متعمداً، فأبديت لهما تقديري ووعدتهما بأنني سأتكلم معه فيما بعد... ويممت وجهي صوب قاعة المهرجان الشعري، ومنها إلى القسم، حيث تلقيت تقويماً لقصيدتي التي ألقيتها يوم أمس من عميد الكلية الجديد وأحد الأساتذة، وحيث طلب رئيس القسم محاضرة عامة أخرى. أشار به عليها العميد الجديد فأعربت عن استعدادي...

وطمأنني رئيس القسم بخصوص المكافأة وأنني سأتسلمها في وقت قريب، حتى لو اقتضى الأمر تقديمها من الجامعة مباشرة قبل استكمال الإجراءات... فأحسست بالمزيد من الارتياح، وعدت إلى الفندق لكي أكتب قليلاً وأتجه إلى المطعم لتناول بوفيه بقدر من الشهية، وأعود لأحظى بقيلولة طيبة أستيقظ بعدها لمواصلة الإنجاز، الذي لم تبق منه سوى مطالب محددة، قد أتحرر بعدها وأحظى بالمزيد من الجولات، التي عرضها عليَّ رئيس القسم ودكتور ضرغام وحتى طلاب الدراسات العليا... وثمة إحساس بالندم على افتراس أيامي ها هنا بمطالب العمل، حيث لم يتح لي حتى التجوّل في حدائق الفندق والشوارع المحيطة به والذهاب إلى السوبر ماركت القريب... وأقول في نفسي: أتراني أظل أضيع فرص العمر باللهاث وراء الإنجاز فإلى متى؟!.

أحس بارتياح عميق بإنجاز معلّقات أخرى... ويجيئني عند العشاء عدد من الأصدقاء لتناول العشاء لدى دكتور طارق العوسج (رحمه الله)، حيث تدور أحاديث

شتى في الطريق. وبعد عشاء طيب نستمع لتفاصيل عن النشاط الإسلامي في أمريكا وعن الانكسارات والشروخ التي تعاني منها هذه الدولة المهيمنة، والاحتمالات المستقبلية التي قد تنزل بها من موقعها العالي.

كان حديثاً خصباً وممتعاً... وتلقيت عبر الأمسية تقويمات سخية عن مؤلفاتي وتأثيرها وتم التعرف على المزيد من الأصدقاء. ثم قفلت عائداً إلى الفندق لأتلقى هاتفياً دعوة من صديق لرحلة إلى مأرب أطلب تأجيلها، ودعوة أخرى صبيحة الخميس لزيارة إحدى المدارس لمشاهدة إحدى الاحتفالات، فأوافق عليها، ثم أنفذ رياضيتي وأجلس قليلاً إلى التلفاز ثم أسلم نفسي للنوم فغدا أنا على موعد مبكر لرحلة صباحية مع رئيس القسم.

الثلاثاء: استيقظت صباحاً وقد فاتتني صلاة الفجر فقد غرقت في النوم...

الخروج أعادني إلى دائرة القلق مرةً أخرى... فها هو ماء المرحاض يميل إلى الحمرة القانية، ثم ما لبثت أن تذكرت سلاطة الشوندر فأحسست بقدر من الاطمئنان... تناولت فطوري ورحت أنتظر رئيس القسم الذي ما لبث أن جاء ليقلّني واثنين من منتسبي القسم في رحلة طيبة إلى منطقتي ثلا وكوكبان الجبليتين التراثيتين... اجتزنا القريتين على ارتفاع شاهق ألقى الخوف في قلبي لعدة دقائق، والتقطنا عدداً من الصور التذكارية وجلسنا لتناول الموز والشاي عند حافة المرتفع وجرت أحاديث طيبة، ثم ما لبثنا أن قفلنا عائدين حيث رحت أقرأ عليهم قصيدة (المحطات الأخيرة) بطلب منهم. ولكنهم على ما يبدو لا علاقة لهم بالشعر من قريب أو بعيد... وأخذ القلق يحاصرني بسبب فوات الموعد الذي ضربته في الفندق مع عمار، وقلت في نفسي إنه مكتوب عليَّ أن أتلقى المنغصات بأي ثمن...

ووصلت الفندق لكي أجد ورقة من دكتور عمار تعلمني أنه انتظرني وأنه سيعود إليَّ كرةً أخرى... أسرعت بتجديد الوضوء والصلاة ثم خرجت لاستقبال عمار، وما لبث أن جاء بمعية ضرغام، اعتذرت بحرارة فلم أجد منهم أي لوم.

واتجهنا إلى بيت عمار حيث اجتمع حشد طيب من الأصدقاء وتلقيت تقويمات عديدة، ثم تناولنا غداءً شهياً ورحنا نلتهم الفاكهة وسط الأحاديث والنكات...

وبعد صلاة العصر زرنا دار الاستراحة فلم أجد فيها بأساً. ثم يممنا صوب بيت ضرغام، حيث قضينا وقتاً طيباً ثم ما لبثوا أن أوصلوني إلى الفندق... بعد أن كلفني أحد الأساتذة بكتابة مقدمة لكتاب عن الاستشراق فوعدته خيراً...

ألقيت بنفسي على السرير، فقد كنت في أقصى حالات الإعياء والرغبة في النوم، ولكن كيف والدكتور التونسي سيجيئني بعد قليل؟ اتصل بي دكتور عبد الغني عميد كلية التربية ودعاني لحضور احتفال في ذكرى الانتفاضة، فاعتذرت بسبب الموعد. كما أتصل مسؤول الاتحاد في جامعة العلوم لتأكيد محاضرة يوم غدٍ. وما لبث الدكتور محمد التونسي أن جاء وأقلنا تاكسي إلى بيته، وفاجأني بأن أحداً من أصحابه لن يأتي في هذه الليلة بسبب ارتباطاتهم، ودعاني لبيته مرةً أخرى للتحدث إليهم فاعتذرت... كنت متعباً وتناوشتني الكآبة بعض الشيء ثم ما لبثت أن غرقت في مقابلة حوارية في الكاسيت، حيث أجبت عن العديد من أسئلته وأسئلة زوجته، التي قالت بأنها سترسَل إلي إحدى المجلات اللبنانية...

وبعد تناول العشاء غادرت البيت بصحبته صوب الشارع العام للبحث عن تاكسي، ولكن عمار ما لبث أن فاجأنا بمروره وأعرب عن استعداده لإيصالي...

في الفندق وجدت في نفسي القدرة على إنجاز عدد من الأعمال الكتابية واستعدت حيويتي بحمد الله... وبعد متابعة الأخبار غرقت في نوم عميق...

الأربعاء: قضيت ليلة قاسية مع ضيق النفس الحادّ، ولم يدعني أنام إلّا في الهزيع الأخير، وفاتت عليَّ صلاة الفجر مرةً أخرى... استيقظت على كآبة ثقيلة لا أدري سببها... حاولت دفعها فلم أقدر وقلت في نفسي إلى متى أهدر الفرص الجميلة في حياتي؟ ولكنني ما ألبث أن أجيب بأن الأمر ليس بيدي...

تناولت فطوري وأعدت النظر في الخطوط العريضة لمحاضرة اليوم في جامعة العلوم والتكنولوجيا عن (المنهج الجديد لدراسة حضارة الإسلام). وجاءني السائق لكي يقلني إلى هناك... لم أجد أحداً في استقبالي فانزعجت بعض الشيء، ثم ما لبث أحد الطلبة من الاتحاد أن اصطحبني مرحّباً إلى القاعة العليا... أحسست بضيق شديد في أنفاسي وتناوشتني وساوس شتى بسبب ما قيل عن قلة الأوكسجين في صنعاء لارتفاعها الكبير، وتخوفت من احتمالات النزيف والنزيف الدماغي، وقلت في نفسي لا عاصم إلّا الله ﷻ...

ما لبث أحد الأساتذة ومسؤولي الاتحاد أن قدموا وحضر عدد طيب من الطلاب، وألقيت محاضرتي بتمكّن ودونما أي قدر من التوتر، لكن ضيق النفَس المعهود ضيّق عليَّ بعض الشيء، وجرت مناقشات مخلصة بعد المحاضرة. ثم ما لبثت أن أعتذرت بسبب ضيق الوقت والإعياء وأنا أقارن في نفسي بين إخلاص هؤلاء الطلبة وتشبثهم بالحق واحترامهم للثوابت، وبين ضياع الكثير من طلبة قسم التاريخ في كلية الآداب وانحلالهم الفكري...

نزلت لتوديع مساعد مدير الجامعة فاستقبلني بحفاوة بالغة ولحقه رئيس جمعية الإصلاح الخيرية ـ التي أنشأت هذه المؤسسة الواعدة ـ الدكتور طارق سنان، الذي حدثني عن مشاريع الجمعية المكثفة ورحب بي بحرارة...

وأعربت لهم عن إعجابي بالتجربة وأن الجامعة واحدة من النماذج القليلة في ديارنا العربية والإسلامية رغم عمرها القصير، وأن أسلوب الخدمات الاجتماعية والعلمية لهو الأسلوب الأكثر عطاءً في دائرة النشاط الإسلامي. وقلت لهم بأن يعتبروني جندياً في جامعتهم هذه. ثم غادرت المكان لكي يقلني السائق إلى قسم التاريخ، حيث لم أجد العميد لتسليمه سيرة الحياة والجدول الأسبوعي بخصوص معاملة المكافأة، فقفلت عائداً إلى الفندق لتناول وجبة غداء شهي من المايونيز والجمبري، حيث لم يرتب البوفيه المقرف هذا اليوم بسبب مغادرة الكروب السياحي والحمد لله.. لكن ثمة ألم خفيف في ضرسي الأيسر بدأ يتناوشني منذ عدة أيام ويسبب لي بعض القلق...

استطعت أن أحظى بقيلولة رائعة لمدى ساعتين. ولما استيقظت في الرابعة وجدتني أتلقى رشقات خفيفة من الكآبة، ما لبثت أن طردتها بالتشمير عن ساعد الجد والبدء بمتابعة بقايا المعلّقات الكتابية... حيث كانت تقطع عليَّ العمل مكالمات من العديد من المعارف والأصدقاء، الذين يطلبون موعداً للقاء... تماماً كما حدث في القسم هذا اليوم، حيث طلب أحد الصحفيين إجراء مقابلة معه فأعطيته موافقة مبدئية...

وخلال ثلاث ساعات كدت أنجز كل المعلّقات المتبقية، وأحسست بارتياح عميق ونزلت لاستقبال ضيوفي: الأشقر وأصحابه، حيث جرت أحاديث خصبة وحيث وضعني الرجل في تقويمه السخي في مصاف الغزالي والقرضاوي والبوطي... وما لبث أن جاءني دكتور عصام الكاتب وابنه، حيث امتدت الأمسية حتى الحادية عشرة، وترددت في تسليم أربع مقالات للأشقر لتقديمها لمجلة النور، وذلك بسبب الحساسيات المالية، لكنني ما لبثت أن ملت إلى تقديمها للواسعي نفسه، فعسى أن تجيئني بمكافآت مجزية... أتناول عشائي في الغرفة: وجبة سندويتشات شهية تدعى (تلال حدة) ثم أقوم برياضة المشي وأشاهد نشرة الأخبار وأسلم نفسي للنوم...

الخميس: ١٢/٢١: شدد عليَّ ضيق النفَس الخناق في النصف الثاني من الليل واستيقظت وأنا أدافع الاكتئاب... وبعد الفطور جاءني اثنان من الأصدقاء لنذهب إلى مدرسة هايل لحضور احتفال بمناسبة الإسراء والمعراج... كان الاحتفال جيداً وآلاف الفتيان والفتيات منتشرين في الفناء. وجلست مع المدعوين وتم الترحيب بوزير التربية وبي، وقال العريف مرحباً: «**إنه ضيف اليمن الكبير**» وأنا أردد مع نفسي ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء، وكادت عيناي تدمع وأنا أستمع لأناشيد الطلبة المؤثرة متذكراً مقاطع من حياة رسول الله (ﷺ)... وتم التعرف على أمين العاصمة وعدد من كبار المدعوين، وتلقيت تقويمات سخية ودعوة من عميد كلية التربية لإلقاء محاضرة هناك... وقال أحد مدرسي التاريخ أنه يتابع كتاباتي بشغف...

وقمنا لزيارة المعارض، حيث قُدمت هديتان قيمتان إحداهما لي والأخرى لوزير التربية، وغادرت المكان لكي أقدم اللوحة الجميلة هدية لقسم التاريخ... وزارني أستاذان من العراق يعملان في اليمن: مدرس تاريخ ومدرس فيزياء، ودعواني لتناول الغداء فاعتذرت... كنت قد بلغت أقصى حالات الإعياء وحصار النفَس... كما هو شأني دائماً عندما تزدحم المناسبات والتقويمات والزيارات والمطالب وأجد نفسي في مركز الضوء والجهد معاً... وأقول في نفسي: لربّ جلسة منفردة في مقهى عتيق في مدينتي بعيداً عن الأضواء والناس، وحيداً مع الكتابة والكتاب خيرٌ لي من هذا كله... ثم ما لبثت مع رئيس القسم وعدد من التدريسيين أن غادرنا الغرفة ميممين صوب إحدى القاعات لإلقاء محاضرتي في السيمنار المخصص لتدريسيي وطلبة الماجستير...

وفوجئت بوجود كل الخصوم الذين أحمل حساسية حادة تجاههم: الهبو العلماني وأحمد اليساري وفائز النصراني والطالبان الشيوعيان الخبيثان... وتذكرت اللحظات القاسية زمن السيمنارات في كلية الآداب والصراع القاسي ضد خضر الدوري وأصحابه المنحلين فكرياً، وتوجسي المبالغ فيه من الهزيمة، وضرورة أن أخرج منتصراً بأي ثمن، وإلّا عرّضت عقيدتي وقناعاتي لرياح السموم...

قدّمني رئيس القسم بسخاء وبدأت أتكلم عن المنهج الجديد لدراسة حضارة الإسلام، وفتح الله ﷻ عليَّ فانطلقت بتدفق وتمكّن وإمساك بتلابيب الموضوع أعرض وجهات نظري في المشروع المقترح... وبدأت الأسئلة... ولكني رددت عليهم واحداً واحداً بما منحني القناعة والفرح والرضا... ومن عجب أن المذكورين جميعاً أساتذة وطلبة دراسات عليا كانوا من بين المناقشين...

وغادرت القاعة وأنا أكاد أطير على جناح الفرح الطاغي. والتقطنا صوراً تذكارية في حدائق الكلية... إحداها وأنا أضع يدي على كتف أحد الطالبين الشيوعيين، لعلّه يتذكر يوماً أن المحبة الإسلامية هي فوق كل الضغائن والأحقاد...

وغادرت الكلية بمعية رئيس القسم، ولحقني طالب دراسات عليا يريد رأيي في موضوعه للماجستير... وأكد لي رئيس القسم أن مكافأتي التي طالما سببت لي القلق لاحتمال عدم دفعها في الوقت المناسب، مضمونة وأنه لا ضرورة للقلق بشأنها... ودخلت الفندق سعيداً فرحاً... ثم خرجت إلى المطعم لتناول الطعام... كان يقف هناك أحد العاملين فنقل لي تقويم ابن عمه في محاضرتي في جامعة العلوم، فحمدت الله في سرّي على ما حباني من فضلٍ... وتذكرت حديث رئيس القسم خلال العودة حول تعليق رئيس الجامعة، فانقبضت بعض الشيء قائلاً في نفسي: يبدو أن ليس ثمة مكان في هذا العالم يخلو من الحساسيات والصراعات والمنغصات...

لقد اعترض الرجل على لقائي برئيس جامعة العلوم وعميد التربية فيها، كما أعرب عن عدم ارتياحه لإلقائي محاضرة هناك!! وبدأت بتناول الغداء... وأزعجني ألّا أجد في السمك اللذيذ الي أردته بدون صلصة ذرة من ملح، وأحسست بالقرف، وغابت شهيتي، ورجت أكداس الطعام في معدتي دون تلذذ... وقلت لعلها بدايات رد الفعل المعهود في أعقاب كل تجاوز لمعضلة ما... وأخذت عهداً على نفسي ألّا أسرف بعد اليوم في الطعام فأضعها في الحالة إياها... رجعت إلى الغرفة لكي أسلم نفسي لقيلولة عميقة وأستيقظ بعدها دون أي قدر من الاكتئاب. فها أنا ذا اليوم على موعد في بيت دكتور عابد الهاشمي لتناول العشاء وقضاء الأمسية مع ثلة من الأحبة... فأين يكون الاكتئاب سيما وقد أنجزت كل المعلقات تقريباً، وتجاوزت بئر السيمنار العميق!!

أنجزت كتابة مذكرات اليوم والقسم الأخير من مقدمتي لكتاب رئيس القسم عن السيرة والراشدين وأحسست بارتياح عميق... وعند المغرب اصطحبني دكتور عابد إلى مركز البحوث التابع لجامعة الإيمان، فتلقاني مديره الدكتور الزنداني والعديد من الأساتذة السودانيين واليمنيين والسوريين بالترحاب العميق، وأكدت على دكتور منير موضوع محاضرتي المقترحة

للجامعة، كما سلّمت مقالاً لدكتور عباس محجوب ليتولى نشره في إحدى الصحف السودانية.

ثم غادرنا المكان إلى بيت دكتور عابد، حيث تناولنا عشاءً طيباً وقضينا واحدة من أجمل الأمسيات في رحلتي هذه، تم فيها تبادل الجّد والهزل والأحاديث الشيقة في التاريخ والمذاهب والأدب، وانضاف إلينا رئيس قسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية رغبةً في التعرّف عليَّ، وأعرب عن إعجابه وتقديره لمؤلفاتي، وتساءل عن أعمالي الأخيرة كما طلب إلقاء إحدى قصائدي. فألقيت قصيدة (والموعد الله) وتناولنا الفاكهة، واستمرت الأحاديث الطيبة وأعرب الحاضرون عن سعادتهم بوجودي...

ووجه دكتور رياض البنّا دعوة على الغداء قبلتها بعد إلحاح، وتسلمت عدداً من الكتب هدية من دكتور عابد، ثم ما لبث أن أوصلني إلى الفندق، لأمارس المشي في ساعة متأخرة وأقضم كمية كبيرة من الفول السوداني، وأشاهد لقطات من التلفاز، ثم أسلم رأسي للنوم بانتظار موعد يوم غدٍ مع دكتور ضرغام للقيام بجولة في صنعاء إن شاء الله...

الجمعة: ١٢/٢٢: استيقظت سعيداً فأنا على موعد مع دكتور ضرغام وحسين الليلة لجولة في صنعاء، وانطلقنا إلى صنعاء القديمة مخترقين أزقتها التراثية، ومطّلعين على أحد دورها العتيقة، ثم زرنا مسجدها الكبير واستمعنا إلى طفلة تحدثنا بذاكرة حادة عن الأحاديث التي قيلت في عليَّ (رضي الله عنه) والتي أُلصقت به زيفاً وبهتاناً...

تحولنا إلى السوق واشترينا عدداً من الدروع وسألنا عن بضائع أخرى. واتفقنا على القيام بجولة أخرى للشراء بعد إذ أدركنا الوقت... فصلينا الجمعة في جامع الشهداء الذي يمثل واحداً من أروع ما رأيته من الجوامع في حياتي، ثم عدنا إلى بيت ضرغام لكي نتناول مع حشد من الأصدقاء غداء شهياً من الرز والجمبري والفاكهة، ونقضي وقتاً طيباً في أحاديث الجد والهزل، ونستمع

لقصيدة لحسين تعد بإمكانية طيبة... بعد صلاة العصر خرجت وعائلة دكتور أنيس الليلة لشراء الشيكولاتة وبعض الملابس...

كنت متعباً إلى حد كبير، ضجراً من مسألة المشتريات والصبر الطويل لزوجة أنيس في المعاملة والمتابعة.. وقلت في نفسي إن قضية المشتريات هذه لهي واحدة من أتعس الحلقات في رحلاتي... وازددت ضيقاً بعد إذ فشلنا في شراء الدشاديش المناسبة، أما النساتل فقد اشتريت المطلوب وأحسست بقدر من الارتياح لعدم ضياع وقتاً عبثاً... صلينا المغرب في جامع هناك ثم عدنا إلى البيت لنتوجه مباشرةً لزيارة أحد الأساتذة، حيث دارت أحاديث شتى...

ثم توجهنا إلى الفندق، حيث جلسنا نتحدث ونأكل الآيس كريم، وزارني الشيخ الواسعي وسلمته أربع مقالات للنور، وارتحت للتلميح له بالطريقة التي يرسل بها المكافآت، وزادني ارتياحاً أن أتلقى عدة مكالمات تم فيها تثبيت مواعيد محاضرة المعهد العلمي صباح الغد، وزيارة محرري الصحوة مساءً، والذهاب بمعية رئيس القسم إلى إدارة الجامعة لمتابعة معاملة المكافأة ضحى...

وجاءني رعد وأحد أصدقائه فاستكملت الأمسية بمعيتهم... ثم عدت إلى الغرفة متعباً، لكي أسلم رأسي لنوم عميق فوّت عليَّ صلاة الفجر...

السبت: استيقظت على الكآبة إياها وتناولت فطوري ثم اتجهت بالسيارة إلى الكلية، حيث ألقيت محاضرتي للصفوف الثانية عن منهج البحث، وما لبث أن جاءني رئيس القسم لأخذ جواز السفر... وبعد الانتهاء من المحاضرة صعدت إلى القسم، حيث عاد رئيس القسم ليصطحبني إلى إدارة الجامعة...

كنت مشدود الأعصاب بسبب ضيق الوقت وضرورة إنجاز المعاملة والعودة ثانية إلى القسم في غضون نصف ساعة، حيث سيجيئني صديق يصطحبني إلى المعهد العلمي لإلقاء محاضرتي...

وهناك في إدارة الجامعة حدثت بعض التأخيرات، وفوجئت باعتراضهم على المدة وضرورة أن أكمل الشهر كله أو أتنازل عن حقوقي للفترة بين (٢٩/

١٢ و١/٨)، وكدت أتعرّض لخسارة مادية قاسية لولا مجيء العميد السابق في اللحظة المناسبة ووقوفه ومساعد مدير الجامعة ورئيس القسم بإخلاص من أجل حصولي على المكافأة كاملة...

وبعد دقائق من القلق تم الاتفاق على عدم ذكر تاريخ مغادرتي الفعلي واعتبارها شهراً... غادرت ورئيس القسم الإدارة وأنا أحسّ بسعادة غامرة، وقلت له على سبيل الاحتياط أن بمقدوري إذا أصرّت الإدارة على المدة أن أبقى فترة أخرى... اتجهت والصديق إلى بناية المعهد العلمي، حيث استُقبلت بحفاوة بالغة وتلقيت تقويمات سخية. وقال أحدهم أنهم تربوا على مؤلفاتي وأن بعضها كان يقرأ عبر الحلقات والرحلات...

وصعدنا إلى المسجد لكي نجد أنفسنا قبالة حشد كبير من الطلبة، حيث تم تقديمي من قبل أحد المدرسين مشيراً إلى أنني ربيت بفكري جيلاً من الإسلاميين... وكنت في سرّي أحمد الله على هذه النعمة، قبل أن أبدأ بإلقاء محاضرتي عن دراسة الحضارة كأسلوب لاستعادة الثقة، حيث تدفقت الأفكار والكلمات بانسيابية وتمكّن، مع شيء من الإحساس بالجهد.

وأنهيت المحاضرة وأنا أحسّ بسعادة بالغة، وأوصلني عدد من الأصدقاء إلى الفندق بعد أن اعتذرت عن دعوة للغداء...

تناولت غداءً طيباً وفق خطتي الجديدة، التي تعتمد على عدم الإكثار من الطلبات، ثم عدت للغرفة لكي آخذ قيلولة طويلة لكنها متقطعة، ثم أستيقظ عصراً على رشقة من الكآبة سرعان ما امتصصتها بالعمل... وعند المغرب جاءني أحد العاملين في المنتدى، فاتجهنا إلى هناك، حيث دار حوار خصب في مختلف الموضوعات تدفق فيه الكلام على لساني، وقال مدير الصحيفة أن كتاباتي تتميز بالعمق الذي قد لا يدركه القارئ العام، فبينت له الأسباب من مثل تأثيرات الأكاديمية، وعدم إتاحة الفرصة للخصم باتهام الكتابات الإسلامية بالتضحل...

وودعتهم وعدت إلى الفندق لأجد صديقاً من جريدة اليقظة بانتظاري،

واتجهنا سوية إلى إدارة المجلة، حيث التقيت بحشد من الصحفيين والأدباء والمثقفين... وتلقيت تقويمات سخية وحشداً من الأسئلة بخصوص الأدب الإسلامي والوضع العالمي والقضية الفلسطينية، فأجبت بتدفق وعمق ثم طلبت الاستماع إلى قصيدة من أحد الشعراء وكان قد أهداني ديوانه... وانتهت الجلسة بأن يسألوني عن بطاقتي الشخصية ومشاريعي القادمة... وبأن قرأت عليهم اثنتين من قصائدي. ثم قفلت عائداً إلى الفندق وسط إحساس قاسٍ بالاكتئاب لم أستطع دفعه إلّا بعد وقت طويل... استمعت إلى النشرة الإخبارية في التلفزيون، بعد أن تناولت عشائي في الغرفة من السندويتش، ثم انكببت على العمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

نسيت أن أذكر بأن هاجس التخوف من احتمالات النزف والمتاعب القلبية من جراء ارتفاع صنعاء حاصرني بعض الوقت...

الأحد ١٢/٢٤: استيقظت على رشقات قاسية من الكآبة والقلق... الكآبة معروفة ولكن لماذا القلق؟ لعل السبب في كثرة المعلقات التي تتطلب حلًّا سريعاً: التوفيق بين تثبيت الحجز على الجمعة واحتمالات طلب تمديد بقائي... احتمال تأخر معاملة المكافأة وضرورة تحريكها بشكل أسرع... الاتصال بعميد التربية لترتيب موعد المحاضرة العامة... محاضرتي عن نشوء الحضارات في كلية الآداب... ضرورة زيارة المقالح رئيس الجامعة... تهيئة دواوين البرذوني لحكمت صالح... استكمال المسواق المعلق... اتخاذ قرار بصدد شراء جهاز التسجيل وتجاوز التردد، معضلة المحاضرات المعلقة في جامعة الإيمان وضرورة حسمها والتردد في مفاتحة إدارييها...

وتناولت فطوري بدون شهية على الإطلاق كمعظم الأحيان، وانتظرت السائق فلم يأت، فركبت الدباب وأنا في أقصى حالات القرف، ونفاد الصبر، والضيق النفسي والرغبة في التحرر من كل التزام، تماماً كالحالة التي بلغتها أيام متابعتي للرحلة في الموصل...

ورغم أنه لم يتبق أمامي سوى أيام قلائل، فإني رحت أتصوّرها دهراً

طويلاً يصعب عبوره... وحلمت بالاستقرار في مدينتي والانعزال في مقاهيها بعيداً عن الهموم والمطالب والملاحقات والقلق، التي افترست من حياتي مساحات واسعة...

وصلت الكلية وبعد قليل توجهت وأحد أساتذة القسم إلى القاعة، ففوجئت بقلة ملحوظة في الحضور... وبدأت محاضرتي بعد أن قدّمني الأستاذ اليساري (!!) ورحت أتكلم بتمكّن وهدوء دونما أي قدر من التشنج أو الإعياء... واحدة من أبدع المحاضرات في حياتي... وتلقيت بعدها أسئلة مكتوبة حسب طلبي، أجبت على معظمها ثم أنهينا اللقاء...

تقدم الكثيرون من الأساتذة والموصليين والشيوخ، كالواسعي وغيره للإعراب عن تقديرهم... واتجهت إلى القسم بصحبة عدد من الأصدقاء من الموصل، حيث حصلت على دواوين البرذوني، والمبلغ الذي استبدله لي حسين، كما رتبت موعد وعنوان محاضرتي في التربية، وأحسست أنني أطفأت منابع عديدة للقلق... وتزاحم عليَّ الطلبة، وراح أحدهم يعرض عليَّ موضوعه للماجستير لكي أبدي رأيي في خطته، وقال آخر أنه سيجيئني غدا ببحثه، وتقدمت طالبتان لكي تبديا إعجابهما بمحاضراتي ومؤلفاتي وأنهما قرأتا الكثير منها، وجرى تعارف مع أستاذ التاريخ الحديث وتبادل للعناوين... وطلب آخر قصائدي لتصويرها...

ووقفت لحظات مع رئيس القسم للتأكيد عليه بضرورة تحريك معاملة المكافأة في الإدارة قبل أن يفوتني الوقت، فوعدني بأنه سيصطحب العميد معه يوم غد لمتابعة الموضوع، أما بخصوص تثبيت الحجز فيمكن إجراؤه ولن يؤثر ذلك على إمكان تمديد بقائي...

وغادرت القسم في سيارة أحد طلبة الماجستير وأنا أحسّ بارتياح وأسترجع بعض فرحي الضائع... تناولت غدائي الذي لم يتجاوز كالعادة الجمبري المقلي الذي بدأت أملّه، وجرى الحوار كالعادة أيضاً مع جارسون المطعم المثقف ذو التوجه الإسلامي الطيب... وعدت إلى الغرفة لكي آخذ

قيلولة متقطعة، وأستيقظ بعدها لإنجاز بعض المهام وشرب الشاي، وإجراء عدد من المكالمات الهاتفية للعديد من أولئك الذين زاروني ولم يجدوني، ولأولئك الذين لا يزالون يلاحقونني لإلقاء محاضرة هنا أو هناك معرّبين عن محبتهم واعتزازهم...

وعند الغروب يممت وجهي وطالب الماجستير إلى جامعة العلوم والتكنولوجيا، حيث اجتمعت واللجنة المشكلة لتوصيف مناهج التاريخ لإنهاء المهمة... وبعد عدة ساعات من تبادل وجهات النظر بألفة ومحبة أنجزنا المطلوب، وسمعت من رئيس القسم ما يوحي بأن هناك مكافأة ما على هذا الجهد...

وعدت بمعية رئيس القسم، حيث أكدت على ضرورة معاونة دكتور عبد الرحمن الحجي ودكتور محسن عبد الحميد لتحقيق فرصة لهما في كلية الآداب فوعدني خيراً، وقدّم لي هدية قيمة: الخنجر والحزام اليماني التراثي، وقطعة قماش وكمية من القهوة اليمنية... وشعرت بأنه أضاف إلى أعبائي عبئاً جديداً في المواد التي سأحملها معي عبر الطريق الطويل...

ودخلت الفندق مرهقاً مثقلاً وأنا أعاني قلقاً من الآلام التي أخذت اليوم تداعب ظهري، ولم أكن أعرف تماماً هل هي الكلية أم الفقرات؟ وكان يستقبلني في صالة الفندق دكتور عمار يوسف واثنان من الأساتذة جاؤوا لزيارتي، أحدهما من اليونسكو الصحية والآخر دكتور في الفيزياء... بعدها تناولت عشاءً في البوفيه ثم جلست قليلاً في الصالة.

وعدت إلى الغرفة حيث ينتظرني العديد من الأعمال... ورحت أصفيها الواحدة تلو الأخرى، وأنا أشعر باستعادة توازني النفسي شيئاً فشيئاً وتجاوز حالة القلق والاكتئاب... واتصلت بأحد الزائرين أعتذر عن عدم وجودي فإذا به في مركز متقدم مسؤولاً عن الثقافة والإعلام في جمعية الإصلاح، فطلبت منه زيارة أخرى فأعرب عن ترحيبه وامتنانه.

كما اتصلت بالدكتور عبد الغني عميد كلية التربية أطمئن على صحته بعد

إصابته بالانزلاق الغضروفي. فإذا به يلحّ عليَّ بضرورة القيام برحلة إلى عدن وحضرموت بالطائرة، وأنه بمجرد موافقتي سيفاتح مدير الجامعة بالأمر. فوعدته خيراً في حالة تمديد بقائي. ثم انكببت على كتابة المذكرات قبل أن أجلس قليلاً إلى التلفزيون لسماع الأخبار... ثم أسلم نفسي لنوم متقطع بسبب حصار ضيق النفَس...

الاثنين: استيقظت على قدر من الارتياح بخلاف يوم أمس... تناولت فطوري ثم اتجهت إلى الكلية، حيث ألقيت محاضرة محايدة عن الأدب والتاريخ لطلبة الصف الرابع، وكانت واحدة من أنجح المحاضرات الصفية، ولم أشعر خلالها بأي تشنج أو إعياء... خرجت إلى القسم لأجد حشداً من الطلبة والمعارف بانتظاري. وكانت البداية السعيدة بشرى رئيس القسم بحسم موضوع المكافأة بمعية العميد واحتمال تسلّمها يوم غدٍ، وتثبيت الحجز وتجاوز إشكالية البقاء لأسبوع آخر، وأحسست أنني أكاد أطير فرحاً بعد سلسلة الضغوط التي تعرّضت لها قبل الرحلة وأثنائها... فالحمد لله القائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]...

وازددت ارتياحاً بقبول رئيس القسم لتوصيتي بدعوة كل من الحجي ومحسن عبد الحميد، وباعتماد مادة (التفسير الإسلامي للتاريخ) في فصل كامل في جامعة العلوم قبالة دراسة التفاسير الوضعية في فصل آخر، ووعدته بإرسال ما ينقصه من مؤلفاتي التاريخية، كما أنه وافق على تغيير محاضرة الأربعاء في الآداب من (قيمة التاريخ) إلى (اللغة والأدب والتاريخ)...

وانصرفت للإجابة على أسئلة أحد الطلبة بتدفق وارتياح، كما أعدت تصميم خطة بحث لطالب ماجستير يدرس في جامعة الخرطوم. وعرض عليَّ صحفي في (الحرية) إجراء حوار، وأعرب عن استعداده لإيصالي إلى الفندق... كما تم الاتفاق مع رئيس القسم على زيارة لمدير الجامعة، ولم يبق ثمة أية معلقات في الكلية قد تسبب قلقاً أو همّاً...

وغادرت المكان سعيداً فرحاً فيما لم أكد أتذوق طعمه منذ زمن بعيد...

وفي صالة الفندق انتظرت دكتور عمار لكي نذهب سوية إلى دعوة غداء في شقة دكتور رياض البنّا، حيث التهمنا الطعام الموصلي اللذيذ بشهية بالغة... ثم ما لبثت ردود الأفعال اللعينة أن أخذت تتناوشني كما هو الحال دائماً... حديث دكتور عابد ونحن نتوجه إلى بيته بانتظار عودة دكتور عمار ليعيدني للفندق حول احتمال عودة الفتقة، وخطورة رفع أي ثقل يتجاوز الثلاثة كيلوات لمدة عام بأكمله بعد إجراء العملية، وتذكرت، والهم يعتصرني، كيف أنني عبر رحلتي العجيبة هذه رفعت حقائب تفوق هذا الوزن بكثير، ولمرات عديدة عبر مجيئي، وكيف أن عليَّ أن أحمل أضعاف ذلك خلال عودتي بالبضائع والهدايا... وقلت في نفسي من يدري فلعل الفتقة عادت مرةً أخرى وأنا لا أدري...

وعدت إلى الفندق بصحبة دكتور ضرغام متعباً مهموماً. واتفقت معه على جولة المسواق الأخيرة مساء يوم غدٍ واتجهت إلى الغرفة لكي أرتاح قليلاً ثم أشمر عن ساعد الجد لإنجاز المعلقات، حيث أنسى تماماً كل وساوسي وهمومي... وتلقيت مكالمة من أكثر من صديق يريد زيارتي اعتذرت عن إحداهما، وقبلت الأخرى مع مقبول النعمة وجماعته بعد التاسعة من مساء اليوم...

هذا وقد أعلمني دكتور عابد عن تأجيل لقاء (الإيمان) إلى أسبوع آخر بسبب ارتباطات مديرها، وأنه لن تتاح فرصة لقائه إلا بعد أسبوع، فأحسست بارتياح لتخلصي من قلق ترتيب محاضراتي هناك، وبالندم لعدم اهتبال فرصة عرض المدير عليَّ أول مرة إلقاء محاضرة هناك، فقد تكون فرصة لمكافأة طيبة... ولكن ما كان كان...

استمرت آلام الظهر، وربما الكلية تداعبني بهدوء، وتثير بعض القلق، لكنني أقول في نفسي: إن هي إلّا أيام قلائل وأجد نفسي في مدينتي بين أهلي وأطبائي المتمرسين... وليحدث هناك ما يحدث...

دق جرس الهاتف، وإذا بعميد التربية يفتح جبهة جديدة... يبدو أن القلق

والتشتت سيلاحقاني حتى النهاية، قال بأنه أتصل برئيس الجامعة وطلب إعداد سيارة تذهب بي إلى مأرب، حيث سيكون محافظها في استقبالي للتجوال في المتحف والآثار والاطلاع على السد وتناول الغداء... واختار يوم الأربعاء موعداً للرحلة، فأعلمته أنني مرتبط في اليوم المذكور بمحاضرتين عامتين، قال: يمكن تأجيلهما، وإنها لفرصة قد لا تعوض. قلت له: إن أناساً عديدين اعتمدوا الموعد المذكور وإنني مقبل على سفر بري طويل أحتاج فيه إلى ادخار طاقتي... قال: إن بمقدورك أن تؤجل بقاءك في صنعاء أسبوعاً آخر. فأجبته وأنا أتذكر الكآبة والهموم التي تناوشتني عبر الرحلة، وأحلم بالعودة إلى أهلي وزوجتي وأطفالي: هذا غير ممكن، وإزاء إلحاحه قلت: لعلي أجد يوم الخميس متسعاً وسأتصل بك...

أقفلت الهاتف وأنا أحسّ بأنني دخلت نفقاً جديداً. وجاءني مقبول النعمة ورعد ومازن فعرضت المسألة عليهم، فأعرب مقبول عن استعداده للسفر معي ما دام عميد التربية لا يستطيع بسبب مرضه، وقال إنها فرصة يفضل ألّا تفوّت... وأحسست بقدر من الارتياح وانشرح صدري للرحلة وقلت في نفسي ها قد تجاوزت التردد والقلق فالحمد لله... جلسنا نتحدث حتى الحادية عشرة فودعوني واتجهت إلى الغرفة دون أن أتناول عشاءً لأمارس رياضة المشي، وأشاهد التلفزيون وأحظى بنوم عميق...

الثلاثاء: استيقظت مبكراً لأتناول فطوري ولأستقبل صديقي اليمني القادم من تعز لزيارتي وبصحبته دكتور عبد الهادي، وتحدثنا حوالي الساعة ثم انطلقنا بالذهاب إلى القسم، حيث ألقيت محاضرتي الأخيرة على طلاب الصف الرابع عن منهج البحث، كنت أعاني من ضيق شديد في النفس، لكنني بسبب انسجامي في الموضوع وتجاوب الطلبة معي أستطعت أن أدافعه. ثم غادرت الصف صوب القسم وفي الطريق بسبب من الإعياء وضيق النفس انتابني للحظات دوار مفاجئ، اضطررت على أثره إلى الإمساك بالسياج، ثم ما لبثت أن استعدت توازني بحمد الله...

زارني في القسم اثنان من طلبة الإعلام ذكرا أنهما قرآ معظم مؤلفاتي، كما عرض عليَّ طالب ماجستير خطة بحثه وقال إنه يتابع مؤلفاتي بشغف، وزارتني معيدة في قسم اللغة العربية لتطلعني على بحثها الخاص عن الالتزام، وقالت أنها تتابع أعمالي الأدبية باهتمام... وانتظرت رئيس القسم لأعرف مصير معاملة المكافأة بدون جدوى... وجاءني مدرسون من قسم الآثار والعربية لكي يدعوني إلى حفل غداء ظهيرة الخميس لتوديع العميد السابق والترحيب بالجديد، فاعتذرت لاحتمال سفري إلى مأرب... غادرت الكلية وأنا في أقصى حالات الإعياء، وتناولت غدائي من الجمبري والمايونيز، ثم عدت للغرفة لكي آخذ قيلولة سريعة، ثم أركب الدباب اليمني للالتقاء بضرغام واستكمال المشتريات... ومضى الوقت دون أن يأتي...

وأخذت أعصابي تتوتر، ومضى حوالي ثلاثة أرباع الساعة حاولت خلالها الاتصال الهاتفي به، ولكنه ما لبث أن جاء بعد أن انتظرني متوهماً في مكان آخر... اشتريت درعاً وعدداً من الدشاديش النسائية دون اقتناع بها فازددت توتراً، ثم ركبنا الدباب إلى مكان آخر لشراء حقيبة أنيقة، وحسم مسألة الراديو مسجل الذي أقلقني كثيراً... كان رائعاً يتضمن ميزات عديدة لكنني كنت قلقاً مكتئباً لاحتمال تسببه في متاعب عبر عودتي وربما مصادرته... وزادني ضيقاً وهمّاً مسألة تكاثر الأغراض، وصعوبة نقلها عبر طريق عودتي، واحتمالات تسببها في عودة الفتقة ــ لا قدر الله ــ كما حذرني دكتور عابد...

عدت إلى الفندق مشتتاً مكتئباً مهموماً ونظرت إلى الغرفة، حيث تتبعثر الأشياء، فقلت في نفسي: إن التاريخ يعيد نفسه، ولكن هذه المرة مع موجات أشد وأكبر مساحة من الاكتئاب ومع تخوف قاسٍ من عودة الفتقة...

اتصلت بمدير المعهد العالمي للتوجيه للاتفاق على محاضرة غدٍ، فحصلت عليه بعد لأي، وتم ترتيب المحاضرة بعد المغرب... كما اتصلت برعد ومقبول أطلب منهما المجيء للفندق لعلّي أدفع بالجلوس إليهما شيئاً من اكتئابي المركّز... ومراراً حاولت الاتصال بعميد التربية للتفاهم حول رحلة سد

مأرب وحسمها ولكن دون جدوى... أما الدكتور الشجاع، فقد قال عبر مكالمته الهاتفية أن المكافأة قد تدفع غداً...

تناولت دون شهية عشاءً دسماً في البوفيه، ثم جاءني رعد ومقبول فقضينا أمسية طيبة لولا ما كان يحاصرني من اكتئاب. وعدت إلى الغرفة بعد توديعهما لأتلقى مكالمة من عميد التربية رتبت معه خلالها بعض الأمور بخصوص الرحلة المحتملة لمأرب... ثم قمت بإنجاز المذكرات وبعض المعلقات، فشعرت بقدر من الارتياح، وقلت في نفسي: لم يبق سوى يومين وأكون قد تجاوزت دوامات العذاب عبر رحلتي العجيبة هذه، ولم يتبق سوى حلقات ثلاث أو أربع قبل أن ألقي مرساتي في مدينتي: تجاوز مخاطر عودة الفتقة بسبب ثقل الحقائب... إنجاز كافة أعمالي ومشترياتي في عمان بما في ذلك ورشة العمل مع طلبة الدراسات العليا... ثم قطع الطريق البري الطويل ومصاعب التفتيش واحتمالات الراديو مسجل والبرد والتعامل مع الحقائب في الجانبين الأردني والعراقي... فلأتوكلْ على الله وحده وأدعوه أن يحميني من كل سوء أو أذى... كما منَّ عليَّ في بدء الرحلة عبر لحظات الرعب مع نزيف الكلى... فالحمد لله...

الأربعاء: ١٢/٢٧: كان يوماً عجباً... في الليل شدد عليَّ ضيق النفَس الذي عاد سيرته الأولى في بعض الليالي، حيث يجتاحني كموجات متعاقبة، ثم ما لبث عبر النهار أن أضيف إليه وجع في الصدر... وبعد تناول الفطور بحالة من الاشمئزاز من الطعام جاءني ثلاثة من قادة جماعة الإصلاح فرحنا نتحدث في صالة الفندق، وما لبث أن مرّ وزير الإدارة المحلية فجلس معنا قليلاً... غادرت بصحبتهم إلى كلية التربية لإلقاء محاضرتي، وودعوني بحرارة بعد أن وجهوا لي أكثر من دعوة لزيارتهم فأبديت أعذاري... استُقبلت بحرارة في الكلية من قبل العميد وعدد من الأساتذة، وتوجهت إلى قاعة المحاضرات وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبة وأحسّ بما يشبه الاختناق...

لم يكن عدد الحضور كبيراً إلا أنهم ما لبثوا أن تقاطروا... قدّمني الأستاذ التونسي بسخاء، وبدأت محاضرتي عن نمو الحضارات في المنظور

القرآني... كان الإعياء والتشنج يحاصرني تماماً رغم تمكّني من الأداء، ورحت أقاوم بما هو فوق الطاقة للوصول بالمحاضرة إلى نهايتها... وبفضل من الله وحده أنجزت ما أريد... وتوجهت ودكتور عابد إلى العميد لتوديعه، فاستقبلني كرةً أخرة بحرارة وطلب قائمة بمفردات قسم التاريخ للاسترشاد بها. كما وجه إلي دعوة لزيارة الكلية.

كان القلق يحاصرني، إذ عليَّ أن ألحق المحاضرة الأخرى بكلية الآداب في موعدها. وتوجهت بصحبة دكتور عابد ووصلت في الوقت المناسب... كنت قلقاً أيضاً إزاء جملة أمور يتوجب إنجازها عبر الساعتين القادمتين وإلّا فاتت الفرصة: ضمان المكافأة، زيارة رئيس الجامعة، ضمان السيارة التي ستقلنا إلى مأرب... تلقيت طمأنة من رئيس القسم، وبدأت المحاضرة عن اللغة والأدب والتاريخ بتمكّن تام ودون أي إعياء أو تشنج، وازددت سعادة باقتناعي بالمحاضرة التي حضرها عدد من كبار الأساتذة ودارت فيها مناقشات طيبة...

عدت إلى القسم وحاصرني الطلاب؛ هذا يريد معاونته على موضوعه، وذاك يطلب عنواني، وثالث يدعوني لالتقاط صورة مع طلبة الصف الرابع. أما رئيس القسم فراح يتابع الموعد مع مدير الجامعة... كنت أركض سعيداً هنا وهناك وازددت سعادةً عندما تمكنت ورئيس القسم من الدخول على مدير الجامعة، الذي تلقانا بالترحاب وجرى حوار طيب ثم خرجنا...

في الطريق إلى الكراج بصحبة رئيس القسم التقينا بالعميد وعدد من المسؤولين، ورتبنا موضوع تهيئة السيارة لرحلة غدٍ إلى مأرب... هذه عقدة أخرى قد حلّت بمعونة الله، قلت في نفسي. وفي الطريق إلى الفندق أكد رئيس القسم أن المبلغ سيكون جاهزاً يوم غدٍ فازددت ارتياحاً، ودخلت الفندق في واحدة من أجمل لحظات رحلتي...

تناولت غداءً لذيذاً من الكانتاكي وأخذت قيلولة طيبة، ثم اتجهت قبيل المغرب بمعية أستاذ ومدير المعهد العالي للإرشاد، لإلقاء محاضرتي هناك... قدمني الدكتور بسخاء بعد أن تلقاني الطلبة بترحاب غامر. وألقيت محاضرتي

عن الدور المنتظر لخريجي المعاهد الشرعية. كنت متمكناً تماماً، وانعكس هذا على ارتياحي النفسي، وانسياب التنفس وتجاوز أي قدر من التشنج. ووُجهت أسئلة طيبة تمت الإجابة عليها. ثم عدت بمعيتهم إلى الفندق لكي ما ألبث أن أتلقى سيلاً من المودّعين وسيلاً من المكالمات الهاتفية...

وكانت أمسية طيبة مع عمار وأنيس وضرغام والواسعي وعصام الكاتب وابنه وعصام يوسف الخ... لولا القلق الذي انتابني بصدد رحلة غد وتهيئة السيارة، ثم ما لبث رئيس القسم أن حدثني هاتفياً حول تهيئة السيارة وزادني سعادة أنها من نوع الصالون، وأن بمقدوري أن أصطحب معي مقبول وضرغام، اللذين سبق وأن أعربا عن الاستعداد للسفر معنا... ودّعت الزوار وعدت إلى الغرفة لأتابع بعض المعلقات، ثم ما ألبث أن أنام بانتظار الاستيقاظ فجراً... وزادني ارتياحاً أن دكتور عصام طمأنني حول الفتقة وأنا أسأله عن إمكان عودتها بسبب بعض الأثقال...

الخميس: استيقظت فجراً على ارتياح وفرح دون أي قدر من الكآبة ربما لأول مرة منذ قدومي إلى صنعاء... تناولت فطوري ثم ما لبث عميد كلية التربية ورئيس القسم أن جاءا، وأعقبهما محمد ناصر الذي أتى بمقبول وضرغام، وبعد جلسة ودية في الصالة انطلقت بنا السيارة إلى مأرب... كنت أحسّ بارتياح عميق... واستقبلنا المحافظ ومعاونوه بحفاوة بالغة وقال لي أكثر من مرة أنه قرأ الكثير من كتاباتي وأنه تتلمذ عليها... أحسست بغبطة بالغة فها هو رجل في القمة في علمه وثقافته ومنصبه يقول هذا... وهو فضلاً عن ذلك عسكري ممتاز ومؤلف وشاعر... فالحمد لله وحده...

بعدها انطلقنا إلى المواقع الآثارية وبقايا سد مأرب والسد الجديد تصحبنا سيارة عسكرية يستقلها العديد من المسلحين لحمايتنا، وقضينا وقتاً طيباً هناك قبالة التاريخ والطبيعة والهواء الطلق...

وكان مدير عام الآثار يشرح لنا بتفصيل دقيق ويجيب على كل سؤال... والتقطنا عدداً من الصور التذكارية... كما قام مصور التلفزيون بتوثيق الرحلة

بالفيديو... وعدنا إلى المحافظة لتناول الغداء والجلوس بعدها في باحة فندق مأرب الأنيق ذي النجوم الخمسة لتناول الشاي والحلويات... وبدأ القلق يحاصرني كلما مضى الوقت خشية أن نتجاوز الزمن المحدّد للعودة، في طريق أكد الكثيرون أنه عرضة لهجمات القبائل بعد الرابعة... وألح عميد كلية التربية والمحافظ على المبيت، وقال الأخير أن حشود المثقفين رحبوا بمجيئي وأنهم ينتظرون مني محاضرة في مساء اليوم نفسه وأنه رتب معهم الأمر... لكنني أصررت على العودة بسبب ارتباطي بمواعيد مساء الخميس فضلاً عن رحلة يوم غدٍ بالطائرة...

ومضى الوقت وأنا أزداد توتراً، وبلغت أقصى حالات العصبية، وكادت أن تصدر مني مواقف لا تحمد عقباها... ولم أر أحداً من رفاق الرحلة يعينني في محاولة العودة... وأخيراً أعلمتهم أنني عائد حتى لو كان ذلك بعد حلول الظلام... فأذعنوا للأمر الواقع، وغادرنا المكان مودّعين من المحافظ الذي ألح عليَّ بإلقاء عدد من قصائدي قبل المغادرة فلبيّت طلبه... وغادرنا المكان تحرسنا في بدايات الطريق السيارة المسلحة... ثم ما لبث أن عادت واستقبلنا الظلام والمجهول، ولكننا كنا مطمئنين تماماً لحماية الله ﷻ الذي أوصلنا بأمان إلى صنعاء... ودهمتني الكآبة مرةً أخرى، واتجهنا مباشرةً إلى بيت دكتور فهر غالب حيث ينتظرنا عدد من المدعوين...

تناولنا عشاءً رائعاً بشهية بالغة، ثم جلسنا نتحدث ونتناول الحلويات والفاكهة... لكنني كنت كئيباً قلقاً بسبب ضيق الوقت، وضرورة أن أنجز كل المعلقات وأهيئ الحقائب قبل أن أحظى بقسط من النوم... وعدنا إلى الفندق لأجد سيلاً من الأوراق التي تركها الزائرون، الذين تدفقوا على الفندق فلم يجدوني، وانتظر بعضهم الساعات الطوال... ووجدت هناك هيثم الأشقر المحرّر وأديب الأطفال، وطلب مني الموافقة على قيامه بتحويل بعض كتبي إلى خطاب للأطفال فرحبت بذلك. كما أعرب عن استعداده لنشر أعمالي القادمة

في دار يشرف عليها اليماني، فأعربت عن تحفظي وقلت له لعل ذلك يتم فيما بعد...

وأحاط أصحاب الحاجات بي في تلك الساعة المتأخرة، ورحت ـ وأنا أعاني أقصى حالات الضيق والإعياء ـ أتسلّم رسائلهم ونقودهم وأضع بعضها فوق بعض قائلاً في نفسي: غداً إن شاء الله سأخلو إلى نفسي في فندق بارك في عمان، وسوف أرتب كل شيء... واتجهت إلى الغرفة يحيطني الهم كعادتي في كل ليلة تسبق المغادرة بسبب أكداس الأغراض، وضرورة ترتيبها في الحقائب استعداداً للرحيل... ومرّت ساعات بدأت صعبة محيرة قاسية، ثم ما لبثتُ أن أخذتُ أطوّق المطالب وألاحقها إلى أن تمكنت منها تماماً، وأحسست بارتياح عميق، وفي ساعة متأخرة من الليل أسلمت نفسي للنوم...

الجمعة: استيقظت على صوت جرس الهاتف بعد ساعتين من النوم، وشمرت عن ساعد الجد لإنجاز بقية المطالب، ثم ما لبث رئيس القسم وعميد كلية التربية أن وصلا... كما تلقيت مكالمة من الأصدقاء الذين سيخرجون للمطار لتوديعي... وسلمني عميد كلية التربية ورقتين قائلاً إنها مكافأة جهدي في لجنة المناهج وكتاب شكر من مدير جامعة العلوم... تملكني فرح عميق وزادني فرحاً أن أتسلم مكافأتي عن جهودي في الآداب كأستاذ زائر... فضلاً عن ذلك فقد قدم لي عميد كلية التربية هدية مدير جامعة العلوم والتكنولوجيا، عدة كيلوات من المشمش والقهوة، فضلاً عن الجنبية اليمنية وقطع من القماش... انكمشت بعض الوقت إزاء تزايد الحمل، حيث لم يتبقَّ في الحقائب أي مجال، ثم ما لبثت أن قررت تسليمها لمقبول لإرسالها فيما بعد واستعدت ارتياحي...

واتجهنا إلى المطار حيث تم استقبالي في قاعة الشرف، وقبل دخولها ودّعت الأصدقاء الموصليين، وحللت مشاكلي المعلقة بصدد الأغراض والعملة مع مقبول وضرغام فازددت ارتياحاً... وقام اثنان من العلاقات العامة للجامعة بأخذ الحقائب وإنجاز المعاملة، بينما كنا نحن ننتظر في صالة الاستقبال...

كنت أحسّ بسعادة غامرة لم أذق لها طعماً منذ بداية رحلة اليمن العجيبة هذه... فها أنا ذا أقطف ثمار الكدح الطويل، مبلغاً طيباً من المال، وتوديعاً حافلاً مترعاً بالتقدير... ولحقنا عدد من الشخصيات اليمنية، حيث جرى تبادل التقويم. وقال موظفو العلاقات أن الوزن زاد عن حده وأنهم طلبوا دفع ثمانين دولاراً، لولا أنهم ـ بخبرتهم ـ أقنعوا موظفي المطار بالسماح بها...

وغادرنا المكان لكي تقلني سيارة خاصة إلى مكان الطائرة ومعي العميد الذي أصر على اصطحابي إلى هناك للاطمئنان على حقائبي، واستلقيت على المقعد وأنا أتنفس الصعداء... كانت لحظات مترعةً بالارتخاء والفرح، والإحساس الغامر بالتخففّ من كل الهموم والأعباء، وبالحصول على العديد من المكاسب المادية والأدبية...

وانطلقت الطيارة وأنا أقول في نفسي ها هي ذي إحدى الحلقات الأخيرة المثيرة للقلق: ما قيل عن كثرة الجيوب الهوائية بين صنعاء والحديدة... ولكن ما كنت أخشاه لم يقع، ووصلت الطائرة إلى هناك دون أي خوف أو ارتجاج... ثم مضت في رحلتها إلى عمان حيث وصلناها ظهراً، وبسهولة بالغة استكملت الإجراءات، ووجدت الحقائب الثلاث تنتظرني، دون أن تغيب إحداها كما حدث في مرات عديدة. وجاءني حمال لكي يعينني على الحقائب التي لم أكلف نفسي بها، وأستطعت إقناع المفتش بعدم فتحها، فتعامل معي بسماحة بالغة.

ثم ما لبثت أن اتفقت مع سائق تاكسي أقلني عبر شوارع عمان المغسولة بالشمس إلى الفندق، حيث حصلت على غرفة جيدة، واستلقيت على السرير وأنا أحمد الله وأقول في نفسي تعساً لصنعاء، ومتاعبها وكآبتها... فها أنا ذا قد عدت تغمرني سعادة يصعب وصفها... حاولت الاتصال الهاتفي بالموصل دون جدوى، وأخذت إغفاءة قصيرة ثم ما لبثت أن غادرت المكان للتجوال في عمان وشراء بعض الحاجيات وتحويل مائة دولار. ثم يممت صوب مطعم القدس لتناول وجبة شهية، ثم عدت إلى الفندق في الساعة السادسة والنصف، لكي أحبس نفسي في الغرفة وأقاوم إغراءات النوم، وأنجز على مدى عدة

ساعات العديد من المعلقات الخاصة بترتيب الأوراق وضبط الأمانات النقدية والعينية وإعادة تنظيم الحقيبة، والاطلاع على الصور التي التقطت في صنعاء... ثم ما لبثت أن أسلمت نفسي لنوم عميق لم أذق لمثله طعماً طيلة أيامي في صنعاء...

السبت: ١٢/٣٠: استيقظت صباحاً لكي أنجز المعلقات ثم أغادر إلى شركة الجت، حيث رتبت أمر الحجز للعودة بسهولة بالغة زادتني ارتياحاً، ويممت صوب المعهد يحيطني القلق لكثرة المطالب وكثافتها وأنا أقول في نفسي: ها هو ذا التاريخ يعيد نفسه للمرة العشرين، فإلى متى؟ ثم ما ألبث أن أقول في نفسي: لسوف أعيد ترتيب حياتي وفق معادلات جديدة بإذن الله وإلّا ذهبت حياتي وصحتي بدداً...

واستقبلني العاملون في المعهد بحفاوة بالغة، وقام دكتور محمد أبو سل بأكثر من محاولة للاتصال بالموصل دون جدوى.. ثم ما لبثت أن انعزلت في إحدى الغرف لتصفية المطالب المزدحمة... وللحظات شعرت أنني أختنق وأن ليس بمقدوري البتة السيطرة على المطالب وإنجازها جميعاً... لكنني ـ كالعادة ـ ما لبثت أن تمكنت منها ورحت أصفيها الواحدة تلو الأخرى: فاكسات ورسائل ومقالات للناشرين ومتابعات مالية واتصالات هاتفية الخ...

وبعد صلاة الظهر عدت ثانيةً لأتابع فلول المطالب وأنا أحسّ أنني قد تجاوزت مطحنة نفسية قاسية... زادني غبطة أنني ودكتور محمد أبو سل أرسلنا أحد الموظفين إلى الجامعة لإعلام طلبة الدراسات العليا عن موعدي الجديد معهم بسبب عودتي المبكرة، وقلت في نفسي ها هي ذي حلقة قلق أخرى يتم تجاوزها... وأوصلني دكتور أبو سل إلى مطعم القدس، حيث تناولت غدائي بشراهة، ثم انطلقت إلى السوق لملاحقة المشتريات المزدحمة وأنا أقول في نفسي: ها هي ذي مطحنة نفسية أخرى، ولكن في سياق الماديات هذه المرة. وتمكنت من شراء الكثير من الحاجات واستعصى عليَّ بعضها فأورثني شيئاً من الهم والقلق... وبدأت أحسّ بإعياء شديد وتشتت نفسي، ثم ما لبثت

أن حملت بعض الأكياس تاركاً بعضها الآخر لدى البائعين أنفسهم، ثم جررت خطاي صوب الفندق بصعوبة بالغة، وألقيت نفسي على السرير لأرتاح قليلاً...

وما لبثت وخزات من الألم أن أخذت تداعب منطقة الفتقة، فدهمني الوسواس القاسي المترع بالخوف والكآبة من احتمال عودة الفتقة ربما بسبب السير بالأكياس الثقيلة مسافة طويلة، وتذكرت تحذير عابد الهاشمي فازددت يأساً ومرارة. وجاءني ماجد وإبراهيم العوضي من المعهد وتم ترتيب مواعيد اللقاء بطلبة الدراسات العليا وبالشباب المثقف... وكان المفروض أن أحسّ بفرح غامر بسبب تجاوز هذه الحلقة بكل مداخلاتها، لولا استمرار وخزات الفتقة وتزايد شكوكي، الأمر الذي وضعني في دائرة الاكتئاب والخوف...

وعدت إلى الغرفة وأنا في أقصى حالات القرف واليأس والإعياء، ولكنني ما لبثت أن اتصلت هاتفياً بالدكتور محمد زكي ورتبت معه موعداً على مساء غد... ثم صليت العشاء وشمرت عن ساعد الجد لجولة أخرى من الإنجاز: ترتيب أسعار وقوائم المشتريات، وكتابة مذكرات الأيام الأربعة الأخيرة بكل تفاصيلها، ورغم ما أصابني من إعياء، إلّا أنني بدأت أستعيد توازني النفسي وخاصةً بعد أن اختفت تماماً آلام الفتقة... والأمر لله من قبل ومن بعد...

الأحد: نمت نوماً عميقاً واستيقظت صباحاً على رشقة الكآبة إياها، وقلت في نفسي: إلى متى؟ وهل سأسترجع فرحي القديم عندما أستقر في مدينتي؟ اتجهت إلى دار الضياء وانتظرت طويلاً وجاء مديرها، وبعد حوار طويل وترحيب بطبع مؤلفاتي القادمة اتجهنا سوية إلى دار الفرقان للاستفسار عن جملة أمور، ومنها إلى دار البشير، حيث اكتشفت طبعات جديدة لثلاثة من مؤلفاتي... ودعته وتوجهت إلى المعهد لأحاول الاتصال بالموصل دون جدوى، ولأسأل عن أجوبة الفاكسات فلا أجد جواباً، والاتصال هاتفياً بالدوحة للاستفسار عن مصير مكافأتي عن كتاب الأمة فلا يردّ أحد، ولأتصل كذلك بفرع اللويبدة فإذا بالدوام قد انتهى...

أنجزت عدداً من الأعمال المعلقة وتناولت مع موظفي المعهد غداءً شهياً

من (المسخنة) بعد أن نهشني الجوع... ثم ما لبث طلبة الدراسات العليا أن جاؤوا لحضور الحلقة الأولى والثانية من ورشة العمل حول هموم الدراسات العليا... وبدأ الطرح بصيغة لم أقتنع بها، الأمر الذي قادني إلى التشنج والإعياء. ثم ما لبثت الأمور أن انتظمت وتمكنت تماماً من عرض المفردات وإدارة النقاش فنسيت كل متاعبي... وعدنا بعد صلاة المغرب لاستكمال الطرح، حيث ازددت إمساكاً بالموقف عبر طروح ومناقشات خصبة... وتلقيت من الحاضرين تقويمات سخية ثم غادرت المعهد بصحبة دكتور محمد زكي لقضاء بعض الوقت في بيته وتصفية عدد من المعلّقات...

كنت أحسّ بقدر من الاكتئاب، وازداد كثافة لدى عودتي إلى الفندق، ودفع الفاتورة الأولى ذات التكاليف الباهظة... وعندما نظرت إلى أكداس الأغراض في الغرفة حاصرتني هموم النقل عبر الطريق الطويل ووسط هواجس الفتقة... لكنني ما أن شمرت عن ساعد الجد وأجريت اتصالين هاتفيين بالطنطاوي، الذي أصر على قضاء أمسية غد في بيته، وبمأمون جرار الذي كلفته تحويل مبالغي في الرابطة إلى الحساب الجاري تجاوزاً لضياعها مع حسابات ملكاوي، حتى شعرت بارتياح عميق، ثم انكببت لإنجاز بقية المعلقات، حيث تلاشت تماماً موجة الكآبة والانقباض... فالحمد لله...

الاثنين: ١٩٩٦/١/١: استيقظت والوخزات المقلقة في منطقة الفتقة لا تزال تقلقني، واتصل بي دكتور محمد زكي فأزاح ترددي بخصوص الذهاب إلى منطقة السير للتعامل مع سيارة تقلني مباشرةً إلى الموصل... غادرت الفندق واشتريت عدداً من البضائع المعلقة وحسمت شراء الساعة وغيرها من المطالب، ثم أقلني دكتور محمد إلى الموقف حيث تمكنا من استئجار سيارة بسعر وسط ومع سائق مناسب تماماً، فأحسست بارتياح عميق وأنا أتجاوز التردد وبين الباص والتاكسي. وتم الاتفاق على أن يأتيني مساء غد للتوجه سوية إلى الموقف والانطلاق من هناك...

عدت إلى الفندق أحمل عدداً من الأكياس، واتصلت بماجد فإذا به

يبشرني بأن مبلغ كتاب الأمة قد أرسل منذ زمن بعيد بالبريد المسجل وأنه سيتابع الموضوع لمعرفة التفاصيل... اتجهت إلى الفندق سعيداً تماماً وتناولت غدائي، ثم توجهت إلى السوق لتسلم بضائعي لدى بعض البائعين وعدت ثانية إلى الفندق...

كان يقلقني حديث عابر لدكتور زكي عن إغلاق الحدود العراقية وقلت في نفسي: يا سبحان الله، فها أنا ذا كلما أحسست بالارتياح وتجاوز منابع التوتر والقلق، أتلقى ما يعيدني إليها كرةً أخرى... ولكنني بسؤالي موظفي الجت عن الموضوع أكد عدم صحته، فاستعدت فرحي وتوجهت إلى صيدلية بجوار المستشفى الإسلامي لحسم قلق آخر وشراء دواء السرطان لابنة جارنا...

توجهت إلى المعهد لإجراء لقاءين آخرين مع طلبة الدراسات العليا واستكمال الحوار حول هموم هذه المرحلة، وكانت ساعات طيبة اندمجنا فيها في حوار معمّق متمكن لم أكد أشعر معه بأي إعياء... وودعتهم بحرارة متبادلة وتقديم سخي ثم ما لبثت أن استقبلت حلقة من المثقفين، حيث ألقيت محاضرة مفصلة عن هموم الثقافة بتدفق لم أكد أشعر معه بالإعياء هو الآخر... ثم ما لبثت بعد حديثي في قضايا الأدب مع أم مالك زوجة الملكاوي أن غادرت المكان لقضاء أمسية طيبة في بيت طنطاوي، ولأتلقى مفاجأة سارة أخرى: مائتي دولار عن مقالاتي في مجلة فلسطين المسلمة فالحمد لله... فضلاً عن سبع وستين ديناراً أردنياً عن بحوثي في (الأدب الإسلامي)... وأوصلوني إلى الفندق، حيث دخلت الغرفة دون أي قدر من الاكتئاب، فها أنا ذا أتهيأ للسفر غداً بإذن الله ﷻ وبوسيلة مريحة بعد قلق مرير...

وأمامي فضلاً عن ذلك ساعات النهار كله، لإنجاز بقية المعلقات في المعهد والسوق وترتيب الحقائب، لولا هاجس جديد من القلق يتمثل في تصوّر المخاطر التي قد نتعرض لها عبر الطريق غير المأمون، والذي قيل بأنه شهد حوادث عديدة، لكن ترتيب اجتيازه في ضوء النهار ما يلبث أن يخفف من قلقي فالحمد لله...

ثمة لمسات أخرى عبر أمسية الطنطاوي: تسليمي صورة عن اللقاء الصحفي في جريدة اللواء الأردنية، التي سبق وأن أجراه أحد أصدقاء طنطاوي، وحديث الأخير عن مكالمة له مع دكتور عبد القدوس أكد فيها هذا اعتزام الرابطة نشر مسرحيتي (الهم الكبير) رغم الدسيسة التي فعلها رضوان دعبول ـ لا أدري لماذا ـ إذ قال له أن كتبي قليلة الرواج وأن عليه ألّا يتورط في نشر المسرحية!! فلا حول ولا قوة إلّا بالله...

الثلاثاء: ١/٢: استيقظت على القلق إياه، فأمامي حلقات عديدة من المعلقات عليَّ إنجازها قبل المغادرة مساء اليوم... هرعت إلى المعهد لحل إشكالية مكافأة كتاب الأمة والقضايا المالية المعلقة، واتجهت من هناك بمعية ماجد إلى فرع اللويبدة لإيداع الشيك هناك ومحاولة تشغيله، ولكن الموظف أعلمنا بضرورة متابعة الموضوع في الشميساني... كان الوقت ضيقاً وسيطر عليَّ النزق والضيق ولكن ماجد شجعني على الذهاب، حيث قطعنا خطوات طيبة في المعاملة، ولم يتبق إلا أن يأتي الملكاوي من رحلته للتوقيع. وغادرنا الفرع وأنا أحسّ بارتياح عميق خاصةً بعد أن كلفت ماجد بمتابعة الموضوع بجدية وتحويل المبلغ بأسرع وقت إلى اللويبدة لتشغيله هناك... أما مبالغ المجلات واحتمالات التداخل مع حسابات المعهد فقد كلفت المحاسب السابق بالتأكد منها. كما قررت إرسال عدد من الفاكسات لتحويل المكافآت إلى اللويبدة...

نزلت قريباً من الفندق واشتريت حقيبة كبيرة وعدت مسرعاً إلى الفندق... كان عليَّ أن أرتب ركام المشتريات في وقت محدود، ثم إنزال الحقائب إلى صالة الاستقبال تجاوزاً لاحتساب ليلة إضافية... ورحت أسابق الزمن مشدود الأعصاب، ثم ما لبثت أن سيطرت على المشتريات ورتبتها في الحقائب والأكياس، وناديت على عامل الفندق فأنزلها إلى الصالة دون أن أضطر لرفع أي منها بحمد الله... وأمّنتها هناك ثم انطلقت إلى المعهد لإنجاز بقية المعلقات: الفاكسات والرسائل والاتصالات الهاتفية والتوصيات... كانت أم مالك بانتظاري لتوديعي وتقديم هديّتها القيمة. كنت مشدود الأعصاب كعادتي فلم أرتح لوجودها ولدخول موظف آخر برغبته الجارفة في الحديث...

كان الوقت ضيقاً... واستطعت وسط حصار الحرج والضيق أن أنجز المطلوب بعد جرعات مركّزة من القلق، وأن أودّع الموجودين وأغادر المعهد بمعية أبي زياد، وأنا أحسّ بروعة التحرّر من الشدّ والمطالب التي لا تنتهي... أوصلني إلى الفندق وسط جوّ ماطر ألقى في نفسي إحساساً أكثر تدفقاً بالمتعة والارتياح... كنت جائعاً، فاطمأنيت على الحقائب وهرعت إلى مطعم القدس لأتناول وجبة شهية، ثم أعود إلى الفندق قلقاً على احتمال عدم التزام السائق بالموعد فإذا به في انتظاري... ووضعت الحقائب والأكياس المتزايدة في السيارة دون أن أكلف نفسي عناء رفعها، وانطلقت التاكسي إلى الكراج مع بداية الغروب، وهناك تحوّلنا إلى السيارة التي ستقلني إلى الموصل مباشرة...

وبدأت الرحلة الطويلة... كنت ـ كعادتي ـ أعيش لحظات مترعة بالارتياح والغبطة، فها أنا ذا أبدأ رحلة العودة إلى الأهل والديار بعد كفاح مرير على أكثر من جبهة، عبر حوالي الشهر بل عبر عدة شهور من المعاناة مع ما أسميته (الرحلة اليمنية)... وزادني سعادة الجو الماطر، والخلق العالي للسائق... لكن ما كان يقلقني بعض الحلقات المتبقية عبر الطريق: تفتيش رويشد وطريبيل، ومتاعب إنزال الحقائب في الجو الماطر، فضلاً عن احتمالات مصادرة بعض المشتريات أو التعرض للابتزاز، إضافةً إلى مشكلة المسجل الذي قد لا يسمح بإدخاله... الخ...

نزلنا عند أفران الجواد لشراء البقصم، وفي صفاوي لشراء النساتل والسكريات والأجبان، حيث يتوفّر كل ما يريده المسافر دون عناء... وفي رويشد توضأت وصليت وتناولت الشاي ثم انطلقنا إلى نقطة التفتيش الأردنية...

ارتحت لعدم الاضطرار إلى تفتيش الحقائب لكن معاملة الجوازات استغرقت الساعات الطوال...بعدها دخلنا الحدود واتجهنا إلى التفتيش وأنا أحمل هموم الاحتمالات... ثمة مجموعة من الحمالين أغريتها بأجر طيب لنقل الحقائب وإعادتها، وأبرزت للمفتش أمر الإيفاد فلم يلحّ في التفتيش خاصةً بعد أن قدم طلباً متواضعاً بإهدائه علبة من معجون الأسنان، ورغم ضرورة الذهاب

بجهاز التسجيل إلى الكمرك فإنه لم يكلفني عناء ذلك. ونقلت الحقائب إلى السيارة ثانيةً، واستكملنا بقية الاجراءات بارتياح عميق رغم أجواء المطر الكثيف، وتجاوزت قلق الشراء من السوق الحرّة بعد أن تبيّن إقفالها في هذه الساعة المتأخرة من الليل... أخذت والسائق إغفاءة من النوم لأكثر من ساعتين بانتظار حلول الفجر للانطلاق إلى بغداد بسبب المخاطر المؤكدة للسفر ليلاً... ومع ذلك فقد استأنفنا المسير والظلام لا يزال مخيماً... وأحسست بخوف حقيقي وأنا أحدّق في الأفق خشية حدوث ما لا تحمد عقباه، ورحت أدعو الله ﷻ وأقرأ آية الكرسي وآيات من ياسين...

وما لبث الفجر أن انبلج فبدأت أحسّ بالاطمئنان أكثر فأكثر، وتناولنا فطورنا في مطعم على الطريق ثم انطلقنا، حيث ما لبثت السيارة أن أخذت تعاني من التقطع بسبب الفلتر... بينما استمر المطر في الهطول... وفي نقاط التفتيش كان الشرطة والجنود يطلبون طعاماً فكان السائق يستجيب حيناً ويعتذر حيناً آخر... ولكن القلق كان في الحقيقة من احتمالات الابتزاز في تفتيش تكريت كما أكد السائق، ولكنها مضت بفدية بسيطة.

وفي بيجي أديت الصلاة وتناولت غداء خفيفاً ثم استأنفنا المسير لنصل الموصل بعد تجاوز تفتيش المدخل بسلام وبفضل من الله ﷻ، لكي أفاجئ العائلة بقدومي، ولكي تبدأ حلقات عرض المشتريات واستقبال الزوار لأيام طويلة بعد عودتي من رحلة المعاناة!!

[٢٦]

رحلة عام ١٩٩٧ م إلى الأردن

الثلاثاء: ٤/٢٩: الانطلاق إلى بغداد... الكراج والتوديع... رحلة مريحة لولا الضربة القاسية التي تلقيتها في صدري لدى الصعود إلى الباص... الوصول الكئيب فجراً...

الأربعاء: الاستقرار في الفندق... متاعب مع الانزلاق الغضروفي وآلام

ضربة الصدر... الذهاب إلى المعهد العالمي... حوار حول (دليل الأحاديث) وحل بعض القضايا... تناول الغداء: زيارة قارئ وتقويم سخي... حديث عن ترتيب جامعة الزرقاء لمحاضراتي... زيارة للدكتور عدنان الدليمي... عشاء وأمسية مع الملكاوي... العودة للفندق والعمل حتى ساعة متأخرة... ونومة صعبة بسبب الانزلاق وآلام عظام الصدر.

الخميس: ضربة كآبة معتادة لدى الاستيقاظ... زيارة مؤسسة سجا للإنتاج الفني وتلقي تقويمات سخية... زيارة عدد من دور النشر... غداء في جبري... وجولة وجلسة طيبة في دار الأخ أحمد الجدع مدير دار الضياء... جلسة ودية مع رضوان دعبول... جولة وعشاء في وسط عمان... عمل مكثف ومتاعب مع صليل الجانب الأيمن والحساسية الجلدية.

الجمعة: استيقاظ منشرح... إنجاز طيب... رحلة إلى جرش والعنجرة... صلاة الجمعة... غداء وحوار طيب... قلعة عجلون... زيارة الدكتور سالم الحمداني (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في جرش... أمسية قصيرة في بيت الدكتور محمد زكي... مكالمة مع الدكتور أحمد الحسو... العودة للفندق والعمل المكثف يمتص الكآبة... ارتياح لتصفية معظم المعلقات.

السبت: رشقة كآبة وقلق بسبب كثرة المشاغل وبخاصة المصرف... دار الضياء وتسليم الديوان... المعهد والقلق المعهود ومكالمة دكتور أنس الشيخ علي في لندن وآخرين... تضارب موعدَيّ مجمع اللغة والزرقاء وارتياح لاختيار الثانية... إلى الزرقاء بمعية الملكاوي وغداء في السيارة... حضور ندوة الدكتور محمود رشدان في الجامعة ومشاركة طيبة في النقاش... ترتيب جدول للمحاضرات بعد جدل طويل... العودة إلى المعهد والاطلاع على تقارير خبيرين حول كتاب (دليل التاريخ في الأحاديث النبوية)... التوجه إلى الفندق بانتظار الدكتور مأمون جرار وجلسة طيبة في مطعم جبري... خبر مفرح بقرب طبع كتابي لرابطة الأدب الإسلامي عن النقد التطبيقي في دار البشير... عشاء شعبي وكنافة في مطعم القدس... العودة للفندق ومكالمة الدكتور أحمد الحسّو

وترتيب موعد معه... الوقوف محتاراً ممزقاً قبالة سيل من الأعمال التي تتطلب إنجازاً رغم إيغال الليل... التشمير عن ساعد الجد وإنجاز العديد وشيء من الارتياح...

الأحد: متاعب عبر الليل مع آلام القفص الصدري... واستيقاظ مبكر على قلق المطالب المتجددة... زيارة حيدر قفة وجلسة صباحية في صالة الفندق... الفطور في مطعم القدس في جو ماطر... التوجه إلى دار الفرقان وترحيب مديرها بأي عمل أقدمه للنشر مستقبلاً... التوجه إلى السوق والناشرين الآخرين وسط عمان... دفع أصول كتاب (هموم الدعوة والتحديات المعاصرة) إلى المكتب الإسلامي فرع عمان... ترحيب دار عمار بأحد مؤلفاتي... ساعات من المسواق الهادئ لأول مرة بسبب انفساح الوقت، والتمكن بعد لأي من تنفيذ معظم الطلبات...

العودة إلى الفندق وسط إعياء شديد... قلق البحث عن نظارات مكبرة للدكتور عبد الخالق عبدال دون جدوى... الصعود إلى الغرفة ومسلسل الهواتف المتلاحقة: العوضي... ملكاوي... خالد عثمان (رحمه الله)... دكتور محمد زكي... الخ... زيارة الشوابكة وترتيب محاضرات الزرقاء... العوضي يخبرني من المعهد العالمي بترتيب موعد موسع مع طلبة الجامعة يتضارب مع موعدي مع الأدباء، فأقنعه بعد لأي بضرورة تغييره... التوجه إلى بيت الدكتور عدنان الدليمي... أمسية طيبة في داره مع حشد من الأصدقاء وعشاء وتقويمات سخية... العودة للفندق وجلسة استرخاء قبالة التلفزيون لأكثر من ساعة... ثم الصعود إلى الغرفة والتشمير عن ساعد الجد والعمل حتى ساعة متأخرة رغم حاجتي إلى النوم...

الاثنين: ليلة مترعة بالأرق وآلام ضربة الصدر، واستيقاظ مبكر وقلق بسبب الخشية من عدم موافقة المصرف الإسلامي على تمشية معاملاتي... فطور سريع في الفندق... ومجيء ماجد أبو غزالة والذهاب إلى المصرف، وارتياح غامر لإنجاز كافة المعاملات المالية بعد أكثر من ساعة ونصف... وارتياح آخر بحسم الشك بصدد آلام عظام الصدر بالذهاب إلى المستشفى

الإسلامي وأخذ أشعة وإنجاز المعاملة بطريقة سريعة بواسطة عدد من المعارف... استقبال وتقويم سخيين في المستشفى... مغادرة المكان وأنا أكاد أطير فرحاً لسلامة الصدر... التوجه إلى المعهد وإنجاز أعمال أخرى... دعوة غداء طيب وحوار خصب مع ياسر زعاترة وزملائه...

التوجه إلى دار البشير والمفاجأة برحيل رضوان دعبول إلى دمشق... التحول للاطلاع على الكتب واكتشاف طبعتين جديدتين لاثنين من كتبي... العودة إلى الفندق في أقصى درجات الإعياء... مكالمة من ابن العم هشام الطالب في أمريكا... التوجه إلى السوق وإنجاز العديد من المشتريات الأخرى... جلسة استرخاء مريحة في أحد المقاهي... العودة إلى الفندق وجلسة أخرى أمام التلفاز... الصعود للغرفة والمفاجأة السارة بمكالمة هاتفية من الدكتور أحمد الحسو، الذي وصل الفندق وحجز في إحدى غرفه... لغرض زيارتي... جلسة حوارية ممتعة في غرفته.. العودة إلى غرفتي والعمل المتواصل حتى ساعة متأخرة من الليل.

الثلاثاء: الاستيقاظ على قدر من الارتياح... فطور مع الحسو... مجيء مدير علاقات جامعة الزرقاء واصطحابي إلى الجامعة وحوار خصب عبر الطريق... استقبال حار من رئيس القسم وعدد من الأساتذة... تقديم سخي أمام الطلبة من رئيس القسم ومحاضرة خصبة عن الصليبيين... زيارة لرئيس الجامعة واستقبال مترع بالحفاوة... محاضرة أخرى لا تقل خصوبة مع الطلبة حول حضارة الإسلام... سيمنار مع رئيس وأساتذة قسم التاريخ والدكتور الحسو حول طرح وجهات نظري بخصوص دراسة التاريخ والحضارة... وتقييم سخي من الموجودين كافة... دعوة غداء واستقبال حافل من رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور إسحق فرحان وعدد من الشخصيات العلمية والنيابية...

التوجه بسيارة الحسو في جولة في عمان وزيارة السيف واي، وتوديع الحسو والتوجه إلى الفندق وسط أشد حالات الضيق والاكتئاب والإعياء... أكداس من المشاغل ترغمني على عدم النوم... وثمة جبهة قلق جديدة فتحها

الدكتور سالم الحمداني عليَّ من جامعة جرش... حيث رتب أمر إلقائي عدة محاضرات هناك ليوم السبت... كان عليَّ أن أؤجل سفري يومين... فأحاول تعليق الجواب ليوم غد... تزايد الانقباض وتذكر بعض المواقف مع أخي المرحوم نبيل فأنفجر بالبكاء... اتصالات هاتفية عديدة... والملكاوي يقلني إلى دار فاروق بدران، حيث الاستقبال الطيب والأمسية الخصبة والعشاء اللذيذ والتقويمات السخية... ترحيب دار الفرقان على لسان مديرها بوعدي إياه بجعل العديد من مؤلفاتي مستقبلاً من نصيب الدار... العودة إلى الفندق مع دكتور داود مدير الفرقان، والعمل المتواصل حتى ساعة متأخرة من الليل رغم إغراءات النوم.

الأربعاء: زيارة مدير العلاقات واصطحابي إلى جامعة الزرقاء... جلسة مع أحد الأساتذة العراقيين الدكتور محمد عياش... المحاضرة الأولى في القاعة الكبرى والمفاجأة برغبة الطلبة ورئيس القسم في التحدث عن حاضر العالم الإسلامي بدلاً من الموضوع الذي أعددته حول ظاهرة الفتوحات الإسلامية، وإلقاء المحاضرة بتدفق وإثارة وإمساك بخيوط الموضوع تلقى ترحيباً وتقويماً... المحاضرة الثانية مع غير الناطقين بالعربية عن (الإنجاز) وتقويم سخي من الدكتور المقدم... استراحة لدى رئيس الجامعة ثم اصطحابه إلى القاعة الكبرى لإلقاء محاضرة عن (قيمة التاريخ) حضرها عدد كبير من الطلبة والطالبات والأساتذة وتدفقت معطياتها بتمكّن تام... وأثارت نقاشاً خصباً ولقيت تقويماً سخياً، فضلاً عن التقديم السخي لرئيس القسم...

خرجت وأنا أحسّ بغبطة عميقة وبذلك التحقق الذي كنت أحسه في أعقاب كل محاضرة مبدعة... توجهنا مع رئيس الجامعة إلى الغداء وسط التعقيبات المترعة بالتقويم من الرئيس والأساتذة، وتلقيت هناك نداء من الحمداني تجاوزت خلاله قلقي وقررت الذهاب إلى جامعة جرش يوم السبت، وتأجيل سفري يومين لإلقاء محاضرات هناك... جلسة غداء طيبة... ثم تسلّم مبلغ مائتي دينار أردني مكافأة عن محاضراتي... أعود مع سائق الجامعة إلى

المدينة وأصل الفندق وأنا في غاية السعادة والانسجام على خلاف يوم أمس تماماً...

بعد قليل يأتيني الدكتور مأمون جرار فيقلني إلى مقر رابطة الأدب الإسلامي، لألتقي هناك ثلة من الأدباء والأديبات، ولألقي واحدة من أشد محاضراتي تماسكاً وتدفقاً وتغطية لمفردات الموضوع... تدور بعدها أسئلة خصبة في جو مترع بالمودة والمحبة... أتلقى خلاله تقويمات سخية من المحاضرين عن موقعي الفكري والإبداعي والتدريسي، ويتم الاتفاق على موعد لأمسية في بيت الشاعر كمال رشيد (رحمه الله) مساء الجمعة، فأستبشر بها خيراً... وأتجه عائداً إلى الفندق ومنه لتناول وجبة الحمص في مطعم هاشم الشهير وسط عمان... والدوندرمة في مطعم القدس ولأعود بعدها لأجلس قليلاً إلى التلفاز ثم أصعد لمواصلة العمل والقراءة حتى ساعة متأخرة من الليل... إنه واحد من أمتع أيامي عبر رحلتي هذه... زاده متعة أن أتلقى مكالمة من جرش تقول أن سيارة للجامعة ستأتي صباح السبت لكي تقلني إلى هناك... فحمداً لله...

الخميس: مكالمات هاتفية وترتيب للمواعيد، ثم النزول لتناول وجبة سمك لذيذة في أحد المطاعم الشعبية، والتوجه إلى مكتب مجلة الأمة التي توشك على الصدور، وحوار خصب مع هيئة تحريرها، وتسليمهم عدداً من مقالاتي... والاتفاق على أن أتولى الكتابة الدائمة للصفحة الأخيرة... أتجه بمعية أحدهم إلى المحطة لتثبيت الحجز على يوم الأحد إن شاء الله... وأعود إلى المعهد لأجد الدكتور الملكاوي هناك، ولأجدها فرصة مواتية لحل سائر الإشكاليات المعلقة، التي طالما أقلقتني وأحسست بعدها بفرح غامر وارتياح عميق...

منابع جديدة للقلق انفجرت أحدها بسبب مكالمة من قطب سانو في ماليزيا، يطلب ايضاحاً حول طريقة توجيه الدعوة لي وللدكتور محسن عبد الحميد، لزيارة الجامعة الإسلامية في ماليزيا... والآخر بسبب اكتشاف معلقات وربما أخطاء كثيرة بخصوص حساباتي في فرع اللويبدة... أجريت اتصالات

هاتفية عديدة، وصفيت المشاكل الأخيرة، والتقطت صوراً مع موظفي المعهد وأحد طلبتي أيام تدريسي في الرياض... صليت العصر وعدت لأتجه إلى صالة المحاضرات التي حضرها عدد طيب من الأساتذة والطلبة والنساء، حيث ألقيت محاضرة مترعة بالإثارة، أمسكت بها انتباه الموجودين، وتلقيت بعدها حشداً من الأسئلة الطيبة والتقويمات المترعة بالصدق والسخاء...

غادرت بعدها مع الملكاوي إلى بيت حيدر وقفة وأنا أحسّ بسعادة بالغة... تناولنا هناك عشاء طيباً وتلقيت تقويمات سخية وجرت مناقشات ودية، ثم ما لبثت أن عدت بمعية الدكتور الملكاوي وآخرين إلى الفندق، وأنا أحسّ بإعياء بالغ وقلق على كثرة المطالب، التي سهرت من أجلها إلى ساعة متأخرة من الليل.

الجمعة: ليلة مؤرقة مع صخب آليات الحفر بجوار الفندق واستيقاظ متأخر... ساعة حوار وأحاديث مع الدكتور أبي الوتار في صالة الفندق... صلاة الجمعة وبعض المشتريات وغداء وعودة للفندق لمقاومة إغراء النوم والاسترخاء بسبب كثرة المطالب... في الخامسة أتوجه مع بلال كمال رشيد إلى بيت أهله... جلسة حوار وتعارف طيبة مع حشد من الأصدقاء وتلقي تقويمات سخية... وقراءات شعرية متنوعة...

السبت: التوجه صباحاً إلى جامعة جرش بباص أُرسل إليَّ من هناك... الحمداني والعميد وعدد من الأساتذة يستقبلوني باحتفاء بالغ، ويقدمني الحمداني عبر محاضرات ثلاث بسخاء يفوق التصوّر، متحدثاً عن فكري ومنهجي والندوات التي حضرتها وحضوري المؤكد في العالمين العربي والإسلامي... وتنظيراتي الأدبية والفكرية... والأطروحات التي كتبت عن نتاجي... وما يتميز به فكري من عمق وشمولية وإخلاص...

كانت أولى المحاضرات عن (منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام)، وثانيتها عن (قيمة الأدب)... ساعة من الاستراحة في غرفة العميد، حيث التعرف على المزيد من الأساتذة ومعاون رئيس الجامعة والسخاء الملحوظ في

التقويم... وحيث يطلب مني برجاء ملحّ تلبية دعوة الجامعة لأسبوع أو أكثر في كل سنة... نتوجه إلى قاعة المكتبة لإلقاء المحاضرة العامة التي حضرها رئيس الجامعة والعميد والعديد من الأساتذة والطلبة... وحيث تحدثت عن قيمة التاريخ وأدرت المنظور من جوانب عديدة... جرت بعدها مناقشات خصبة، ثم غادرنا المكان وسط تقويمات سخية من الإداريين والأساتذة والطلبة... فحمداً لله...

نتجه إلى بيت الحمداني، بعد أن رتبت أمر العودة وحضور محاضرة مجمع اللغة العربية مع العميد... ودارت أحاديث طيبة وتناولنا غداء شهياً... ثم جاءت لحظات التوديع المؤثرة والتوجه إلى عمان، حيث محاضرة المجمع عن ترجمة المواد الجامعية العلمية إلى العربية ألقاها أستاذ متخصص من آل جرار... وحيث اللقاء بالدوري والسامرائي (رحمهما الله) وعدد من الأساتذة...

توجهنا لأداء صلاة المغرب ومنها إلى كلية الهندسة بمعية الدكتور محمد زكي، للاطلاع إلى عمل الانترنيت، وتوجيه رسالة إلى الدكتور القرضاوي تهنئة بسلامته... عدنا بعدها إلى بيت الدبو لتناول عشاء طيب، ولتسلم عقد جاء به من بيروت أحد الأصدقاء بخصوص طبع (دراسة في السيرة) مع دار النفائس... أعود بصحبة الدكتور محمد زكي وسط إحساس مزيج من الإعياء والغثيان والاكتئاب، والرغبة في النوم الذي أقاومه بصعوبة وأشمر عن ساعد الجد لإنجاز الكثير من المعلقات... إذ أخذ الوقت يضيق عليَّ الخناق أكثر فأكثر، وأمامي يوم غد المزيد قبل أن أستقل الباص عائداً إلى بلدي بعون الله...

الأحد: ٥/١١: الاستيقاظ القلق... مكالمات هاتفية عديدة... ترتيب الحقائب وشيء من الارتياح... صرف الأردني وتحويله إلى دولارات... استقرار الرأي على حمل الحقائب إلى المعهد والانطلاق من هناك... دوامة من الملاحقة والعمل وشد الأعصاب والصراع مع الزمن في المعهد يذكرني بيوم مغادرتي زمن الرحلة اليمنية... مجيء العوضي وحلّ جلّ الإشكاليات المعلقة بما

في ذلك التزامه بمتابعة كتابي (التأصيل الإسلامي للتاريخ) في طبعته الجديدة... الانطلاق مع مدير عام مؤسسة سجا ومعاونه (عماد الخطيب) والعوضي لتناول الغداء في مطعم ريم البادية، حيث الإحساس العميق بالتحرر والتخفف والصراع ضد الزمن... واحدة من أجمل الجلسات وأكثرها سعادة لولا ضيق الوقت...

التوجه بسرعة إلى كراج الجت والوصول قبيل دقائق من المغادرة... وتوديع المضيفين والاستقرار السعيد في الباص مخلفاً ورائي تلالاً من الهموم والمطالب والشد النفسي، التي افترستني عبر رحلتي إلى عمان... ها أنا ذا أجدني مسترخياً الساعات الطوال في واحدة من أكثر رحلاتي الخارجية راحة وسعادة... ويزيدني ارتياحاً قلة عدد المسافرين، وعدم تفتيش الحقائب في رويشد، واكتشاف السوق الحرة في طريبيل وشراء قدر بخاري وجهاز راديو مسجل بعد تردد بينهما وبين جهاز الفيديو... نوم طيب في الباص حتى لحظات الوصول إلى بغداد، ثم العثور بسهولة على سيارة فارهة للعودة إلى الموصل وتزايد الإحساس بالسعادة... لحظة الوصول السعيد صباح الاثنين، والأحاديث الطيبة، وعرض المشتريات... والغداء اللذيذ...

[٢٧]

رحلة عام ١٩٩٧ م إلى ماليزيا

الجمعة ١٠/٣٠: يوم الجحيم... ورم القدم... مطالب الموصليين... كآبة ليلة السفر.

السبت ١١/١: ارتياح لتحسن القدم... رحلة مريحة إلى بغداد بجوار طالب قديم... الانتظار القلق في صالة الجت، وقلق الحصول على مقعد في باص الثانية، وفرحة تحقيق المطلوب... رحلة مريحة في الباص... متاعب تفتيش الرسائل... الوصول فجراً...

الأحد: ارتياح الاستقرار في الفندق... اغتمام بسبب سفر صاحب

الدكتوراه وقريبه وعدم الحصول على مكالمة مع الموصل، وتأخر السفر إلى يوم الخميس... التوجه القلق إلى المعهد وإنجاز العديد من الأعمال... انزعاج لعدم وصول تقويمي عن أطروحة الغزاوي إلى محيي الدين عطية، وعدم وصول فاكسين إلى باكستان والإمارات بخصوص الصكوك المعلقة... فرحة غامرة بوصول مجموع حقوقي المالية عن أعمالي للمعهد عبر السنوات الأخيرة...

لحظات من التمزق والحيرة بخصوص عرض دكتور محمد زكي فكرة السعي للحصول على مقعد إلى ماليزيا هذه الليلة، ثم مكالمته بعد قليل بحصوله فعلاً... وإحساس قاسٍ بالندم على الموافقة، حيث تنتظرني في عمان جملة كبيرة من المطالب، وحيث رتبت مع العوضي مبدئياً محاضرتين في المعهد وعدة محاضرات في الزرقاء... إحساس بعد قليل بالارتياح وترتيب العديد من الأمور المعلقة، وتأجيل الباقي لحين العودة بعد برمجة المحاضرات مع العوضي...

ساعات من شد الأعصاب مع المطالب والاتصالات الهاتفية وإحساس بالتخفف شيئاً فشيئاً... ارتياح لوعد مدير دار الفرقان بقرب نشر كتابي عن (التأصيل الإسلامي للتاريخ)، وآخر عن (المرأة من منظور غربي)... وبالاتفاق مع محرري الأمة الأردنية بتحويل مقالاتي القصيرة إلى مجلة الشرق القطرية الأسبوعية، لكي تنشر هناك عبر كل أسبوع لقاء مكافأة طيبة... معنى ذلك أن تتاح الفرصة لنشر الكتاب الأم في منشورات فلسطين المسلمة في وقت قريب إن شاء الله... محاولات عديدة فاشلة للاتصال مع الموصل... إحساس بالاكتئاب بعيد المغرب... والذهاب مع دكتور زكي لأخذ الأغراض من الفندق... جلسة طيبة في مطعم حبيبة... وصالة انتظار باصات المطار... الانطلاق المريح إلى المطار والانتظار الطيب لإقلاع الطائرة... ورحلة مريحة مضت في نوم عميق...

الاثنين: الوصول القلق إلى المطار... نصف ساعة من شد الأعصاب بسبب متاعب الحصول على الفيزا والتخوّف من عدم وجود المستقبلين...

لحظة الانفراج المترعة بالغبطة والانطلاق من المطار حيث ينتظرني العديد من المستقبلين والاستقرار في فندق رائع... زيارة ثلاثة من المعارف وتسليم الرسائل والمتاع، وتلقي وجبة طيبة من الفواكه... أمسية وعشاء طيب في بيت مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، وأحاديث ونكات متواصلة مع عدد من الأساتذة المصريين والجزائريين الخ... المدعوين إلى العشاء...

الثلاثاء: الاستيقاظ بعد نوم عميق... التوجه مع سائق العلاقات إلى الكلية... جلسة طيبة في غرفة العميد الأستاذ الدكتور جمال البرزنجي وترتيبات مبدئية لعناوين المحاضرات في سياقاتها المختلفة... العودة إلى الفندق وتناول وجبة سمك في المطعم... قيلولة عميقة... ثم شاي وبعض الإنجازات المكتبية... زيارة للدكتور أحمد الكبيسي وأحاديث طيبة... عشاء في الفندق... أمسية مع دكتور منجد ودكتور مجاهد حتى ساعة متأخرة، وتداول في طلبات الموصليين الكثيفة...

الأربعاء: الاستيقاظ القلق بصدد الحصول على سيارة توصلني إلى الجامعة... العلاقات ترسل السيارة... زيارة لمعاون العميد والعديد من الأساتذة... ترتيب المحاضرات بشكل شبه نهائي... رد الزيارة للكبيسي وارتياح عميق لتبيُّن أن الجامعة لا تغطي مصاريف الضيوف سوى لثلاثة أيام فقط، معنى ذلك أنني سأتحرر من أكل الفندق وسآكل كما أشاء فيما كنت أحلم به في رحلاتي السابقة... أمسية طيبة مع دكتور سفيان الأرحيّم وتجوال في السيارة ومشياً على الأقدام، وعشاء طيب في إحدى مناطق العاصمة وأحاديث ذوات شجون... عمل في الفندق حتى ساعة متأخرة...

الخميس: قلق بصدد صيغة الوصول للجامعة... مروان الطالب يتصل هاتفياً فيبشرني بأن الأهل قد أُعلموا بوصولي... وبأنه سيرتب أمر السيارة... التوجه إلى الكلية وإنجاز مطالب الفيزا... تناول الغداء في مطعم الكلية مع مجاهد... قيلولة في الفندق ثم عمل حتى الثامنة... الخروج للبحث عن

بقاليات ومطاعم لتناول العشاء وشراء بعض المطالب... ارتياح عميق للعثور على المطلوب قريباً من الفندق... تناول عشاء طيب وعمل حتى ساعة متأخرة...

الجمعة: مدير العلاقات يأخذني في زيارة للبنايات الجديدة الرائعة للجامعة... صلاة الجمعة في جامع الجامعة... معاناة مع الحر والرطوبة وضيق النفس... أحد الأساتذة يقلني إلى الفندق... قيلولة... ثم جلسة شرب الشاي والعمل حتى موعد العشاء ومنه إلى منطقة المطاعم... تناول وجبة لذيذة من الكنتاكي وشراء عدد من الحاجيات... جلسة استرخاء في صالة الفندق... الصعود والعمل المتواصل حتى ساعة متأخرة...

السبت: التوجه مشياً إلى الجامعة وارتياح لاكتشاف الطريق وقرب المسافة لولا متاعب الحر والرطوبة وضيق النفس... ترتيب موعد قادم مع العميد... جلسة في غرفة أحد أساتذة الشريعة وشرب الشاي هناك... جلسة أخرى في غرفة مجاهد وحل إشكالية أوراق خالد عثمان التي أقلقتني ليومين، وكذلك وسيلة الحصول على سلفة نقدية... لقاءات وتقويمات سخية من قبل العديد من الأساتذة والطلبة... التوجه إلى قاعة الطبري لإلقاء المحاضرة الأولى عن (تجربتي مع النقد) وتقديم مترع بالسخاء من قبل أستاذ سوداني... إلقاء محاضرة في أقصى درجات التمكن والانسيابية والهدوء وتغطية المفردات والخصب والحيوية فيما لم أكن أتوقع أن يكون بهذا المستوى بفضل الله... أحد الأساتذة يهديني عدداً من الأبيات... أسئلة وحوار خصب في صميم الموضوع... مجاهد يكرمني بوجبة غداء سفري وجملة سخية من المشتريات...

العودة إلى الفندق... عبر واحدة من أجمل وأطيب الساعات في رحلتي هذه، وأقول في نفسي إنه لأجمل يوم والحمد لله... تناول غداء طيب ثم قيلولة قصيرة... جلسة شرب الشاي... وكتابة المذكرات بانتظار موعدي مع دكتور سفيان... تناول عشاء متخم هناك... مناقشات عن الحضارة والتاريخ لم أجد فيها الفرصة الكافية للمداخلة... وعندما وجدتها أخيراً رأيتني قبالة أحد

الدارسين في أمريكا المعجبين بالتفوّق الغربي، المستسلمين للأمر الواقع... وعبثاً أحاول إقناعه... كان يناقشني بمنطق الوقائع ويشكك بقدرة الإسلام والحضارة الإسلامية على تأكيد وجودها أو استعادته ويرفض بشكل قاطع أية رؤية تتشبث بالمعطيات العقدية والقرآنية لتنفيذ المطلوب رغم أنه يصوم ويصلي ويعمل في جامعة إسلامية ويتعاون مع معهد إسلامي عالمي!! وكان يعتمد أسلوب الصراخ واحتكار الوقت وعدم منح الآخر الفرصة للانسياب في طرحه...

وتذكرت قول الكبيسي بخصوص النقاش من أن فلاناً لا يعتمد أسلوب الجدل السليم وأن مشكلته أنه يريد التحدث في أي موضوع... نزلت إلى الصالة لأسترخي قليلاً فوجدتني قبالة منظر جنسي لا يسرّ... يثير القرف... عدت ثانية إلى الغرفة... ووجدتني أهرع إلى العمل وممارسة رياضتي اليومية ثم التوجه لكتابة هذه المذكرات...

الأحد: استيقظت مرتاحاً بعض الشيء، فأنا على موعد مع منجد وعائلته للقيام برحلة غداء ومشاهدة بعض معالم كوالا لامبور... اطلعنا على جامع شهير، ثم تجولنا في حديقة الطيور في منطقة مدهشة في جمال طبيعتها وإعجاز خلق الله في عالَمَي النبات والحيوان... لكن الحر القاسي والرطوبة المرتفعة أهاجت عليَّ متاعبي مع النفَس والرجلين، ثم ما لبثنا أن تناولنا غداء دسماً في بقعة من أجمل البقاع في الأرض، وقمنا لكي نتجول ونتبادل الأحاديث... وما لبثت الغيوم أن أنذرت بالمطر العنيف كالعادة فقفلنا عائدين... ودخلت الفندق في الحالة التي كانت تتكرر دائماً عبر رحلاتي: اكتئاب قاسٍ لا يطاق... لكنني جابهته بأخذ حمام ساخن وقيلولة قصيرة قطعتها مكالمة من سفيان جاءت وكأنها انتشال لي من بئر الاكتئاب...

خرجنا لكي نتجول في جامع شاه سلطان المدهش، الذي يعدّ واحداً من أجمل المساجد في العالم... ثم صلينا المغرب وقفلنا عائدين لكي ندخل أحد السوبرماركتات الرائعة... فنتناول المعجنات ونتجول في معارضه ونتبادل

الأحاديث الطيبة، حيث عرض سفيان عليَّ دعوتين إحداهما لتناول الأسماك البحرية، وأشار إلى استمتاعه وبقية المدعوين بمناقشة يوم أمس...

عدت إلى الفندق مرتاحاً لكي أتناول عشائي في الغرفة بشهية، وأجد عند الباب مجموعة كبيرة من قناني الماء الصحي هدية من دكتور عارف، ولكي أنزل إلى الصالة فأسترخي فيها مرتاحاً أكثر من ساعة، وأكتشف ـ سعيداً ـ صيغة لكتابة عشرات الحلقات لمجلة الشرق القطرية مستمدة من مؤلفاتي، وبذلك أتجاوز متاعب كتابة حلقات جديدة، وأحصل على ربح طيب والحمد لله...

وكانت تخترقني بين حين وحين أفكار سوداوية عن زوجتي وابني، فأدعو الله ﷻ من أعماق قلبي أن يحفظهما ويقيهما كل سوء... وخرجت إلى الغرفة لكي أتناول الفاكهة وأكتب بعض الوقت، ثم أمارس الرياضة اليومية وأنام...

الاثنين: تناولت فطوري واتجهت مشياً إلى الكلية... وصلت مكدوداً من الحر والعرق والرطوبة... فوجئت لدى سكرتارية معاون العميد بتعليمات الموفدين وقد انتقصت حقوقي. فآلمني ذلك كما أثقل عليَّ ضرورة ملء الاستمارة الملأى بأسئلة تصعب الإجابة عليها. ذهبت لزيارة المعهد العالمي لإرسال الفاكسات فلم أجد مديره... توجهت إلى المكتبة وقضيت وقتاً مع عدد جديد من مجلة الأدب الإسلامي كثرت فيه الإشارات حولي، كما تضمن مقالي عن أغاريد المسلم الصغير. عدت إلى الكلية وجلست في غرفة دكتور مجاهد، ومنها إلى المطعم لشراء الغداء، ثم العودة إلى الفندق في سيارة دكتور عبد القهار العاني... كنت تعساً مشتتاً وقلت في نفسي: متى أجعل الرحلات تجربة سعيدة بعد إذ أبذل للحصول على الموافقات بخصوصها أشهراً طويلة من أعصابي؟!

تناولت غدائي وأخذت قيلولة خفيفة، ثم استيقظت على رشقة من الاكتئاب ذكّرتني بأيام رحلتي إلى صنعاء... قمت مسرعاً لمجابهة الحصار النفسي بالعمل وأنجزت العديد من الأمور المكتبية... واتصلت هاتفياً بسفيان لإعانتي على ملء الاستمارات فلم يكن في البيت... اتصل بي منجد ليعلمني أن أوراق

خالد قد تم العثور عليها فرقصت فرحاً وقلت في نفسي: ماذا لو سمعت صوت زوجتي وأطمأننت عليها في الهاتف كما كان يحدث في رحلاتي السابقة؟!... ولكن كيف السبيل؟! وكيف أتجاوز الوساوس القاسية التي تنقض عليَّ بخصوصها كالمطر فتزيدني تعاسة واكتئاباً؟

إدارة الفندق تتصل بي هاتفياً حول التفاهم معهم بخصوص الإقامة في الفندق... أنصرف إلى العمل لعدة ساعات... وأتناول عشائي في الفندق ثم أصعد لأقضي ساعة طيبة مع الكبيسي، وأنزل إلى الصالة فلا أجد مكاناً، فأرجع إلى الغرفة مع لمسات من الاكتئاب المعهود، الذي أسكته بجولة أخرى من العمل... فعشاء آخر!! فرياضتي اليومية ثم النوم... حيث أسرح قبل أن يأخذني بالأيام التي سأستقر فيها في الموصل، وأستيقظ صباحاً وليس ثمة ما يكدّرني أو يكئبني إن شاء الله!!

الثلاثاء: يوم الجحيمين والنعيمين!! اتجهت إلى الكلية أحمل معي هموم مطالب متشعبة مع العميد ومعاونه ومدير المعهد الإسلامي والمحاضرة الثانية... لم أجد معاون العميد وكذلك مدير المعهد فانتابني الضيق... وزادني ضيقاً أن لم أجد مقعداً على الطائرة الأردنية الوحيدة المغادرة إلى عمان في آخر الشهر... توجهت إلى غرفة دكتور مجاهد وأنا في أقصى حالات التوتر واليأس... وقلت في نفسي يبدو أن رحلاتي إلى الخارج محتوم فيها شد الأعصاب والإحباط وسائر المنغصات التي تحيل أيامها إلى جحيم... ثم الاتصال بالدكتور قطب سانو، فجاءني بنفسه... وعرضت عليه معاونتي في مسألة الحجز، فتسلم التذكرة ووعدني خيراً فأحسست بقدر من الارتياح... شربت السيريلاك عنده وأكلت البسكويت واتجهنا سوية إلى غرفة العميد...

دقائق ودخلنا عليه، حيث استطعت عبر وقت قصير جداً أن أصفي معه العديد من المعلقات، وأن أشعر بارتياح عميق، وزادني ارتياحاً دخول المعاون الدكتور نزار العاني، حيث تمت تصفية معلقات عديدة، ووعد الرجلان بحسم موضوع الحجز...

فغادرت الغرفة أكاد أطير فرحاً واستقراراً، وقلت في نفسي: إن هذه الحالة ستعينني ـ كالعادة ـ على الإبداع في محاضرتي على خلاف ما لو كنت في وضع التعاسة إياها... دخلت قاعة الطبري التي امتلأت بعد قليل بالحضور، وقدمني دكتور ليبي بسخاء قائلاً أنني أحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر الخ... وبدأت ألقي محاضرتي بتدفق وتمكّن بفضل الله... ورغم أن سرعتي في الأداء جاوزت ما كنت أتمناه، وسيطرتي على المانشيتات فقدت تسلسلها، إلّا أني قلت أكثر مما كنت أتمناه...

ولقيت المحاضرة تقييماً واسعاً... وأعقبتها مناقشات خصبة أجبت عنها بتمكّن وانسيابية والحمد لله... تلقيت التهاني وتعرّفت على حشود الحاضرين... وغادرت القاعة بمعية دكتور عبد القهار العاني وسط إحساس غامر بالثقة والفرح، ودخلت الفندق وصعدت الغرفة لكي أبدأ بالتهام ما تبقى من كبد الدجاج اللذيذ.

وما هي إلّا دقيقة أو دقيقتين حتى رنّ جرس الهاتف فإذا بمجاهد يخبرني أن قطب حجز لي على يوم الجمعة ١١/٢٨: أي قبل الموعد المتفق عليه مع العمادة بثلاثة أيام، ومعنى ذلك أنني سأخسر هذه الأيام بما فيها من مخصصات مجزية، فضلاً عن تضارب الموعد مع محاضرتي الأخيرة يوم ٢٩/ ١١... طلبت منه أن يبذل جهده مع قطب لتدارك الموقف، وأقفلت السماعة وأنا أحسّ أني أدخل دائرة الجحيم مرةً أخرى، وازدردت غدائي دون إحساس بطعمه وأنا أقول في نفسي: ماذا لو تركني مجاهد أرتشف سعادتي الغامرة وأتناول غدائي بشهية وارتياح؟! أحسست بالقلق والتشتت... حاولت أن أغفو قليلاً فلم أستطع... غادرت المنام لكي أدخل الحمام... دق جرس الهاتف هرعت إليه عرياناً، وأنا أقول في نفسي ماذا لو كان المتحدث الدكتور قطب سانو، الذي اتصلت به مرتين دون جدوى... فإذا به هو وإذا به يبشرني بتغيير موعد الحجز مبدئياً إلى يوم الاثنين ١٢/١.

كدت أطير من الفرح وزادني فرحاً أن يدعوني لحضور سيمنار عن أسلمة

المعرفة بعد يومين... عدت إلى الحمام وأنا أكاد أرقص ورحت أغنّي والماء الساخن ينصبّ عليَّ بسخاء... وقلت في نفسي ها أنا ذا أحقق ما كنت أتمناه وأدخل دائرة النعيم ثانية... وقلت لعلها آخر حلقة من حلقات العذاب في هذه الرحلة... تناولت الشاي بارتياح وأنجزت العديد من الأعمال المكتبية، وغادرت الغرفة ميمماً وجهي صوب مطعم الكانتاكي الأنيق والجوع يعتصرني فإذا بي أفاجأ بانصباب المطر، فجلست أنتظر في الصالة دن جدوى، ثم وجدتني مرغماً على الصعود إلى الغرفة لتناول عشاءً من الجرز والبسكويت والعنب. ثم نزلت إلى الصالة لكي أسترخي هناك أكثر من ساعة أعود بعدها إلى الغرفة لتدوين المذكرات وإنجاز بعض الأعمال الكتابية وممارسة الرياضة ثم الاستسلام للنوم...

الأربعاء: النوم كان عميقاً... ولأول مرة أستيقظ منشرحاً (!!) أتجه إلى الكلية حيث موعدي مع دكتور قطب لضمان الحجز على يوم (١٢/١)، وأجلس طويلاً في غرفة دكتور مجاهد فلا يأتي... يتم الاتصال الهاتفي به... وأتجه إلى إدارة مجلتَي إسلامية المعرفة والتجديد... وأتلقى من الميساوي أجوبة على أسئلتي كافة التي أدّخرتها لمدير المعهد (لؤي صافي) دون أن أحظى بلقائه: مكافآت البحثين، وهوية المستقلة، وإرسال الفاكسات، وتسلّم الأعداد الأخيرة من المجلتين... الخ... ودعوة من مدير تحرير التجديد للكتابة فيها... يجيئني هناك دكتور قطب ليسلمني التذكرة وفق موعدها الجديد الذي لم يعد يحتاج - بحمد الله ﷻ ـ سوى إلى تثبيت... أعود إلى غرفة مجاهد بصحبة طالب ماجستير باكستاني يعاونني في ملء الاستمارة الخضراء بخصوص الأساتذة الزائرين والمترعة بالأسئلة...

أتجه بها إلى دكتور نزار وأجلس هناك جلسة ودية حيث يتم تنقيح الاستمارة وأتحرّر من قلقها، وأزيل آخر حاجز بخصوص تسلّم مكافأتي المالية... ألتقي عبر الطريق بالعديد من الأساتذة وأتلقى المزيد من التقويمات السخية والدعوات بالموفقية... ويشير أكثر من واحد إلى كوني أحد رواد الفكر

الإسلامي المعاصر (فأحمد الله سبحانه على أن آتاني من فضله حيث لا أستحقّ عشر معشاره ولكنه الكرم الإلهي)...

أتناول غدائي من الدجاج المشوي بالتنور مع دكتور عارف واثنين من الأساتذة الطيبين... أتلقى إشعاراً باستضافتي مساء غد الخميس في المعهد عبر جلسة خاصة لطرح تصوراتي عن التأصيل الإسلامي للتاريخ والحضارة، وأتفق مع دكتور قطب حول المجيء إلى الفندق لاصطحابي إلى هناك... أرتب مع رئيس قسم التاريخ موعداً للقاء بأساتذة القسم... حيث يطلب رئيس القسم ويعرب عن ترحيبه وسعادته وأعضاء القسم... ثم ما ألبث أن أؤجل الموعد، بسبب اجتماع مع رئيس الجامعة سيحضره رؤساء الأقسام صباح الجمعة...

أعود إلى الفندق مشياً، وأعاني عبر الطريق من الحر والرطوبة والعرق الغزير... أصل الفندق منهكاً ولكني سعيد... فما دام ليس ثمة ما يقلق فإن المتاعب الجسدية لا تعني شيئاً... آخذ حماماً مريحاً وأصلي الظهر، ثم أحاول أن أنام قليلاً. وما يلبث هاتف من الدكتور جمال البرزنجي عميد الكلية أن يوقظني: دعوة على العشاء في بيته مساء الجمعة... واستفسار عن الطريقة التي يمكن أن نتلقى من خلالها جواب الحاج صلاح المختار حول نوعية الدواء الذي طلبه لزوجته...

أشرب الشاي وأصلي العصر وأقف خلف النافذة ملقياً نظرة على كوالامبور قبيل الغروب... أنجز عدداً من الأعمال المكتبية بانتظار دكتور سفيان، ولكنه لا يأتي ويقرصني الجوع، فأغادر الفندق إلى أحد المطاعم لالتهام الكانتاكي اللذيذ وتوابعه، ثم أغادر المكان لشراء بعض المعجنات وأعود إلى الفندق...

رشقات من الكآبة تصفعني عبر الطريق... لكن ما أن أصل الفندق وأجلس مسترخياً في مكاني المفضل من الصالة حتى تزول كآبتي... لكنّ قلقاً وخوفاً خفياً يتناوشني تجاه الوضع الصحي لزوجتي وابني فأكِلُها لله... وأغادر المكان وأصعد إلى الغرفة حيث أنكبُّ على العمل فأزيل به كل المنغصات،

وأشعر بارتياح عميق وأنا أصفي المعلقات الواحدة تلو الأخرى... وبخاصة ترتيب ورقة مقنعة بخصوص لقاء يوم غد حول التأصيل الإسلامي للتاريخ والحضارة... أتناول شيئاً من الفاكهة وأمارس رياضتي اليومية، ثم أسلم نفسي للنوم بعد جولة من الهواجس المقلقة بخصوص زوجتي، ولكن الله ﷻ هو الحافظ...

الخميس: أستيقظ مرتاحاً فأنا لست ملزماً بالذهاب إلى الكلية... أتناول فطوري وأنزل إلى الصالة لكتابة واحد من البحوث التي قررت إنجاز جانب منها عبر أوقات فراغي لئلا يفترسني القلق والملل من جهة، ولكي لا تشكل عليَّ عبئاً بعد عودتي إلى الموصل إن شاء الله، حيث قررت أن آخذ عطلة لعدة أسابيع...

ورغم نومي الساعات الطوال عبر الليل فقد أخذ يداعبني النعاس، ومع ذلك شمرت عن ساعد الجد وكتبت معظم المطلوب في بحث عن «نشوء الحضارات في المنظور القرآني». وحانت الواحدة ظهراً وأنا أحسّ بسعادة غامرة شأن كل إنجاز... توجهت صوب منطقة الأسواق على بعد ربع ساعة من الفندق لتناول الغداء، لكن الرطوبة والحر أحالا المشي إلى شيء صعب... ووجدتني أدخل مطعماً صينياً شعبياً وأتناول وجبة غدائي على مضض، ثم أغادره إلى السوبر ماركت الكبير لشراء الموز والمنكا...

عدت إلى الفندق والعرق ينزّ من جسدي، وصليت الظهر ثم أخذت قيلولة متقطعة وسط أصوات المطر اللذيذ ثم ما لبث أن أنهاها صوت الهاتف، حيث سمعت أحد المعجبين! يتحدث معي بالإنكليزية ويطلب موعداً للقاء... أنجزت بعض الأعمال بانتظار دكتور قطب... وفي الساعة السابعة وضعت نفسي كعادتي في دائرة القلق وشد الأعصاب دون مبرر، إذ رحت أنتظر قطب أكثر من نصف ساعة دون أن يأتي، فانتابني القلق من نسيانه الموعد. وحينذاك قد لا تتاح فرصة الذهاب إلى المعهد لإلقاء محاضرتي وفق الموعد المتفق عليه...

وهرعت إلى الغرفة للاتصال الهاتفي به، فلم يفتح الباب، فنزلت مسرعاً

لشحن البطاقة والعودة للاتصال، فلم أحصل عليه في المكتب. أو في البيت وما لبث أن تلفن لي وتبين أن الموعد السابعة والنصف.

وهكذا ضيعت على نفسي صلاة المغرب وأتلفت أعصابي دون مبرر... اتجهنا إلى قاعة الشافعي، حيث كان في الانتظار نخبة من المعنيين بالتأصيل الإسلامي من قسم التاريخ والمعهد... وتم الترحيب الحار وبدأت إلقاء محاضرتي... كانت مزدحمة مترعة بالتفاصيل ورغم اضطراري إلى الإيقاع السريع، الذي لا أرتاح إليه، إلاّ أنني كنت أمسك بأعنّتها جيداً... وانتهيت لكي أتلقى بعدها سيلاً من التقويمات من معظم المتحدثين وذلك من فضل الله... وطُرحت الأسئلة وتمت الإجابة عليها...وأشار أكثر من واحد إلى ضرورة الاستفادة من وجودي، كما طلب عميد الكلية بقائي لفترة غير محددة، لكنني أقنعتهم بأن في الأسبوعين المتبقيين متسع لمناقشة العديد من الأمور بخصوص التأصيل الإسلامي للتاريخ، وبخصوص المؤتمر الخاص بالموضوع والذي اقترحه عميد الكلية...

وتم تشكيل لجنة والاتفاق على موعد مستعجل صبيحة الغد... كما تلقيت دعوات لحضور لقاءات مع أساتذة قسم التاريخ... والجمعية الخلدونية والأدباء... فأعربت عن استعدادي... وتناولنا العشاء فلم أحسّ بطعمه ولم أواصل التهامه بسبب كثرة المتحلقين حولي... فضلاً عن شدة توابله... وغادرنا المكان لأجري مكالمة هاتفية مع دكتور أنس... وأرجع بمعية دكتور قطب إلى الفندق بعد أن أنجزت عدداً آخر من المطالب المعلقة التي يبدو أنها لن تنتهي أبداً... دخلت الغرفة وسط الحالة إياها من التشتت والإعياء، فشمّرت عن ساعد الجد ورتبت الأوراق وأنجزت بعض المسائل، وتناولت عشاءً خفيفاً ثم مارست رياضتي وأسلمت نفسي للنوم...

الجمعة: تناولت فطوري واتجهت إلى الكلية بمعية دكتور محسن محمد صالح، الذي حدثني عن تأثره بكتاباتي وتتلمذه عليها وعدد من أصدقائه أيام الثانوية في فلسطين، وعن دورها في بناء الجيل (فحمدت الله ﷻ على فضله

الذي لا حدود له)... التقيت عبر جلسة طويلة بممثل المعهد دكتور لؤي صافي، وتم تبادل وجهات النظر وطرح المقترحات فيما يمكن عمله بخصوص التأصيل الإسلامي. كما تم الاتفاق على اتخاذ بعض الخطوات العملية وإجراء لقاءات أخرى لاستكمال الموضوع... غادرت المكان قبيل صلاة الجمعة وأمامي متسع من الوقت... كنت أحسّ كعادتي دائماً إزاء التبذير في الزمن بالقلق والذنب في أني أفرّط فيه، وأن ساعات اليوم لم توظّف بما فيه الكفاية...

اتجهت لزيارة دكتور مجاهد وأخيه فلم أجدهما. فيممت وجهي صوب المطعم للاطلاع على مأكولاته التي أخذت تزعجني بكثرة توابلها، ثم اتجهت إلى مسجد الجامعة لأداء الصلاة... غادرت المكان بحثاً عن عائد يوصلني إلى الفندق خشية من الرجوع مشياً وما يعنيه ذلك من متاعب الحرّ والإعياء والعرق... ومضى أكثر من نصف ساعة في غرفة دكتور قطب بانتظار الشخص... كادت أعصابي خلالها تنهض واقفة من آثار الجوع ونفاد الصبر...

اطلعت هناك على كتاب جديد من إصدارات المعهد عن سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، وآلمني أن صاحبه رغم إشارته إلى العديد من كتبي في اعتماداته لم يشر بما فيه الكفاية إلى (التفسير الإسلامي للتاريخ)، الذي سبقه في هذا الموضوع، والذي اعتمد على العديد من مقاطعه (بعد تغييرات طفيفة) دون أن يشير إلى الكتاب...

أوصلني طالب ماليزي يتكلم العربية والإنكليزية... ألقيت في الفندق عصا الترحال، وهرعت قبل استبدال ثيابي لتناول غداء خفيف، ثم أخذت قيلولة طيبة واستيقظت لكي أنجز بعض الأعمال، وأرتب قائمة بمواعيد المطالب واللقاءات والمحاضرات التي انهالت عليَّ (من قسم التاريخ، ومنتدى ابن خلدون، والمعهد، وجمعية الثقافة الإسلامية... الخ)... ولأشرب الشاي وأتهيأ والدكتور الكبيسي للذهاب بمعية دكتور سفيان لتناول العشاء وقضاء الأمسية في بيت دكتور جمال البرزنجي.

انتظار أكثر من نصف ساعة عند مدخل الفندق قبالة الأمطار الغزيرة،

وحماية النظر من الوقوع هنا وهناك على المتبرجات القادمات إلى حفل في الفندق، وهن في أقصى درجات العري والتزّين، وتعليقات وقفشات مضحكة مع الكبيسي... الوصول إلى دار دكتور جمال... وبدء الأمسية بحوار حول الفلسفة. وما لبث دكتور جمال أن أشار إلى اللقاء الخصب يوم أمس وطروحاتي المنهجية في تدريس التاريخ والحضارة، وضرورة تطبيقها بسبب أهميتها البالغة، وثنّى عليه بعض الحاضرين.وأشار رئيس الجامعة ومعاون العميد إلى ضرورة الاجتماع بقسم التاريخ لاتخاذ بعض الخطوات العملية، وأكد أحد أساتذة الفلسفة أن طموحات كهذه إن لم تدخل حيز التنفيذ فسوف تضيّع فرصة طيبة...

حمدت الله في سرّي، وأحسست بسعادة غامرة عبر بقية ساعات الأمسية، وبخاصة بعد زيارة اثنين من الدعاة القادمين من ألمانيا، أحدهما مصري والآخر ألماني كان قد أعلن إسلامه وهو من رجال الأعمال، وتم الحديث عن الجهود المبذولة هناك وعن انفساح الساحة الألمانية للدعوة، وإسلام الكثيرين، وعن إنشاء دار نشر إسلامية وترجمة القرآن ومعانيه لأول مرة كاملاً إلى الألمانية... واحتمال تنفيذ ترجمات أخرى إلى الروسية والايطالية والإسبانية والفرنسية وغيرها من اللغات الكبرى... وعن إعلان المتحدث الرسمي بلسان الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني إسلامه... وعن الحاجة القصوى لتشجيع المؤسسات العربية والإسلامية لهذه المبادرات بإسنادها مادياً...

أما العشاء فكان أروع مائدة منذ قدومي ماليزيا بسبب طريقته الموصلية، وخلوّه من الفلافل... وتناولته بشهية بالغة... وغادرنا المكان في ساعة متأخرة من الليل لكي نقوم بجولة مع سفيان عبر إيصالي والكبيسي إلى الفندق... ودخلت غرفتي سعيداً منسجماً...

السبت: اتجهت مشياً إلى الكلية... كنت سعيداً منشرحاً... والمحاضرة التي سألقيها في العاشرة عن (عصر الرسالة مشروعاً حضارياً) قد أمسكت بخيوطها... وقدمني دكتور محسن صالح بسخاء، وتحدث عن قراءته المبكرة

أيام دراسته الإعدادية لكتابي (ملامح الانقلاب) وعناصر الجدّة والشد فيه وإغرائه بمتابعة مؤلفاتي بعد ذلك... ألقيت المحاضرة بتمكّن تام والحمد لله، وتلقيت أسئلة طيبة وتقويمات سخية، وتمت مناقشة العديد من الموضوعات...

تحلّق حولي بعد انتهاء المحاضرة الأساتذة والطلبة والطالبات؛ هذا يسال وهذا يعرض موضوعاً لدراسته العليا وذاك يطلب تلبية لدعوته... جلست قليلاً في غرفة الدكتور سلامة البلوي لمعاونة طالبَيّ دراسات عليا في الأدب على صياغة موضوعاتهما... وانتهزت الفرصة، وكان أحدهما أفغانياً والآخر صومالياً، فسألتهما عن الكثير مما جرى ويجري في بلديهما...

خرجت لكي أشتري غدائي المفضل من (معلاق الدجاج) وأرجع بمعية دكتور سلامة إلى الفندق، حيث وجه لي دعوة غداء أو عشاء في بيته وعبثاً حاولت الاعتذار... دخلت الغرفة والجوع يفترسني فتناولت غداء خفيفاً استعداداً لدعوة دكتور مجاهد على العشاء، وأخذت قيلولة قصيرة، وقمت لكي أشرب الشاي وآخذ حماماً وأدوِّن مذكراتي هذه، وأتصل هاتفياً بالكبيسي لكي يتهيأ للموعد مع مجاهد، ولكنه اعتذر وأشار في سياق الحديث إلى أن محاضراتي لقيت استحساناً «هائلاً»، وأنها كانت فضلاً عن جوانبها العلمية تعكس أسلوباً أدبياً رائعاً...

فحمدت الله وحده على هذا التوفيق، وأقفلت الهاتف وقد تحققت بثقة أكثر قبالة الوساوس والأوهام، التي تخيل لي أحياناً أن بعض محاضراتي ليست بالمستوى المطلوب!! وخرجت مع مجاهد ومنجد في جولة إلى جامع شاه علم الرائع، وعدنا إلى الفندق لاستصحاب الكبيسي. فاعتذر ويممنا صوب دار مجاهد لكي نتبادل الأحاديث الطيبة ونتناول عشاءً رائعاً... وعدت وأنا أحمل معي عدداً جديداً من مجلة (الأدب الإسلامي)، الذي يتضمن حواراً مع ناقد مغربي حول «المنهج» وخبراً عن محاضرتي في عمان في مايس الماضي... عدت بصحبة سفيان، حيث قمنا بجولة في شوارع المدينة، ثم دخلت الفندق متعباً لكي ما ألبث أن أغوص في نوم عميق...

الأحد: اتصلت بزياد الأرحيم فطلب القيام بجولة إلى برج كوالا لامبور، فأعلمته أنني أرغب في استغلال ساعات الصباح للعمل في الفندق، وأن الأفضل تأجيل الجولة إلى المساء...

نزلت إلى صالة الفندق وأنجزت عبر عدة ساعات من العمل المتواصل معظم المعلقات، وأحسست بارتياح عميق. وصعدت إلى الغرفة وأنا أقول في نفسي ما كنت أردده دائماً: لقد أصبح الإنجاز دائي ودوائي وبدونه لا يصبح لحياتي أي معنى، وسيأكلني القلق والملل والإحساس النادم بالتفريط... تناولت غدائي معلاق الدجاج المتواضع بشهية ثم طالعت قليلاً وأخذت قيلولة سريعة، قمت بعدها لأشرب الشاي وأصلي العصر... وأنا أتذكر الاتصال الهاتفي من رئيس قسم التاريخ ظهر اليوم بصدد موعد جديد للتعرّف على أعضاء القسم، وتحديد موعد لتناول العشاء في داره، وعبثاً حاولت الاعتذار، وكان لا بدّ من تثبيت الموعد...

غادرت الفندق في الرابعة والنصف وانطلقت وزياد في سيارة أجرة عبر شوارع سيلانكور وكوالا لامبور صوب برج المنارة، الذي يعدّ رابع برج في العالم في ارتفاعه الشاهق الذي يبلغ (٤٠٠م)... جلسنا لدقائق في صالة العرض لمشاهدة أعمال البناء التي استغرقت خمس سنوات... ثم حملنا المصعد إلى فوق لكي نطلّ على عمارات كوالا لامبور الشاهقة والكثيفة والتي تعكس أنماطاً مدهشة من الذوق المعماري... التقطنا عدداً من الصور التذكارية، وتناولنا الآيس كريم الرائع بشهية، ثم غادرنا المكان قبيل الغروب... كانت السماء تسحّ مطراً عنيفاً، وانتظرنا التاكسي لأكثر من نصف ساعة لكي تعود بنا عبر شوارع تكاد المياه تغمرها...

وصلت الفندق وهرعت لتغسيل يديَّ والصعود إلى الغرفة لأداء صلاة المغرب وتدوين هذه المذكرات، بانتظار مغادرة الفندق لتناول العشاء في أحد المطاعم القريبة، بعد إذ تبين لي توقف الأمطار... لكن مكالمة أخرى من الداعية عبد الحليم خفاجي تستغرق وقتاً طويلاً، أهرع بعدها إلى مطعم (بيزا

هوت) لتناول العشاء... وأضرب الباب الزجاجي بعنف يكاد يأتي على أنفي لولا أن الله سلّم... وتذكرت كيف أن هذه ليست المرة الأولى... إذ سبقتها ضربة أخرى في جبهتي قبل عدة أيام... ولكنه الجوع الذي لا يرحم... وكان بحق عشاءً لذيذاً. وتوجهت إلى السوبر ماركت لألقي نظرة على عروضه الرائعة، ولأشتري موزاً وخبزاً وأقفل عائداً إلى الفندق، لأجلس أكثر من ساعة جلسة المساء المسترخية في الصالة، وهي الجلسة التي أعتبرها أطيب ساعات اليوم، ثم لأصعد إلى الغرفة فأنجز بعض المطالب، وأمارس الرياضة اليومية وأسلم نفسي للنوم...

الاثنين: كان هذا اليوم مرهقاً، محملاً بالمآزق والقلق... في الصباح انتظرت من يقلني إلى اجتماع لجنة مناهج التاريخ حسب الاتفاق فلم يأت. وانتابني القلق فلم يكن بمقدوري الذهاب إلى الكلية إذ قد يأتي في أية لحظة، ولم يكن بمقدوري الانتظار حيث اقترب موعد الاجتماع... هرعت إلى الغرفة واتصلت بمدير المعهد العالمي، فتبين أنه نسي إرسال السائق، وكان عليَّ أن أهرع إلى الكلية وأن أجد التاكسي التي توصلني إلى هناك...

كان الاجتماع طيباً وتمخض دون جدل عقيم عن الاتفاق على جملة من الأمور، وتلقيت خلاله تقويمات سخية وتقديراً لمشاريعي المطروحة وتبنياً لها... انتهى الاجتماع وكان أمامي متسع من الوقت فذهبت للقاء الدكتور قطب فلم أجده، وتوجهت إلى غرفتَيّ مجاهد ومنجد فلم يكونا موجودين، فانتابني الضيق والقلق... توجهت إلى سكرتارية العمادة لترتيب موعد فلم أحصل على شيء مؤكد...

ذهبت إلى الجامع لأداء الصلاة... كنت تعباً إلى حد كبير فاستلقيت هناك مسترخياً وأحسست بقدر من الراحة... بعد الصلاة تمكنت من اللقاء بقطب، وأحسست بفرح عميق وأنا أتلقى منه ورقة تأكيد الحجز في الطائرة على يوم (١٢/١)... الحمد لله...

ولشدة فرحي بالورقة قبّلتها بامتنان... ثم اتجهت لتسلم الأوراق الخاصة

بمناهج قسم التاريخ من دكتور محسن محمد صالح... لم يكن موجوداً فجلست قليلاً في غرفة أحد الأساتذة السودانيين... تلقيت منه تقويماً سخياً وأشار إلى أنني واحد من العباقرة (هكذا) وإلى أنني امتداد لأولئك الأجداد الذين أبدعوا في كل فن... تحدثنا عن مأساة عصر التخصص والعزلة والضمور الثقافي وكيف أن الأربعينيات والخمسينيات كانت مترعة بالخصب بسبب وجود عمالقة رفضوا أسر التخصص مثل طه حسين والعقاد والرافعي... الخ مع التحفظ عن أفكارهم... غادرته إلى غرفة دكتور محسن لأجده بمعية دكتور سلامة حيث أعربا عن سعادتهما بالتلمذة على مؤلفاتي: الملامح ونور الدين والتفسير الإسلامي... الخ وقال دكتور سلامة أنه شوهد يوماً من قبل دكتور نيقولا زيادة يحمل كتاب (التفسير الإسلامي) فحذره منه!! وأحاله إلى الدوري لكي يثنيه بإغراءاته الخاصة عن الوقوع في شباك الإسلاميين!!

عدت إلى الفندق بمعية دكتور سلامة، وانكببت على الغداء المتواضع (معلاق الدجاج والموز) التهمهما بشهية بالغة، ثم أخذت قيلولة عميقة ما لبثت أن قطعتها مكالمة من دكتور منجد لكنني عدت فاستأنفت نومي... استيقظت عصراً على السماء الملبدة بالغيوم السوداء، التي ما لبثت أن أمطرت بعنف كأفواه القرب، وجلست أشرب الشاي وأنا أحسّ بسعادة غامرة... وأنجزت العديد من الأعمال فازددت سعادةً... ثم ما لبث موعد انتظاري للسيارة التي ستقلني إلى محاضرتي عن (دور الشباب في المشروع الحضاري) في جمعية الثقافة الإسلامية... فنزلت لكي أقف عند مدخل الفندق بانتظار القادم، لكنه لم يأت وتجاوزت الساعة الموعد فانتابني القلق والغيظ، ومضت نصف ساعة دون جدوى، فخرجت إلى الغرفة لا أدري ما أفعل. وما لبث جرس الهاتف أن دق، وتبين أنه أحد أعضاء الجمعية جاء لكي يقلني إلى هناك، واعتذر بسبب الأمطار وزحمة الطريق...

ثم انطلق بي إلى الكلية، إلّا أن الاختناق عبر الشوارع الرئيسية كان فوق ما يتصوره إنسان، وكانت السيارة تمشي ببطء كالسلحفاة، وزادنا تأخراً أن

الطالب اختار طريقاً طويلاً جداً بحثاً عن منفذ للوصول السريع، وقد اقتضى ذلك حوالي الساعتين، كنت أصمت حيناً وأتحادث معه حيناً آخر وأنا أكظم غيظي وإعيائي، وطلبت منه أن يعيدني إلى الفندق إذ لا جدوى من الذهاب إلى الكلية... وصلت الفندق وأنا أعاني من الإعياء والجوع، ممتزجين بضيق شديد في النفَس وشيء من الغثيان، كشأني كلما أستقل سيارة لمسافات بعيدة بمعدة فارغة...

انكببت على الطعام القليل المتبقي ألتهمه التهاماً ثم قمت لأداء الصلاة، والنزول إلى صالة الفندق للاسترخاء قليلاً... اشتدت حالة الغثيان وضيق النفَس إلّا أنهما ما لبثا أن انسحبتا بعد قليل... ونهضت بعد ساعة من اجترار الذكريات الطيبة والمريرة لكي أرجع إلى الغرفة، فأشمر عن ساعد الجدّ وأنغمر بالعمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

الثلاثاء: أنجزت العديد من الأعمال المكتبية صباحاً فشعرت بارتياح عميق، ونزلت إلى الصالة بانتظار دكتور محسن لإيصالي إلى الكلية. وهناك أنجزت العديد من المعلقات الأخرى مع عبد القهار ومجاهد وقطب والميساوي، والتقيت عبر الطريق بعدد من الطلبة ما بين يمني وصومالي وتلقيت الاعتراف والتقويم... أحسست بالجوع فذهبت إلى أحد مطاعم الكلية وتناولت كمية كبيرة من المعجنات شعرت معها بالقرف... صليت الظهر في مسجد الجامعة ثم عدت للجلوس قليلاً في غرفة مجاهد، ومنها إلى قاعة الطبري لإلقاء محاضرتي الثالثة عن (نحو منهج جديد)... ألقيتها بتمكن رغم شيء من السرعة خشية إفلات بعض مفرداتها ثم جرت مناقشات طيبة وتقويمات سخية... والتمّ الطلاب كلٌّ يريد موعداً، أو يسأل سؤالاً...

توجهت إلى غرفة دكتور عارف لتناول الشاي بمعية دكتور غسان، ومنها إلى غرفة رئيس قسم التاريخ، ويممنا وجوهنا بعد قليل صوب إحدى القاعات للتعرّف على أساتذة القسم، وعبر الطريق لحقتني سكرتيرة العميد وأعلمتني أنه بانتظاري طبقاً لموعدي معه... وهناك أنهيت معه سائر ما تبقى من

معلقات فازددت إحساساً بالتخفف والسعادة... وعدت إلى القاعة التي ينتظرني فيها كادر قسم التاريخ، حيث جرى التعارف وتلقيت التقويمات السخية وتم ترتيب مواعيد وموضوعات اللقاءات القادمة... ودّعتهم واتجهت للاجتماع الآخر في مكتب المعهد العالمي بخصوص المشروع الحضاري، وهناك تلقيت ما زادني غبطة: اتصال ياسر بن إنعام الطالب بالموصل وطمأنة عائلتي عني بحمد الله... تعرّفت على أستاذ من الجزائر كان يعمل في إنكلترا وآخر من السودان، وكلاهما أشار إلى اهتمامه بمؤلفاتي... وبدأ الاجتماع وطرحت عبره وجهات النظر المختلفة...

توجهت وقطب إلى مسجد الجامعة وصلينا المغرب. هناك التقيت بمروان الطالب وتمّ معه ترتيب موعد بديل عن محاضرة يوم أمس في الجمعية الثقافية، فأحسست بارتياح بعد إذ حكى لي أحدهم بأن القاعة اكتظت بالشباب يوم أمس... دعاني قطب إلى تناول العشاء في أحد المطاعم... وجرى حديث عبر الطريق عن البنوك الإسلامية والعمليات الربوية، فأشار إلى أنها مرغمة على الدخول في أعمال كهذه من خلال البنوك الضامنة... فأحسست بانقباض بسبب تورطي في وضعي بعض أموالي في البنك الإسلامي، وقلت في نفسي: ها هو ذا هم جديد فكيف الحل؟!

تناولنا عشاءً من الدجاج والشوربة والرز مترعاً بالتوابل رغم تأكيد قطب أن المطعم لا يقدم وجبات حادة، فتناولت الطعام على مضض وأحسست بشيء من الانقباض خشية أن يستفز ذلك كليتي ومرارتي... وفعلاً بدأت أحسّ بشيء من الألم في أولاهما، فاستعذت بالله... أوصلني إلى الفندق وأنا أحسّ بشيء من الضيق... نزلت إلى الصالة للاسترخاء قليلاً ومطالعة بعض المقالات، فاستعدت شيئاً من ارتياحي صعدت بعدها إلى الغرفة لاستكمال بعض الأعمال، وترتيب مطالب يوم غدٍ، حيث قررت أن أبقى في الفندق لتطويقها... ثم مارست رياضتي وقرأت بعض الوقت قبل أن أسلم نفسي للنوم...

الأربعاء: استيقظت في ساعة متأخرة إذ لم أكن مرتبطاً بموعد في الكلية،

ونزلت إلى صالة الفندق لأمضي أكثر من ثلاث ساعات في العمل المتواصل... صفيت العديد من المعلقات والمطالب وأحسست بارتياح عميق وسعادة بالغة... لكن لا راحة لمؤمن في دار البلاء كما يقولون... فما أن صعدت إلى غرفتي لأداء الصلاة ثم الانطلاق سعيداً إلى مطعم كانتاكي والسوبر ماركت للغداء والتسوق، حتى تلقيت مكالمة هاتفية من مجاهد يعلمني فيها أن فاكساً قد وصلني من السعودية... انقبض قلبي، وتحولت حالة الفرح والارتياح إلى نقيضها... حيث خمنت أن يكون من الرابطة بخصوص التكريم الذي تبناه مكتب المغرب والذي يشهد الله أني لا أريده، وبخاصة وأنه يتعارض مع رغبتي في الحج وصعوبة الحصول على موافقة جامعتي على الرحلتين معاً... يممت وجهي صوب المطعم كئيباً مشتتاً منقبضاً وأنا أقول في نفسي: لقد والله تلفت أعصابي، فأصبح أي مؤثر مهما كان تافهاً ينقلني من حال إلى حال، فلا حول ولا قوة إلا بالله... وتناولت غداءً شهياً من الكانتاكي وكنت أتمنى أن تكون ظروفي على سجيتها... ولكن...

غادرت المطعم لكي أتجول في السوبر ماركت وأعاين بضائعه المدهشة، ثم أخرج لأشتري بعض الأطعمة وأعود إلى الفندق، حيث بدأت الغيوم تتجمع من جديد. ووصلت في اللحظة المناسبة، قبل أن تبدأ زخات المطر اليومي العنيفة...

أخذت قيلولة قلقة ثم ما لبثت أن نهضت لأجد ورقة أسفل الباب تشير إلى وصول فاكس إلى الاستعلامات. انقبضت مرةً أخرى وفجأة تذكرت أن الفاكس ربما يكون من الشبرمي طالب الدكتوراه، الذي يكتب عني، والذي أرسلت بخصوص الموعد معه فاكساً وطلبت الجواب... أحسست بشيء من الانشراح، ثم ما لبثت أن هرعت إلى الاستعلامات لتناول الفاكس... فضضته في الصالة على عجل فإذا به فعلاً من الشبرمي... ليس هذا فحسب، بل إنه يشير إلى أنه سيستقبلني في المطار في اليوم التالي لوصوله عمان قادماً من الرياض، وأنه أصر على حجز غرفتين في الفندق...

يا الله... قلت في نفسي وأنا أكاد أطير فرحاً... إنها بشرى مزدوجة؛ فمن جهة لم يكن الفاكس بخصوص جبهة جديدة ليس في طاقتي تحمّلها، ومن جهة أخرى ها أنا ذا أجد من يستقبلني في المطار ويوصلني إلى الفندق ويضمن الحجز هناك فيوفر عليَّ المشقة والمصاريف الباهظة... فالحمد لله...

وزادني فرحاً أن أتلقى دعوة لحضور محاضرة دكتور لؤي صافي مدير المعهد وأن أحد المعقبين عليها هو الكبيسي، معنى هذا أن حضور هذه المحاضرة ظهر غد إن شاء الله سيحررني من حضور محاضرة الكبيسي مساء اليوم عبر المطر وعدم الاستعداد النفسي... هذا إلى دعوة أخرى على العشاء مساء السبت في بيت دكتور لؤي... دخلت المصعد وعندما انفردت فيه رحت أرقص فرحاً... ودخلت الغرفة وقد استعدت فرحي الضائع بعد أن ضيعت على نفسي ـ كالعادة دائماً ـ ساعات طيبة، وأحلتها إلى شد نفسي قاسٍ لا لشي إلّا لأنني لم أتذكر الجهة التي أرسلت الفاكس!!

رحت أكتب المذكرات وأرتب الأوراق وأتابع المعلقات بانشراح... رغم وخزات من الألم كانت تضرب خاصرتي اليمنى، حيث أرجح متاعب في الكلية كنت قد عانيت منها مراراً... ثم جاء إلحاحي في تناول التوابل وكثرة العرق فأهاجها... ومهما يكن من أمر فإنها لا تثير قلقي ما دام أن الأمر لا يتعلق بالمرارة... فحمداً لله...

زخات من الرصاص تخترق الفضاء على حين غفلة فأبعد عن النافذة الواسعة المطلة على الشارع تجنباً للاحتمالات السيئة... وفي اليوم التالي علمت بأن أربعة من أعضاء المافيا قد قتلوا عند بوابة الفندق تماماً... تناولت عشائي ثم انكببت على العمل... ونزلت إلى الصالة لأرتاح قليلاً ثم أصعد لكي أطالع حتى ما بعد الواحدة، وأسلم نفسي للنوم الذي قطعته وخزات الألم في خاصرتي بين الحين والحين...

الخميس: توجهت إلى الكلية مشياً وبدأت بمراجعة معاون العميد وأحسست بارتياح عميق بعد أن صفيت العديد من المعلقات... توجهت إلى غرفة مجاهد

لكي أهمش على رسالتين للأمراني وعبد القدوس، بخصوص الكتابة في العدد الخاص من إسلامية المعرفة... اطلعت على عدد من مجلة الأدب الإسلامي يتضمن حوار رشدي معي فحملته معي لقراءة العدد على مكث في الفندق... سلّمني مجاهد بحثاً للعدد الخاص بالأدب لغرض تقويمه، وقال بأن مكافأته قد تبلغ المائتي دولار. فحمدت الله وقلت له إنني على استعداد لتقويم المزيد... أشاد الرجل بحضوري المقنع في ساحات الأدب والترحيب ببحثي للعدد المذكور وقبولي مقوماً رغم عدم تخصصي بالمفهوم الأكاديمي...

غادرته لكي أدخل المطعم وأتناول غداء صحياً لذيذاً، ثم أتجه إلى الجامع سعيداً منسجماً لأداء صلاة الظهر، وأعود إلى غرفة دكتور منجد لتناول الشاي والحديث في شؤون شتى بانتظار موعد محاضرة لؤي صافي عن التجزيئية والمنهجية في الاجتهاد...

بعد طرح اعتراضي على إحدى مقولاته بخصوص جهاد القوى المجاورة وسماع المناقشات الحامية، غادرت القاعة للحاق باجتماع لقسم التاريخ حول مناهج البكالوريوس... قدمت عرضاً مركزاً ومحكماً لمرئياتي للمنهج المعتمد عندهم لقيت ترحيباً، وجرت مناقشات وأخذ ورد عبر أجواء غاية في الودية...

غادرنا المكان وأقلني دكتور محسن محمد صالح بسيارته إلى الفندق، واقترح المشاركة في ندوة عن المستشرقين... ترددت بيني وبين نفسي ثم أعلمته برغبتي في الاعتذار بسبب زحمة أعمالي... فآثر الصمت... ومضت بنا السيارة وأعلمني أن تحوله إلى قسم التاريخ، وكان ينتمي إلى فرع علمي، هو بسببي، ومن خلال عشقه لمؤلفاتي، وقال: إن ما أقدمه اليوم من عطاء أرجو أن يكون لك نصيب من أجره عند الله. فحمدت الله سبحانه وتعالى...

وصلت الفندق وأنا أحسّ بتلك الحالة التي طالما حاصرتني: مزيج من ضيق النفس والإعياء والتشتت... دخلت الغرفة والجوع يكاد يفترسني، وأسرعت بأداء صلاة العصر ثم انكببت على التهام الطعام... كنت متعباً، فاستلقيت على السرير وأخذتني سنة من النوم... وعندما استيقظت دقّ جرس الهاتف... كان

المتكلم هو الكبيسي، أعلمته بأنني سأزوره في غرفته بعد ساعة. وقمت لعمل الشاي وتناوله مع البسكويت استكمالاً لعشائي... كانت الأوراق والمطالب أمامي كثيرة مزدحمة... وها هي ذي قد تجددت كالعادة في كل يوم بعد أن أكون في اليوم السابق قد أجهزت على المطلوب... ولكن لا بأس فلكل أجل كتاب...

خرجت إلى غرفة الكبيسي وتحدثنا في أمور شتى وأشار إلى أننا مدعوون يوم الاثنين لحضور حفل التخرج الكبير، وأحسست بالارتياح لأنني لست مرتبطاً بعمل أو موعد... واتصل دكتور نزار هاتفياً ورتبت معه أمر الموعد المتداخل على العشاء بينه وبين دكتور لؤي، وأزحت بذلك قلقاً آخر... نزلت إلى صالة الفندق وجلست هناك مسترخياً كعادتي... وما لبثت أن نهضت قائماً للعودة إلى غرفتي، فالأعمال كثيرة وهي تناديني لكي أصفي معها الحساب... قبل أن تلحق بها مطالب جديدة قد تنفجر عليَّ يوم غدٍ هنا أو هناك... استطعت أن أنجز الكثير وأن أطوّق المطالب المستجدة... ثم أنصرف للمطالعة في مجلة الأدب الإسلامي إلى ساعة متأخرة من الليل.

الجمعة: جاءني دكتور محسن واتجهنا إلى الكلية... عبثاً حاولت إقناعه بالاعتذار عن المشاركة في ندوة عن الاستشراق، واتفقنا على إعادة الحديث عن الموضوع فيما بعد... دخلت قليلاً إلى قاعة الشافعي لسماع جانب من محاضرة للدكتور خالد الحمداني حول كتاب شعبان عن صدر الإسلام، ثم يممت صوب قاعة الطبري لإلقاء محاضرة عن الخطاب الأدبي، فيما اعتبرته واحدة من أكثر محاضراتي إحكاماً والحمد لله...

وتلقيت بعدها جملة من الأسئلة والمداخلات، ودار حوار طيب خرجت بعده وأنا أحسّ بإعياء شديد وضيق معهود في النفَس... وطلبة الدراسات العليا يحاصرونني حول مطالبهم...

أديت صلاة الجمعة في مسجد الجامعة ثم هرعت والجوع يعتصرني إلى أحد مطاعم الكلية لتناول الغداء، ومنه إلى قاعة الطبري مرةً أخرى لإلقاء محاضرة عن (حركات التغيير في التاريخ الإسلامي)...

كانت القاعة غاصةً بالحضور. ووجدتني ألقي محاضرة متأنية عن الموضوع استطعت خلالها أن أقول أكثر مما كنت أطمح إليه والحمد لله.

وجرت بعدها مناقشات خصبة كانت ردودي إزاءها مما زادني اقتناعاً وارتياحاً... وغادرت القاعة فرحاً سعيداً، وأعرب دكتور محسن محمد صالح عن سعادته بأن يكون أحد تلامذتي... وأوصلني إلى الفندق بمعية طالب دراسات عليا فلسطيني، حدثني كيف كانت كتبي تُعتمد في الساحة الفلسطينية، وكيف كانوا يضطرون لاستنساخ بعضها بسبب منع السلطات الإسرائيلية لإدخال الكتب هناك...

دخلت صالة الفندق والسماء تنذر بمطر عنيف. فاستلقيت على الأريكة هناك، حيث بدأت السماء تنزل أمطارها السخية، في واحدة من أعذب الجلسات عبر رحلتي... ثم قمت لأصعد إلى غرفتي لأداء صلاة العصر، ثم الاستلقاء قليلاً بانتظار أحمد زكي والموصليين...

رن جرس الهاتف فإذا بالدكتور سفيان يؤكد دعوته في نهاية الأسبوع، ويفتح عليَّ جبهة غمّ وضعتني لساعات في دائرة الكآبة، وأنا أقول في نفسي: يا سبحان الله!.. وما أغرب أمر هذه الرحلة التي ما كنت أرتاح فيها عبر حلقة ما إلّا وأتلقى بعدها مباشرة ما ينغصني... إنهم يريدون أن أتولى اصطحاب ابنة ناطق الأرحيم إلى الأردن والموصل... أعلمته أنني سأبقى في عمان ثلاثة أيام فما العمل؟! أجاب بأن هذا لا يمنع وأنهم سيتدبرون أمر سفرها... أقفلت السماعة وأنا ألعق مرارتي... أين سأذهب بها وموعدي في المطار نفسه، حيث سيستقبلني طالب الدكتوراه ويأخذني إلى الفندق الذي حجز فيه غرفتين؟ وكيف سيتاح لي وسط زحمة الأعمال في اليوم التالي أن أدبّر أمر سفرها إلى الموصل؟!...

جاءني أحمد محمد زكي لوحده، وانتظرنا الآخرين فلم يجيئوا... رحنا نتحدث ونتناول بعض ما تيسر... لم أكن سعيداً بسبب الهم الجديد... ثم ما لبث أن غادرني بعد أقل من ساعتين... دق جرس الهاتف وإذا بمحمد ناطق يعتذر عن

عدم مجيئه بسبب المواصلات، فأفاتحه بموضوع أخته وأبين التعقيدات فيقول إنه سيتصل بهم لتبيّن الموقف... بعدها بقليل يتصل صهر ناطق نفسه ويعرب عن اعتذاره هو الآخر بسبب عطل في سيارته، فأسأله عن رحلة زوجته وعن ظروفي المعقدة، فيلمح لي بأن موضوع السفر لم يبتّ فيه بعد... فأحسّ بشيء من الارتياح، وأتلقى مكالمة أخرى يدعوني فيها دكتور عبد القهار العاني إلى الغداء يوم غد في أحد مطاعم الجامعة... أنكب على العمل قبل أن أتهيأ للنزول إلى الصالة، والذي أصبح بالنسبة لي تقليداً لا بدّ منه... ثم أعود لأواصل العمل والقراءة وتناول (الخفايف) حتى ساعة متأخرة من الليل...

السبت: شيء من الاكتئاب عبر الليل بسبب حلم مزعج عن زوجة أخي... شيء من شد الأعصاب بسبب تأخر دكتور محسن صباحاً، حيث موعدي للذهاب إلى محاضرة العاشرة... يجيء أخيراً بعد إذ كدت أن آخذ تاكسياً إلى هناك... ندخل القاعة معاً بانشراح... يجيء المستمعون من الأساتذة والطلبة والضيوف... ألقي محاضرة عن المنظور القرآني لنشوء الحضارات على الطريقة التي كنت أتمناها دائماً: الإيقاع البطيء ذي المفاصل الزمنية، والإمساك الجيد بالمانشيتات المثبتة أمامي... كانت ـ في ظني ـ واحدة من أكثر المحاضرات توفيقاً. ولعل العدد المحدد من نقاط الارتكاز، وعدم انتشارها على مساحات واسعة؛ جعلني ألجأ إلى هذا الأسلوب، الذي سأحاول أن أعتمده وأتعلم منه مستقبلاً بإذن الله... تلقيت جملة من المداخلات الخصبة، وكان ردي عليها بالتمكّن والإمساك الزمني نفسه، اللذين نفذتهما عبر المحاضرة فالحمد لله وحده...

تلقيت ـ كالعادة ـ تقييمات العديد من الأساتذة والحضور قبل أن أغادر بمعية الدكتور ليث إلى بناية المعهد، حيث موعدي مع دكتور لؤي... تحدثنا هناك عن محاضرته أمس الأول عن الحديث الشريف والمنهج النصوصي. وأبديت تحفظي على طرح موضوعات كهذه، وضرورة أن يعمد المعهد إلى درء الشبهات التي تحوم حوله بخصوص الموقف من الحديث بالكف عن الخوض

فيه، واعتماد منهج القرضاوي الأصيل المرن... وكذلك ضرورة إزاحة شبهة العقلانية والاعتزالية بنشر أعمال تتعلق بالخبرة الروحية في الإسلام ومفردات الأخلاق والسلوك...

تلقى الرجل ملاحظاتي بترحاب بعد شيء من الحوار... ثم تحولنا إلى ورقة العمل التي قرأتها عليه بخصوص المراحل الثلاث للتأصيل الإسلامي للتاريخ، وإمكان تنفيذ أولاها بصيغة كتاب منهجي في التاريخ والحضارة على مدى عام أو عامين يترجم للإنكليزية، ويعطى لطلبة الجامعة كافة كمدخل لدراسة التاريخ والحضارة...

أبدى الرجل ترحيبه وصوّر نسخة عن المشروع وعرض عليَّ أن أتولى بنفسي مهمة تنفيذ هذه الحلقة، فأعربت عن استعدادي شرط منحي فترة زمنية كافية، وقلت له: إن ما سيعينني عليه ــ إن شاء الله ــ أن العديد من حلقات الكتاب كانت قد اختمرت في ذهني منذ من بعيد وتم تنفيذ بعضها...

غادرته إلى الكلية لمتابعة بعض المعلقات السريعة مع دكتور مجاهد، ومنها إلى غرفة دكتور عبد القهار بانتظار أداء صلاة الظهر وتلبية دعوته لتناول الغداء في المطعم التركي... كنت أحسّ بشيء من الضيق، والإعياء، والجوع، وحصار الزمن... فقبل قليل سلّمني مدير تحرير مجلة (التجديد) بحثاً لغرض التقويم، وبعدها أشار دكتور مجاهد إلى أنه سيسلمني بحثاً آخر لتقويمه بخصوص العدد الخاص بالأدب من إسلامية المعرفة...

وكنت قد وقفت طويلاً مع دكتور يمني أشاد بمحاضرتي وعرض عليَّ فكرة زيارة عمل لجامعة الإيمان في صنعاء، فأبديت له عذري بسبب ارتفاع المدينة وتأثيرها على القلب... انتظرت دقائق في غرفة عبد القهار وأنا انصت بصبر نافد إلى حوار حول مناهج التفسير مع عدد من طلبة الدراسات العليا...

صلينا الظهر وعدنا مرةً أخرى إلى الغرفة فإذا بالدكتور سلامة إلياس، أحد أساتذة قسم التاريخ يطلب مني الانتظار قليلاً... وأسأله لم؟ فيقول انه

يريد أن يعطيني نسخة من خطة بحثه لكتاب كُلِّف بإنجازه كمدخل لدراسة التاريخ...

يا سبحان الله!. قلت في نفسي... فما من إنجاز أو فعل أو فرحة إلّا ويبرز قبالتها ـ عبر رحلتي هذه ـ ما يمتصها (على السريع) كما يقول المثل... انتظرت النسخة فلم تأت، ولم أطق صبراً فأعتذرت منه وذهبت مع عبد القهار لتناول الغداء... بعد عروض قدمها بخصوص إمكان العمل في الجامعة كأستاذ زائر لمدى موسم بكامله، فأبديت له أعذاري...

غادرنا المطعم وتحدثنا طويلاً عن التغييرات الإدارية في الكلية ودوافعها، ثم أوصلني عبد القهار إلى الفندق... دخلته مرهقاً، وأسرعت بالارتماء على السرير وتصفح أحد الأعداد الجديدة لمجلة الأدب الإسلامي، وأحسست بارتياح وأنا ألحظ الاعتمادات العديدة على نصوص مؤلفاتي الأدبية والتنظيرية عبر المقالات والبحوث التي تضمنها العدد، فضلاً عن الحوار الذي أداره أديب جزائري معي...

استيقظت بعد أقل من ساعة، همّت موجة الاكتئاب المعتاد أن تجتاحني، لكني ما أن نظرت إلى السماء الملبدة بالغيوم، كشأن كل مساء، حتى أحسست بالفرح والانسجام كما هو الحال حتى في الموصل... وقلت في نفسي رغم كل الملابسات وحلقات الشدّ عبر هذه الرحلة إلّا أن ما يميزها هو انحسار مساحة الكآبة عبرها، على خلاف ما كان يحدث في صنعاء على وجه الخصوص، هذا إلى أن الرحلة خلت من قلق شراء الحاجيات الذي كان يأكل أعصابي كالمنشار عبر الرحلات السابقة...

هيأت الشاي وجلست أشربه قبالة الغيوم والأمطار، وهذه حلقة أخرى أجد فيها سعادتي... ثم رحت أرتب الأوراق وأدوِّن هذه المذكرات بانتظار مجيء دكتور قطب قبيل العشاء، لكي يصطحبني إلى بيت دكتور لؤي تلبية لدعوته... وتمكنت من إنجاز تقويم بحث عن (التأصيل الإسلامي للأدب في كتابات الندوي) وملأت استماراته فأحسست بالمزيد من الارتياح... ونزلت لكي انتظر

قطب عند مدخل الفندق كان المطر ينهمر بغير حساب فشعرت بانشراح ومتعة، وجاء قطب لكي يجتاز شوارع مغسولة بالأمطار ونتبادل الأحاديث قبل أن ندلف إلى دار دكتور لؤي، حيث سبقنا إلى هناك قلة من المدعوين لا تتجاوز الأربعة... تناولنا عشاءً حلبياً رائعاً ورحنا نتبادل الأحاديث الطيبة عن الجامعة ونظام الدراسة والأساتذة الوافدين ومحاضراتي في الكلية وعالم الحيوان...

وعدت إلى الفندق بصحبة دكتور جمال عميد الكلية الذي ما لبث أن أجرى اتصالاً هاتفياً من السيارة بهشام الطالب، وتمكنت من التحدث إليه بصعوبة بسبب خفوت الصوت، ووصلت إلى الفندق لكي أسترخي قليلاً في الصالة، ثم أغادرها إلى الغرفة لإنجاز عدد من المعلقات... ثم المطالعة حتى ساعة متأخرة من الليل...

الأحد: مكالمة هاتفية في التاسعة صباحاً تنتزعني من منامي... إنها من محمد ناطق يطلب موعداً للقاء، فأتفق معه على السادسة مساء في الفندق... أحاول أن أنام ثانية ــ فاليوم يوم عطلة ــ فلا أستطيع، فأنهض لأغسل وأتناول فطوري وأنزل إلى الصالة... وتمكنت من إنجاز تقويم بحث عن مفتي فلسطين لمجلة (التجديد) وأحسست بارتياح عميق... جاءني مجاهد ومنجد في الواحدة، اتجهنا إلى بيت دكتور غسان، وصلينا الظهر في جامع الحي ثم عدنا إلى الدار وكان هناك دكتور منير البياتي تبادلنا التحيات والقبلات... وما لبثت أن تذكرت أنه مصاب بالزكام فأحسست بندم عميق خشية أن تصيبني العدوى... تحدثنا قليلاً وقمنا إلى الغداء... لم تكن شهيتي على ما يرام، بخلاف كل الدعوات السابقة، ناهيك عن الأحاديث المقرفة التي دارت قبيل الغداء، والتكديس المبالغ فيه لأنواع اللحوم على المائدة، أكلت على مضض واضطررت إلى ترك الطبق مليئاً بالطعام الذي لم أستطع الإجهاز عليه...

عدنا إلى مجلسنا في الصالة... تناولنا الفاكهة والحلويات، التي قدمت بسخاء هي الأخرى ولم أحسّ لها بطعم، فهذه هي طبيعتي، وغادرنا المكان وأنا أجد نفسي أزداد ضيقاً من جراء الحصار القاسي... أوصلني مجاهد ومنجد

إلى الفندق، فدخلت الصالة وأنا أكاد أترنح ـ كالعادة ـ من ضيق النفَس وتوتر الأعصاب وهرعت إلى المغسل فأحسست بشيء من الارتياح... أغراني الجلوس في الصالة قبالة المطر، لكن الوقت والرغبة في النوم، والإحساس بالتشتت دفعتني إلى غرفتي...

أخذت حماماً ساخناً فاستعدت توازني وصفائي... صليت العصر، وأخذت إغفاءة قصيرة ما لبث أن قطعها جرس الهاتف... انه الدكتور خالد الحمداني يريد زيارتي... ويضعني أمام الأمر الواقع الذي طالما آذاني... إنه يتحدث من صالة الفندق فاضطررت إلى التحدث معه بشيء من الجفاء، وطلبت تأخير صعوده إلى الغرفة لعشر دقائق ريثما أتجهز...

ها قد ضاعت عليَّ لحظات الاستمتاع بعمل الشاي وشربه... جاءني على استحياء فعرفت بحرارة الاستقبال كيف أزيل الحرج... وجلسنا نتحدث عن التاريخ، وخالد العسلي، والدكتور العلي الذي أشار إلى كثرة إشادته بي من بين معظم المختصين في التاريخ في العراق الذين كان يسميهم الأميين... بعد قليل جاء محمد ناطق، فاعتذر خالد وغادر المكان. ثم ما لبث زياد الأرحيم أن لحق بابن عمه ورحنا نتحدث في أمور عائلية، والتجربة في ماليزيا... وأحسست بالارتياح وأحدهما يشير إلى أن زوجة طلال عدلت عن فكرة اصطحابها إلى الأردن والموصل فحمدت الله في سرّي...

صلينا المغرب، ثم ما لبثا أن ودّعاني على أمل لقاء آخر... ثم نزلت مسرعاً لانتظار دكتور محسن كي يقلني إلى دعوة العشاء في بيت رئيس قسم التاريخ...

كانت الأمسية طيبة، وتناولنا عشاءً لذيذاً... ودارت أحاديث في مختلف السياقات... عدت إلى الفندق في جو ماطر ممتع وتمنيت أن أسترخي في الصالة قبالة المطر، لكن القلق والتشتت وكثرة المطالب أرغمتني مرةً أخرى على الصعود... اتصلت بالكبيسي وتم ترتيب موعد وطريقة الذهاب إلى حفل التخرج بمعية دكتور نزار معاون العميد... كما تمكنت من ترتيب الأمر مع

منجد... وأحسست بالارتياح وتذكرت وأنا أتجه إلى المنضدة ما يشبه رحلة يوم غد والانطلاق فجراً من صالة الفندق... إنها رحلتي من صنعاء إلى مأرب مع عدد من الأساتذة والأصدقاء... وانعصر قلبي لقد تذكرت أنني يومها كنت أحلم بالعودة إلى الموصل واليوم أحلم كذلك، ولكن شتان... يومها عدت لكي أجد أخي المرحوم وأمي ـ عليها رحمة الله ـ. أما الآن فإنني سأرجع وقد غيّبهما التراب... فلا حول ولا قوة إلا بالله...

الاثنين: لم أستطع أن أحظى بنوم حقيقي بسبب ضيق النفس الذي جثم على صدري الليل كله، فضلاً عن ضرورة الاستيقاظ فجراً لحضور حفل التخرج في كوالا لامبور... استيقظت عند السادسة وتناولت الفطور على عجل... كان التخوّف من الزكام لا يزال يداعبني، وتأكد لي أن هناك شيئاً من هذا بسبب التزايد الملحوظ في ضيق النفس...

نزلت إلى الصالة حيث ينتظرني منجد والكبيسي، وما لبث أن انضاف بعدٌ آخر: أني لم أتسلّم بطاقة دعوة، وقد يحرجني هذا لدى الدخول، فانقبض قلبي... بعد موعده بنصف ساعة جاء دكتور نزار لكي يقلنا إلى هناك... كان الطريق في بدء الصباح رائعاً... رائعاً... بما يعجز عنه الوصف: أية خضرة تنتشر على جانبي الطريق، وأية تشكيلة مدهشة من الأشجار والتسريحات والزهور؟! حقاً إن ماليزيا لهي واحدة من أجمل بقاع الأرض لولا رطوبتها القاسية... وصلنا إلى هناك ودخلنا دون أي سؤال أو اعتراض... تناولنا فطوراً آخر في صالة أعدت لهذا الغرض، يتكون من مهرجان بديع من المعجنات...

ثم دلفنا إلى القاعة الكبرى لمشاهدة الحفل... كان جلوسي وسط منجد والكبيسي، ودارت الأحاديث والنكات والتعليقات والعروض الطلابية والموسيقى الفولكلورية الرائعة والممتعة... وحينما بدأ الملل يدب في نفوسنا غادرنا القاعة لكي تقلنا سيارة منجد عبر طريق العودة إلى أحد مطاعم الكلية، حيث اشترينا غداءنا وعدنا إلى الفندق...

كنت جائعاً جداً، فأسرعت باستبدال ثيابي والتهام غدائي من الكنتاكي

البارد وكبدة الدجاج... والموز... ثم أخذت حماماً ساخناً، وخرجت لكي آخذ قيلولتي وسط بعض المتاعب في أعلى الأنف، فيما تبين لي والحمد لله أنه شيء من التهاب الجيوب وليس الزكام...

قرأت في أحد أعداد «الأدب الإسلامي» المقابلة التي أجراها معي المدني العدادي حول منهج الدراسة الأدبية، وسعدت بحضوري على صفحات المجلة في أكثر من موضع، بما في ذلك تقويم سخي من عبد القدوس في رسالة له إلى بشرى حيدر حول مجموعتها القصصية التي سبق وأن كتبت مقدمتها... نمت قليلاً ثم نهضت لكي ألاحق القضايا المعلقة والتي يبدو ألّا نهاية لها سواء في مدينتي أو عندما أرحل بعيداً، ومع ذلك فقد أحسست بأنني قدرت على خلاف الرحلات السابقة من السيطرة عليها وتصفيتها الواحدة تلو الأخرى...

تلقيت مكالمة هاتفية من أحد أعضاء جمعية الثقافة يؤكد فيها موعد محاضرة اليوم... شربت الشاي قبالة النافذة المطلة على المدينة، حيث بدأت الغيوم تتجمع في موعدها اليومي وتنذر بمطر غزير، وقلت في نفسي عساها لا تمنعني هذه المرة أيضاً من الوصول إلى حشود الطلاب الذين انتظروني الاثنين الماضي، وها هم اليوم ينتظرون!

وقفت في مدخل الفندق أنتظر دكتور محسن لكي يقلني إلى الكلية... تأخر نصف ساعة عن موعده ربما بسبب المرور... وصلنا الكلية في جو ماطر... سألته عبر الطريق عن البنوك الإسلامية، وهل ثمة شبهة ربوية في معاملاتها؟ فقال: إن مؤسسات كهذه تحتاج إلى الدعم لأنها الحلقة الضعيفة في واقعنا الإسلامي، والذي يحدث أن الكثيرين لا يهمهم سوى التشكيك بمؤسسات كهذه... أحسست بقدر من الارتياح خفف عني ما ذكره الدكتور قطب قبل أسبوع... صلينا المغرب في مسجد الجامعة واتجهنا إلى قاعة الطبري، لم يكن ثمة سوى اثنين من الطلاب... أحسست بشيء من الانزعاج ولكنهم ما لبثوا أن جاؤوا بعدد طيب ملأ القاعة... وقدمني مروان الطالب حيث ما لبثت أن بدأت محاضرتي عن الشباب والبناء الحضاري...

كانت المفردات كثيرة، فاضطررت إلى الصيغة الأخرى في الطرح... السرعة التي لا أرتاح لها، ومع ذلك تمكنت من لم الخيوط وتقديم محاضرة محتشدة بالمفردات، وتلقيت تقويمات طيبة وكمّاً كبيراً من الأسئلة في صميم الموضوع... أجبت عنها بإيجاز حيث لم يكن الوقت يسمح بالاستفاضة، وارتحت تماماً لأداء مروان وإخلاصه... وتلقيت بعدها هدية من المشرفين على الجمعية، ثم خرجنا لنؤدي صلاة العشاء ولأعود بمعية دكتور محسن إلى الفندق وسط أمطار غزيرة... صعدت إلى هناك والجوع يعتصرني فما لبثت أن انكببت على التهام الخبز وكبدة الدجاج والموز والعصير... تلقيت هاتفاً من الكبيسي يعلمني فيه أن موعد دعوة دكتور نزار قد تقرر مساء يوم غد. فأحسست بالارتياح حيث لا ارتباط لي في الموعد المذكور... نزلت إلى الصالة لأسترخي قليلاً وأشاهد الغادين والرائحين... ثمة مناظر كادت أن تخترقني سلباً، لكنني صرت أعرف كيف أتحصّن بقوة فلا يقتحمني شيء والحمد لله...

داعبني النوم، فنفضته عني وخرجت إلى الغرفة لكي أواصل العمل والقراءة حتى ساعة متأخرة من الليل... وثمة فاكس تلقيته مساء اليوم من مكتب الأردن، يشير إلى ترتيب محاضراتي في جامعة الزرقاء والمعهد، ويؤكد ذهاب الشبرمي إلى المطار لاستقبالي وحجزه غرفة لي في أحد الفنادق...

أسارع في الردّ على الفاكس وتعديل عنوان إحدى المحاضرات، وأحمد الله على أن الأمور تجري على ما يرام وأقول في نفسي: إن هذا اليوم لهو واحد من أروع الأيام عبر رحلتي هذه... فالحمد لله...

الثلاثاء: استيقظت على غير قليل من القلق المعهود، الذي أجدني في دائرته عندما تكون هناك مطالب كثيرة متشعبة على مستوى المكتب أو المتابعات... تناولت فطوري وبدأت أعمل بانتظار موعدي مع دكتور محسن في الحادية عشرة والنصف للذهاب إلى الكلية...

أنجزت العديد من المعلقات وبخاصة ترتيب محاضرات الأردن، وشعرت بارتياح عميق بعد أن تغلبت على هذه العقبة الجديدة... اتجهت إلى الكلية مع

دكتور محسن وفاتحته في موضوع تداخل اقتراحي بتأليفي مدخل إلى التاريخ والحضارة للجامعة الإسلامية، ومدخل الدكتور السوداني أحمد إلياس، فأجابني بأنه لا تعارض على الإطلاق فازددت سعادةً وارتياحاً... وصعدت إلى غرفة دكتور مجاهد لكي أصفي معه عدداً من المعلقات. ومن هناك تم الاتصال بمكتب العميد للاستفسار عن إنجاز معاملة المكافأة المالية، فأجابت الموظفة بأنها جاهزة... فقلت في نفسي يبدو أن هذا اليوم هو يوم الأفراح والإنجازات.

نزلت إلى مكتب العميد وتسلمت الصكوك ثم يممت صوب المعهد وتمكنت من إرسال أحد الفاكسين إلى الأردن، بينما ظل الآخر معلقاً لسبب ما، كما استنسخت بعض الأوراق... خرجت سعيداً، ومررت لزيارة دكتور نزار في موقعه الجديد فلم أجده، فتركت عند سكرتيرته خبراً ثم توجهت إلى مكتبَي تحرير (التجديد) و (إسلامية المعرفة) للاستفسار عن بعض الأمور فلم أجد المسؤولين... عدت لكي أبحث عن دكتور أحمد إلياس لتسليمه أصول بحثه عن السيرة فلم أجده... التقيت عرضاً بالدكتور جنيد الصالحي وتم الاتفاق على تحديد موعد لأمسية نورسية معه ومع زياد الأرحيم وآخرين مساء الجمعة...

في الطريق التقيت بنوزاد موظف معاون العميد، ورتبت معه مسألة الهوية واسترجاع الجواز... ثم توجهت إلى المطعم لتناول غداء خفيف قبل أن تدركني صلاة الظهر...

بعد الصلاة عدت إلى الكلية لتناول الشاي في غرفة دكتور منجد، ثم توجهت والدكتور خالد الحمداني إلى قاعة الطبري لإلقاء محاضرتي عن ضوابط إعادة كتابة التاريخ... سلمني دكتور سلامة بحثاً عن الموضوع اعتمد فيه على كتاباتي، وما لبث الأساتذة والطلبة أن بدؤوا يتدفقون... وألقيت محاضرتي بتمكن تام وبالإيقاع الذي أرتاح إليه بحمد الله... وقدمت أكثر مما كنت أتوقع. فتلقيت في ختامها تقويمات سخية وعدداً من الأسئلة أجبت عنها بما زادني اقتناعاً...

وقام رئيس قسم التاريخ لكي يسلمني هدية تقدير على جهودي في

المحاضرات باسم ندوة السيرة النبوية... وانهال عليَّ طلبة وطالبات الدراسات العليا يريدون إعانتهم على مهماتهم، وتقدم مني اثنان من محرري المجلات أحدهم عن مجلة في بنغلاديش، فاتفقت معهما على صيغة للحوار... غادرت المكان إلى المعهد بصحبة دكتور سلامة والتقيت هناك بالمدير الدكتور لؤي صافي، الذي بادرني بالقول بأن المعهد والجامعة رحّبا بقيامي بتأليف المدخل، وعرض عليَّ تقديم طلب بالتغطية المالية التي أحتاجها لإنجاز الكتاب، فأعلمته أنه لا داعي لذلك، يكفي أن أتسلّم مكافآتي بعد إنجاز الكتاب، فأعلمني بأن التعليمات المعمول بها تقتضي هذا، وذكّرني بأنني سأستخدم الكمبيوتر والدسك.. الخ... فاتفقت على موعد آخر لترتيب الموضوع... وجاءتني السكرتيرة لكي تعلمني بأن الفاكس الآخر أُرسل إلى عمّان...

غادرت المكان، وكالعادة فقد دهمني ردّ الفعل وأحسست أنني أكاد أغرق وأن الفرص التي فتحت أمامي أكبر من قدرتي على تلقيها دفعة واحدة... وإذا بي أحسّ بالاكتئاب والضيق... وتوجهت إلى غرفة اجتماع القسم، وبدأت أسترجع شيئاً فشيئاً فرحي الضائع... ولكنني كنت قلقاً من أن يرتطم مشروعي مع محاولة دكتور أحمد إلياس، أو أن يسبب إلغاء مشروعه فأكون أنا السبب... كما كنت أخشى من مداخلات أساتذة القسم وجدلهم حول الموضوع، والذي طالما أدى إلى عرقلة طموحات كهذه... لكن المناقشات سارت على ما يرام والحمد لله...

وأكدت من جهتي أكثر من مرة أنني لم أكن لأقدم على المحاولة لو أحسست أنها تقطع الطريق على مدخل الأستاذ السوداني... وأيد دكتور محسن ورئيس القسم مشروعي بحرارة، وتمت أخيراً الموافقة عليه والتوصية برفعه إلى عمادة الكلية... وأحسست بسعادة بالغة، فها هي آخر عقبة تتفتت أمامي...

وانتقلنا إلى موضوع الدراسات العليا فأمسكت بزمام الحديث، الذي أعرف كيف أمسك بناصيته عندما أكون سعيداً، وأقرّ رئيس القسم والأساتذة كافة سلامة وجهات نظري، وأنهم سيعتمدونها في التخطيط لمستقبل الدراسات العليا...

غادرت المكان بمعية دكتور محسن عائداً إلى الفندق... كنت أحسّ بسعادة بالغة وقلت في نفسي هذا هو يوم آخر من الأيام الرائعة في رحلتي هذه... وقلت أيضاً بأنني قد أتلقى رد الفعل القاسي في أية لحظة قبل أن أتهيأ لصلاة العصر... دُقَّ عليَّ الباب وإذا بالكبيسي يطلب الإسراع في النزول لحلول موعد ذهابنا إلى بيت دكتور نزار ... أسرعت في الصلاة وغادرنا الفندق بمعية دكتور منير البياتي... دار الموضوع حول الحرمان الجنسي، ولعنة الاكتفاء بواحدة، والوضع الاستثنائي للمسلم في هذا العصر بصدد مسألة الإشباع الجنسي، وصدرت تعليقات طريفة وضحكات من الأعماق...

وصلنا دار نزار... كان الجوع يحاصرني... وراح المدعوون يجيئون على تباعد في الزمن، بمن فيهم مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الذي دخلت معه في حوار حول المشروع الحضاري ومرئيات المدير بخصوص العمل في ميدان الواقع. ثم قمنا لتناول العشاء اللذيذ... بشهية بالغة، حيث دارت الأحاديث والنكات والضحكات بمودّة وانسجام... وجرت مناقشات طريفة حول آدم والإنسان القديم وعمر التاريخ البشري... إلى آخره، لم نصل فيه. إلى نتيجة. وغادرنا المكان بصحبة دكتور سفيان عائدين إلى الفندق... صعدت إلى الغرفة وأنا أحسّ بثقل المطالب التي تنتظرني، وترددت قليلاً في النزول إلى الصالة كالمعتاد، لكنني آثرت البقاء وشمّرت عن ساعد الجد لإنجاز بعض المطالب والمطالعة حتى ساعة متأخرة من الليل...

الأربعاء: كان يوماً هادئاً عرفت كي ألتقط فيه أنفاسي رغم أن نومي لم يكن عميقاً، وأني استيقظت على ألم في البلعوم لكنه ما لبث أن خفّ إلى حد كبير بفضل من الله وحده... تناولت فطوري من كبدة الدجاج هذه المرة وانكببت على العمل حتى الثانية عشرة ثم نزلت إلى الصالة لاستكماله هناك...

أنجزت اللمسات الأخيرة من تقويمات البحوث الثلاثة، ولم يتبق أمامي من الأعمال سوى القليل والحمد لله... ألقيت نظرة على الصكَّين اللذين تسلّمتهما يوم أمس، فإذا بالحصيلة ما يقرب من ألفي دولار كما قيل لي فالحمد لله...

ترددت كثيراً بين الانطلاق إلى منطقة السوبر ماركت القريبة من الفندق وتناول الكانتاكي هناك وشراء الحاجيات والتجوال اللذيذ في السوبر بعيداً هذه المرة عن قلق الأسبوع الماضي...

لكنني ملت إلى البقاء في الفندق أولاً للإجهاز على ما تبقى من طعام، وثانياً لترك شيء ما من شهيتي، فلعل أمسية اليوم في بيت دكتور منجد تتضمن عشاءً؟! عدت إلى الغرفة وتناولت غدائي وما لبث النوم أن داعبني فقرأت قليلاً، ثم أخذت واحدة من أعمق وأطول القيلولات في رحلتي هذه لم يقطعها شيء والحمد لله... استيقظت على هدير الرعد وتساقط الأمطار بغزارة فأحسست بارتياح عميق، وآثرت أن أظل في منامي وأنا أحصي بؤر التعاسة التي كانت تفترسني عبر رحلاتي جميعاً. أما هذه المرة فقد استطعت أن أضيق عليها الخناق، فازددت توحداً وإحساساً بطعم الإيمان واستمتاعاً برحلتي...

جلست لكي أشرب الشاي قبالة النافذة والمدينة والمطر... وتلك من أجمل اللحظات عبر رحلة اليوم كله... آثرت هذه المرة أن أجرب الشاي بالليمون فإذا به لذيذ حقاً، وقررت أن أشتري كمية منه وأعود به إلى العراق إن شاء الله!!

يرن جرس الهاتف... فإذا بالدكتور عارف يأسف لتغيير موعد ندوة السبت إلى الاثنين ويسأل إن كان في الإمكان ـ رغم سفري في اليوم نفسه ـ أن أشارك بمحاضرة فيها، فأرد عليه بالإيجاب. وكي لا أدخل دائرة القلق حسمت معه الأمر باختيار عنوان المحاضرة عن (ثقافتنا والغرب: صراع أم حوار)... ولحسن الحظ فإنني كنت قد أنجزت ترتيب خطوطها العريضة استعداداً لإلقائها في جامعة الزرقاء ـ بإذن الله ـ وأحسست وأنا أتممها بارتياح عميق، إذ لم يتبق أمامي سوى إعادة ترتيب خطوط محاضرتين أو ثلاث مما سألقيه في جامعة الزرقاء ومكتب الأردن، وأكون قد أنجزت معظم المطلوب بحمد الله...

وثمة ورقة ألمحها مرمية عند الباب، أفتحها فإذا بها من إدارة الفندق بخصوص وصول فاكس إليَّ... توجست قليلاً ثم أسرعت بالنزول لتسلمه وفتحه وإذا به من أزهر الطالب رداً على الفاكس الذي سبق وأن أرسلته إلى أمريكا... الحمد لله ـ قلت في نفسي ـ فإنه لم يفتح عليَّ باباً جديداً للعناء... عدت إلى الغرفة لإنجاز معلقات أخرى ثم نزلت إلى بوابة الفندق بانتظار دكتور منجد...

وهناك في بيته قضينا أمسية طيبة وتناولت بشهية ـ كعادتي ـ الطعام المتواضع الذي قدمه بإلحاح مني... ثم جرت أحاديث شتى، كما أنهيت معه ومع أخيه الكثير من المعلقات بعد جهود متواصلة لكفِّهما عن الحديث المتواصل والمتشعب، الذي لا يعطي لحظة واحدة لالتقاط الأنفاس...

أجريت اتصالات مع دكتور جمال لترتيب الموعد، الذي سبق وأن ألمحنا إليه معاً، فلم يكن في البيت... وهاتف آخر مع دكتور قطب اتفقت خلاله على اللقاء به غداً صباحاً لمتابعة الجواز والحجز ودعوة محسن عبد الحميد وربما صرف الصكوك... وازددت ارتياحاً بإنجاز معاملة محسن، وبأن هناك دعوة على العشاء غداً مساء في بيت دكتور جمال البرزنجي، وأن قطب سيمر إلى الفندق لاصطحابي والكبيسي إلى هناك... تمكنت عبر مكالمة هاتفية من إقناع الكبيسي بحضور الدعوة... ثم ما لبثت أن تسلمت من منجد ثلاثة أشرطة فيديو عن محاضراتي... وطبقاً من السنبوسك والمعجنات. وعدت بصحبته إلى الفندق لكي أنجز العديد من المطالب وأطالع قليلاً قبل أن أسلم رأسي للنوم في ساعة متأخرة من الليل...

الخميس: أيقظني هاتف مبكر من دكتور عبد الله الجبوري، وكنت قد نمت متأخراً وقررت أن أعوض في الصباح، لكنه قدري مع الأصدقاء، وأصحاب الحاجات، إنه يريد توصيل رسالة وأمانة لأولاده في بغداد... وقلت في نفسي ها هي ذي تجربتي في صنعاء، عبر الأيام الأخيرة تعود مرةً أخرى... وقلت إن رحلاتي تبدأ بمطالب الأصدقاء التي لا ترحم وتنتهي بها... وعبثاً حاولت أن

أرجع إلى نومي ووجدتني مرغماً على النهوض، لكي ما ألبث أن أتلقى مكالمة أخرى من حسان رزو؛ إنه هو الآخر يريد توصيل رسالة وكتاب إلى أخيه في الموصل... كنت قلقاً ـ كما هو الحال ـ عندما أجدني قبالة مطالب عديدة وملحّة يتحتم عليَّ إنجازها في ساعات قلائل... توجهت إلى الكلية مشياً وبدأت بلؤي صافي فلم أجده، فثبتُّ موعداً للقائه وتوجهت إلى العميد، واستطعت أن أحصل على فرصة للدخول المباشر...

كان عليَّ أن أصغي معه العديد من المعلقات عبر عشر دقائق لكي ألحق بموعدي مع قطب... لكن الوقت طال، وأخرجني إلى موضوعات جانبية اخترقتها مكالمات هاتفية طويلة، بلغتُ معها حالة الشد العصبي والتوتر الذي أعرفه جيداً في لحظات كهذه. وقلت في نفسي ما الذي ورّطني في الدخول عليه؟ استطعت بصعوبة أن أحظى بأجوبة حول عدد من المسائل وأؤجل أخرى إلى لقاء آخر... وتلقيت منه (ساعة العصر) هدية لم أكن بحاجة إليها إذ يوجد لدي اثنتان منها... كما أنه حمّلني بمطالب جديدة لدى عودتي إلى العراق... وثمة أطروحة عن تاريخ الأكراد في صدر الإسلام، عرض عليَّ إبداء الرأي فيها وكتابة مقدمة لها، وتوصيات إلى الناشرين. فاعتذرت عن كتابة المقدمة ووعدت بإبداء الرأي وكتابة التوصيات رغم ضيق وقتي وكثرة مشاغلي... ودخل ياسر إنعام الطالب لكي يدعوني إلى بيته، فاعتذرت وقبل عذري بسهولة...

غادرت المكان مسرعاً إلى قطب فوجدته لحسن الحظ في مكانه... كانت ثمة مطالب عديدة تنتظر معاونته: استعادة الجواز، والتأكد من عدم تغير موعد الطائرة، وتثبيت الحجز على التذكرة، وصرف الصكوك، وتسلم دعوة دكتور محسن عبد الحميد وتسليمه الأوراق الخاصة بدعواتي للمستقبل... أجرى الرجل، بنشاطه وإخلاصه المعهودين سلسلة من الاتصالات الهاتفية... وكلما اجتاز حلقة أحسست بارتياح، وكلما وجدت مسألة ما عراقيل في طريها توترت أعصابي ودخلت دائرة الشد والارتخاء لأكثر من ساعة... ثم ما لبث الجواز أن

جاء بواسطة أحد الموظفين فأحسست بارتياح عميق، ثم ما لبثنا أن غادرنا المكان لمتابعة الصكوك والتذكرة وتلبية دعوته على الغداء... تبين في مصرف جامعة مالايا أن الصكوك في حاجة إلى بعض التحويرات لكي يستطيعوا الدفع، فقفلنا عائدين وتناولنا غداءنا في مطعم K.F. للكانتاكي...

التهمت الغداء بشهية، وكان يحز في ضميري بين لحظة وأخرى موافقتي على تناول الطعام في هذا المطعم، بعد إذ بيّن لي قطب أنه وسلسلة المطاعم الأخرى بالاسم نفسه ليهودي من أمريكا... عدنا إلى الكلية وتطلّب الأمر انتظار يوم آخر لإنجاز التذكرة وصرف الصكوك... كنت رغم قلقي الخفيف أحسّ بارتياح عميق، خاصة بعد إذ تبين لي أن موعد الطائرة لم يتغير والحمد لله، وأن أحد أساتذة الكلية سيرجع إلى عمان بصحبتي على نفس الطائرة، وأن كثيراً من المعلقات استطعت إنجازها هذا اليوم...

وعدت إلى الفندق مع سائق قطب... لكي آخذ قيلولة؛ ما لبث هاتف سكرتيرة العميد أن قطعها عليَّ قبل أقل من نصف ساعة... وعبثاً حاولت العودة إلى النوم، فنهضت لكي أصحح بروفات مقالي عن الأدب الإسلامي لإسلامية المعرفة، وآلمني أن أجده مترعاً بالأخطاء المطبعية بشكل مكثف لم أر مثله في حياتي... وغدا عليَّ أن أبذل جهداً ووقتاً إضافيين أنا في أمس الحاجة إليهما لإنجاز المعلقات...

صلّيت المغرب مع الكبيسي ونزلنا لانتظار دكتور قطب... كانت الأمطار تسقط بغزارة، وجاءنا قطب بعد نصف ساعة من موعده... اتجهنا إلى بيت دكتور جمال، وبعد قليل قمنا لتناول وجبة عشاء رائعة... لم أكن جائعاً تماماً فلم أستمتع بها كالمرة الأولى. وأتيحت لي الفرصة أن أسأل دكتور أنس الزرقا الخبير الاقتصادي بالبنوك الإسلامية عن احتمال وجود شبهة في التعامل مع البنك الإسلامي الأردني، فطمأنني إلى حدّ كبير وأحسست بارتياح عميق... وجرى نقاش حول الأطروحات الاقتصادية لم أجد ميلاً للمشاركة فيه... وكالعادة كان ثمة ما يقلقني: أن أرجع مبكراً إلى الفندق للاتصال بمنجد حول

موعد يوم غد... فضلاً عن ضرورة تحديد موعد جديد مع دكتور جمال لتصفية المعلقات...

عدنا إلى الفندق مع دكتور سفيان وسط تعليقات الكبيسي وطرائفه... وصعدت إلى الغرفة لكي ما ألبث أن أتلقى مكالمة من منجد يتم فيها الاتفاق على الموعد، وأحسست بارتياح عميق، وزادني ارتياحاً أن أقوم بترتيب أوراق ومطالب يوم غد، وأن أجد نفسي قبالة بقايا أعمال محدودة قد لا تقتضي أكثر من جلستين أو ثلاث... وها أنا ذا أوشك على تصفية المعلقات كافة وأتهيأ للعودة لكي ابدأ جولة ملاحقة مكثفة مع الزمن في عمّان إن شاء الله... ولكنها أيام وتنقضي... ولعّلي بعدها أحظى بفترة من الاستجمام والاسترخاء وتجاوز القلق والشدّ، اللذين طالما فرضا حصارهما عليَّ عبر رحلاتي جميعاً، لكنهما هذه المرة لم يترافقا مع ضربات الكآبة المركزة. ولذا قد أعتبر رحلتي هذه من أكثر الرحلات نجاحاً وتوفيقاً على المستويات كافة بما فيها المكاسب المالية... فحمداً لله وحده...

الجمعة: ذهبت صباحاً مع دكتور منجد، واستطعنا بعد لأي صرف الشيكين، بعد أن مررنا بالعميد عرضاً بحثاً عن استمارات الدراسات العليا، جرى خلالها حوار متشنج بينه وبين منجد... وعرضت على الأخير نتائج حواري مع العميد بخصوصه ودكتور مجاهد... بحثنا أيضاً ـ دون جدوى ـ عن بطاريات السمع والورد الخاص بضيق النفَس... سألنا أحد الصّرافين عن سعر الصرف فتبين أن الدولار ازداد ارتفاعاً...

دخلت لبعض الوقت دائرة القلق في ضوء فكرة لمنجد حول الإبقاء على العملة الماليزية التي تسلمتها لديه بانتظار استعادتها قوتها السابقة... عدنا إلى الكلية لكي نستمع قليلاً إلى محاضرة للدكتور طارق العوسج (رحمه الله) عن الأدب والعقيدة، ثم لأغادر القاعة إلى العميد حيث موعدي مع دكتور لؤي... أعلمته بموافقة القسم على اقتراح تأليفي للمدخل، ثم تسلمت منه الاستمارات الخاصة بالنفقات المالية على المشروع، كما سلمته الورقتين بخصوص دعواتي في

المستقبل ـ إن شاء الله ـ ... ذهبت قليلاً إلى دكتور عثمان حيث أطلعني على مكتبته، وتناقشنا بخصوص أطروحة عن الفتح الإسلامي... اتجهنا لأداء صلاة الجمعة في مسجد الجامعة، وغادرته في طريقي إلى المطعم...

التقيت عرضاً بالدكتور أحمد الدبو مدير العلاقات الذي كنت بانتظار عودته من المغرب... أشار بإسهاب إلى تقييم الساحة المغربية لكتاباتي وانتشاري الواسع هناك... وثنى على كلامه الدكتور أنس الزرقا... حمدت الله الذي بفضله وحده بلغت هذا الذي ما كنت أحلم به... وطلبت من دكتور أحمد تحديد موعد لتصفية حساباتي مع الفندق، فأعلمني أنه سيتصل بي يوم الأحد بعد عودته من رحلة داخلية... تناولت غداءً بسيطاً في مطعم الطلبة ومرّ بي أحد الطلبة الأفارقة وقال مبتسماً: هذا تواضع العلماء... غادرت المكان إلى الكلية لمتابعة عدد من القضايا، ثم قفلت عائداً إلى الفندق بصحبة دكتور عبد القهار العاني...

أخذت قيلولة مترعة بالتوفز، وما لبث الهاتف أن قطعها... إنه من دكتور مجاهد يعلمني باستكمال التذكرة وتسلمه إياها، فحمداً لله، هذه معضلة أخرى تم التغلب عليها... حاولت أن أرجع إلى نومي فلم أستطع، نهضت لكي أبدأ العمل في استكمال تنقيح بحثي عن الأدب الإسلامي لإسلامية المعرفة... كانت أخطاؤه المطبعية فوق ما يتصوره إنسان وبلغت وأنا ألاحقها حدّ القرف... ولم أستطع أن أكمل العمل، إذ كان عليَّ أن أنزل إلى الصالة بانتظار زياد ودكتور عبد القهار لقضاء الأمسية النورسية لدى دكتور علي جنيد...

كان اللقاء حاراً، والأحاديث طيبة، ووجهت لي جملة من الأسئلة في سياقات شتى، حيث تدّفق الحديث على لساني بفضل الله... تناولنا المعجنات والفاكهة ثم غادرنا المكان إلى الفندق... كان أمامي عمل كثير... كثير جداً... فشمرت عن ساعد الجد ورحت أواصل تنقيح البحث الخاص بالأدب، وأكتب المذكرات وأرتب الأوراق حتى ساعة متأخرة من الليل...

السبت: موعد العودة يقترب ووتائر الشدّ النفسي والقلق تزداد كالعادة

بسبب ضغط الزمن وكثرة المطالب، وحاجات المغتربين إلى أهاليهم... قضيت ليلة متوفزة واستيقظت جائعاً فتناولت فطوري قبل أن أحلق وجهي... رنّ جرس الهاتف فإذا بالدكتور محسن محمد صالح يعلمني أنه سيمّر عليَّ لكي يقلني إلى الكلية، شكرته... هذا الرجل الرائع المترع وفاء ومحبة... وعرض عليَّ في الطريق ان أكتب مقدمة لطبعته الجديدة المنقحة من كتابه (الطريق إلى القدس)، فرحبت رغم كثرة مشاغلي وضيق الوقت. ولذا عرضت عليه أن أؤجل كتابتها لحين عودتي إلى الموصل فأعرب عن موافقته...

دخلت قاعة الطبري أوّل الداخلين، ثم ما لبث الأساتذة والطلبة والطالبات أن راحوا يتدفقون، وألقيت محاضرة متمكنة عن ظاهرة الفتوحات الإسلامية، وتلقيت بعدها جملة من الأسئلة أجبت عنها جميعاً هذه المرة حيث سمح لي الوقت بذلك...

وما لبث الطلبة أن تحلقوا حولي كل يسأل سؤالاً أو يطلب شيئاً... كنت أحسّ بالإعياء والضيق كالعادة وبأني أكاد أغرق، ولكن دكتور سلامة البلوي هذا النموذج الرائع الآخر، أخذني من المعمعة، ودعاني لتناول الغداء، وزادني ارتياحاً أنني اتفقت معه على الذهاب يوم الاثنين سويةً لصرف العملة لدى تاجر يعرفه جيداً... وأن يتولى أمر إيصالي إلى المطار في حالة تغيّب مدير العلاقات... كان يصحبنا دكتور غسان، الذي سلمني عدداً من الرسائل والأمانات... وعرض دكتور سلامة أن نتغدى في أحد المطاعم خارج الكلية لكني آثرت المطعم التركي الذي يخلو طعامه من التوابل، وتناولنا هناك وجبة طيبة، ثم غادرنا المكان إلى غرفة دكتور سلامة لكي يلحق بنا دكتور محسن...

وبعد حوار ودّي توجهنا إلى دكتور مجاهد لتسلم البروفات المصححة لبحثي عن الأدب، وقفلت عائداً بصحبة دكتور محسن...

صليت الظهر وأخذت قيلولة متقطعة لكنها عميقة... استيقظت بعدها على حالة القلق إياها عندما تكون أمامي أعمال شتى، في ظروف زمنية ضيقة، وصفعتني موجة من الكآبة... وتذكرت كيف أن خيال أخي وأبي وأمي الراحلين

تلحّ عليَّ عبر السفر، وتضعني في دائرة الحزن والحسرة، ولكني أحاول بالعمل المتواصل حتى الإعياء، أن أدفعها إلى طبقة بعيدة من الوجدان...

تمكنت عبر ثلاث ساعات أن أنجز استمارات تغطية المدخل المالية، وبروفات البحث عن إسلامية الأدب، وعدداً من المسائل الأخرى... ثم غادرت الفندق لتناول عشائي وشراء بعض الحاجات من منطقة الأسواق... تجولت في السوبرماركت والأسواق المحيطة به... لست أدري لم كنت قلقاً رغم أنه لم يتبق أمامي سوى القليل... لكنه الطبع... والطبع غلاب...

واكتسحتني مرة أخرى ذكرى الأب والأخ والأم، فدافعت اللوعة بصعوبة وانغمرت في عالم الناس والأشياء... ثم تناولت عشاء خفيفاً طيباً في مطعم فرنسي، ثم خرجت لشراء بعض الحاجات من بقالة هناك، وعرّجت على محل للآيس كريم لكي أتناول طبقاً سيئاً للغاية، ووجدتني أدخل دائرة الضيق مرةً أخرى، وأقفل عائداً إلى الفندق لمواصلة العمل الذي لا يرحم... وتلقي مكالمة هاتفية طويلة من دكتور منجد والاتفاق على رحلة يوم غدٍ إلى حديقة الحيوان... هذا وأخوه هما الوجهان الآخران للنماذج الرائعة التي تفيض محبة ووفاء وإخلاصاً... بعدها جاءني حسان رزو لكي يجلس بعض الوقت في الغرفة تبادلنا عبره الأحاديث، وأحسست بالضيق وأنا أتسلم منه عدداً من الكتب والمشتريات الثقيلة لكي أوصلها إلى أخيه حسن رزو... ولولا علاقتي الوثيقة بالأخير لاعتذرت ولكن لا بدّ مما ليس منه بدّ... عدت بعد مغادرته إلى العمل حتى ساعة متأخرة من الليل وأنا أقول في نفسي يبدو أنه قد كتب عليَّ ألّا أرتاح عبر أسفاري مهما حاولت وتمنيت... وأن ذلك هو قدري!!

الأحد: جثم عليَّ ضيق النفس فلم يدعني أنام إلّا قليلاً... استيقظت مرتاحاً حيث اليوم عطلة وأنا على موعد مع دكتور منجد وعائلته للذهاب إلى حديقة الحيوان... ازددت ارتياحاً لمفاتحة إدارة الفندق حول المصاريف وبتسلّم قوائم الحسابات، حيث تبيّن أن المبلغ الذي يتحتم عليَّ دفعه هو بضع ومائة رنكه وهو مبلغ متواضع... لم يعد يهمني أن أتمكن من الاتصال بمدير

العلاقات أو... لا... بعد إذ تبين الموقف وأصبح بمقدوري أن أغادر الفندق غداً بسهولة، وأن أعرف ما الذي يمكن أن أحوّله إلى دولارات...

انطلقنا إلى الحديقة لكن وخامة الهواء، وقلة نومي أطبقت على أنفاسي وجعلتني أجاهد ضيق النفس والإعياء لأكثر من ساعتين... اطلعنا على حيوانات شتى وحاولنا عبثاً أن نعثر على مكان الأفاعي... كان التعب والجوع قد نالا منا فآثرنا مغادرة المكان لنتناول غداءنا خارج الحديقة... وغادرنا المكان بعد أن أخرجنا السيارة من ضيق المكان بصعوبة، وواصلنا الطريق إلى المدينة...

وصلت إلى الفندق وأخذت حماماً ساخناً ردّ إلي الكثير من الارتياح والاسترخاء، لم يكن لدي الوقت لكي آخذ قيلولة ولو لدقائق معدودات... دق جرس الهاتف وإذا بمدير العلاقات، وقلت في نفسي ها هي ذي مشكلة أخرى تنحل... وبعد حديث طويل وعرضه عليَّ العمل هنا لسنة أو عدة سنوات، تم الاتفاق على أن يأتيني غداً إلى الفندق لكي نتناول فطورنا في مطعم فرنسي، ثم نتجه إلى مديرية العلاقات لترتيب أمر مغادرة الفندق والتوجه إلى المطار... بعد قليل دق جرس الهاتف مرةً أخرى... انه دكتور جمال هذه المرة، وقد كنت بأمسّ الحاجة لأن أصفّي معه بقايا المعلقات بعد ملاحقات مضنية في الكلية... وقال إنه سيزورني بعد قليل في الفندق حول الموضوع...

وما لبث أن جاء وتمكنت من تصفية المعلقات والحديث عن مشروع تأليف كتاب (مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية)، حيث أعرب عن غبطته به وأكد على ضرورة الإسراع بإنجازه نظراً للحاجة الماسة إليه، وأنه سيدرّس على مستوى الجامعة كلها...

سلّمني كمية كبيرة من النقود لكي أنقلها إلى العراق كزكاة للمحتاجين. ثم ما لبث أن دق جرس الهاتف، فإذا بأحمد محمد زكي يجيئني برسائله وأغراضه، التي لم أرتح لها أول الأمر، ثم تبين أنها للأردن وليس للعراق...

وغادرنا المكان بمعية دكتور الكبيسي ونزار وسفيان وزياد، لكي نقضي أمسيتنا في مطعم صيني للسمك على طريقة الطبخ بأيدي الزبائن... والموائد

المفتوحة، والزمن الطويل في تناول الوجبة... كانت تجربة جديدة، ولم أرتح في البداية لمنظر السمك والسرطان والجمبري الذي لم تنزع منه القشرة والأرجل... ناهيك عن الروائح المزعجة، لكنني آثرت أن أتجاوز هذا وأن أندمج في تناول الوجبة، وما لبثت شهيتي أن انفتحت على الجمبري، حيث رحت أقشر واحدة واحدة وازدردها باستمتاع... أكلت كمية كبيرة، وأعقبتها بطبقتين من الخضار والفاكهة... ودارت أحاديث طيبة... ثم ما لبثنا أن غادرنا المكان لكي نودعهم والدكتور أحمد الكبيسي عند مدخل الفندق...

صعدت إلى الغرفة وسط حالة قاسية من القلق والاكتئاب ذكرتني بكل ليالي العودة في أعقاب رحلاتي... وقلت في نفسي: يا للعجب يبدو أن كل رحلة تبدأ بالكآبة ليلة السفر، وتنتهي بها ليلة المغادرة ولكن لا بأس فلكل شيء نهاية... أما القلق فقد كانت مبرراته أكثر بكثير، إذ أن أمامي جملة من المطالب والأعمال الكتابية، ناهيك عن ترتيب الحقائب التي تتطلب العمل حتى ساعة متأخرة من الليل، وأنا بحاجة إلى النوم، حيث لم تكن ليلة أمس قد منحتني حاجتي، كما أنني لم آخذ قيلولتي المعتادة.

هذا إلى أن عليَّ أن أستيقظ غداً مبكراً للذهاب مع مدير العلاقات... فضلاً عن كثافة مطالب يوم غد وضيق الوقت وضرورة المشاركة بمحاضرة في اليوم الثقافي... وشمرت عن ساعد الجد... وأستطعت أن الاحق المطالب وأن أصفي الواحدة بعد الأخرى...

ومع ذلك فثمة بعض المعلقات لم أستطع حلّها بسبب مضي الوقت والإعياء... وأحلتها إلى الأردن حيث تنتظرني أيام لا تقل هولاً وسهراً لكثافة المطالب هناك... ولكن لا بأس مرةً أخرى...

الاثنين ١٢/١: يوم الشدّ والارتخاء كان هذا اليوم... استيقظت صباحاً على صوت مدير العلاقات دكتور أحمد الدبّو يدعوني لتناول الفطور... حاولت الاعتذار بسبب ضيق الوقت وزحمة المواعيد، فأقنعني بأن ذلك لن يستغرق أكثر من ربع الساعة... اتجهنا إلى بوفية فرنسي وتناولنا فطوراً خفيفاً شهياً ثم

انطلقنا إلى الكلية... التقيت بمدير المعهد دكتور لؤي وصفيت معه معلقات العقد بخصوص كتابي (مدخل إلى التاريخ والحضارة) وأحسست بارتياح عميق... ويممت صوب قاعة الطبري لإلقاء محاضرتي في يوم الكلية... قُدّمت من قبل العميد الدكتور جمال بسخاء وكنت أوّل المتحدثين...

تكلمت عن موضوع (حضارتنا والغرب: صراع أم حوار) ووجدتني أتدفق في الحديث وأمسك بفضل الله وحده بتلابيبه... ثم تلقيت عدداً طيباً من الأسئلة والتقويمات أجبت عنها بالأسلوب نفسه، ثم ما لبث أن غادرت المكان لكي يلتمّ حولي أصحاب المطالب والرسائل والحاجات والأمانات...

كانت الدقائق تمرّ، وأكداس الأمانات والرسائل تنهال عليَّ... ولولا أن قيض الله لي دكتور سلامة ودكتور محسن، هذين الأخوين المترعين وفاءً وإخلاصاً؛ لسرقني الوقت وفقدت فرصة تحويل العملة الماليزية إلى الدولار...

انطلقنا بسيارة دكتور سلامة إلى السوق على عجل وتمكنا من تحويل العملة، فأحسست بالمزيد من الارتياح... عدنا إلى الكلية لكي أجتاز ساعتين من شدّ الأعصاب بسبب كثرة المطالب وتداخلها وضيق الوقت، وملابسات تهيئة السيارة التي ستقلني إلى المطار...

وازداد الشدّ بسبب كثرة مطالب دكتور جمال وكثافة أماناته النقدية إلى العراق، وتأخر بعض ما كنت قد طلبته منه من أدوية واستمارات قبول... ولكنها استكملت بفضل الله خلال ساعة واحدة.

وكان عليَّ أخيراً أن أودّع المدير الدكتور عبد الحميد أبو سليمان وأخذ توقيعه على دعوة دكتور محسن عبد الحميد، وأما توديع قطب سانو فقد أغناني عنه بمجيئه إلى ديوان الرئاسة...

وأما توديع المدير وتوقيعه، فقد أعرب عن ضرورة الانتظار وسيجيء بنفسه إلى الديوان، وطال الوقت ووجدتني مرةً أخرى في دائرة الشد، حيث كان سائق العلاقات قد غادر إلى الفندق لنقلي إلى المطار... فهرعت إلى

مدير العلاقات لكي أعلمه بضرورة العودة ثانيةً إلى الكلية ريثما أنجز أعمالي...

وأخيراً التقيت بالمدير الذي اعتذر عن دعوة دكتور محسن بسبب المصاعب المالية... وودعني والعميد بحرارة... وغادرتهما إلى غرفة دكتور محسن الذي وعدني بالانتظار، لكي ما يلبث أن يذهب بي إلى الفندق ويعينني في إنزال الحقائب التي رحت أرتبها على عجل، وفي تصفية حساب الفندق... وما لبثت حلقة شد أخرى أن وضعتني في إسارها... اتصل بي دكتور سفيان وقال إنه سيجيء لنقلي إلى المطار خلال عشر دقائق...

كان السائق قد جاء هو الآخر وبدأ الوقت يضيق الخناق، وكدت أن أغادر الفندق بمعيته وأترك سفيان لولا أنه جاء في اللحظة الأخيرة فركبت معه، وطلبت من السائق أن ينطلق خلفنا بالحقائب التي انتابني بعض القلق بخصوصها... وصلنا المطار في وقت مناسب تماماً ووجدت هناك لتوديعي أستاذ آخر ودكتور نزار العاني وعائلته، ودكتور عارف الذي أهداني كمية من الفستق الرائع... أكملت بمعاونة دكتور نزار إرسال الحقيبة إلى الطائرة... وأحسست بشيء من الندم بسبب حملي إياها بعض الوقت. وحاصرني الوسواس اللعين بخصوص الفتقة لفترة من الوقت، كاد إحساسي بالسعادة والارتخاء فيها أن يضيعا... تمت لحظات التوديع المؤثرة، ودخلت صالة الانتظار وأنا أحسّ بأنني سعيد... سعيد... وأن حلمي منذ شهور طوال بالاسترخاء قد تحقق هذه اللحظات... ورحت ألتهم الفستق بشهية... وأحاول أن أجد فرصة لتجديد الوضوء والصلاة فلم أجدها...

وبعد تأخر قصير انطلقت الطائرة في رحلة هادئة طيبة تخللها النوم المتقطع وتناول وجبات الطعام... والأحاديث الطيبة مع دكتور حكمت الأستاذ العائد إلى الأردن لإجراء عملية جراحية... وبعد عشر ساعات وصلنا عمان... كانت الإجراءات بسيطة... وقلقت بعض الشيء على الحقيبة لكنها ما لبثت أن جاءت والحمد للّه... ولم يكلفني الموظف فتح الحقائب، وغادرت المكان لأجد

طالب الماجستير (الشبرمي) وأحد أصدقائه وطالب دكتوراه في جامعة أم القرى في انتظاري... والحمد لله... تعانقنا بحرارة، وانطلقنا إلى فندق عمرة الرائع لكي نجلس قليلاً في الصالة، ونرتب المواعيد بخصوص رسالته للماجستير عن معطياتي النقدية... وأخرج بعدها إلى غرفتي البديعة، فأرتب المتاع والأوراق، وأتناول بعض الحلويات والموالح، وأسلم نفسي لنوم عميق...

الثلاثاء ١٢/٢: استيقظت مبكراً على القلق المعهود بسبب كثرة المطالب وضيق الوقت... تناولت فطوراً خفيفاً في الغرفة وانطلقت في سيارة تاكسي إلى المعهد... سلّمت على الموظفين وجلست أعمل في تصفية بعض المعلقات، وما أكثرها كالعادة دائماً... قبل أن تجيئني سيارة جامعة الزرقاء لكي تقلني إلى هناك...

استُقبلت بحفاوة بالغة من قبل مدير العلاقات والعميد ورئيس القسم وغيرهم... واتجهت إلى إحدى القاعات لإلقاء المحاضرة الأولى عن (تراكم الخبرة في المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي)، وأعقبتها بمحاضرة أخرى في القاعة الكبرى عن المعرفة التاريخية وتحديات الحاضر والمستقبل، حيث حضرها العديد من الأساتذة وتم تقديمي بسخاء، وطرحت أسئلة خصبة في خاتمتها... حيث كنت أحسّ بالإعياء المعهود بسبب سرعة الأداء وضيق النفس... ومع ذلك فقد قررت أن ألقي محاضرة ثالثة أمام إحدى الشعب في موضوع (حوار أم صراع) بتمكن وارتياح... ثم ما لبثنا أن توجهنا إلى مطعم الكلية لتناول غداء لذيذ من السمك، ما لبث أن قطعه قدوم رئيس الجامعة ورئيس مجلس إدارتها، اللذين رحبا بحرارة وشاركا في تناول الغداء...

وغادرت الجامعة تقلّني سيارة خاصة إلى المعهد... لإتمام المعلقات التي لا تنتهي ولأجد نفسي في دائرة القلق والتشتت المعهودين... وخطفت رجلي لزيارة شقة المرحوم ابن العم، وتثبيت موعد للغداء هناك... ثم رجعت إلى المعهد لكي ما يلبث دكتور محمد زكي أن يجيء لكي نتحدث قليلاً، ولكي يوصلني إلى الفندق، حيث كان بانتظاري طالب الماجستير وصديقه... وبعد

قليل من الوقت كانت كامرة الفيديو قد نصبت في غرفتي وجهاز الكاسيت قد أخذ يدور، وبدأ واحد من أكثر الحواريات في حياتي طولاً وتشعباً أجبت خلاله على العديد من الأسئلة المتعلقة بحياتي، وفكري، ومعطياتي الأدبية ورحلتي مع النقد... حتى ساعة متأخرة من الليل... وغادرني الطالب على أمل لقاءٍ آخر مساء يوم غدٍ بإذن الله...

الأربعاء ١٢/٣: لم أنم سوى ثلاث ساعات استيقظت بعدها لأجد نفسي مرغماً على عدم العودة للنوم بعد الصلاة من أجل إنجاز تنقيح أصول كتابي (قضايا ساخنة)، وكتابة تقديم لكتاب دكتور محسن صالح عن (الطريق إلى القدس) بسبب ضيق الوقت، وضرورة تسليمهما في الموعد المناسب...

اتجهت قبيل الثامنة ــ بعد تناول تمراتٍ في الغرفة، وقليل من الفستق ــ إلى العبدلي حيث كنت على موعد مع هيئة تحرير مجلة الأمة... انتظرت نصف ساعة قبل مجيئهم واستطعت أن أنجز معهم العديد من المعلقات، كتسلّم حقوقي من المقالات المنشورة في الأمة، والتأكد من مصير مقالاتي الأخرى... والاتفاق على كتابة مقالات أسبوعية قصيرة للشرق القطرية لقاء أجور طيبة... وتسليم رسالة لمجلة قضايا دولية بحقوق مالية قديمة... وجرت أحاديث طيبة أحسست بعدها بتخفّف واسترخاء نفسي، ثم غادرت المكان سعيداً إلى دار البشير، حيث التقيت بجمال عمرو وأبي معاذ وتلقيت من أولهما أجوبة دقيقة عن حشود الأسئلة والمعلقات الخاصة بي وبدكتور حكمت صالح... كما أستطعت أن أحصل على وعدٍ بمتابعته كتابي الآخر (متابعات في دائرة الأدب الإسلامي)، وأن أتلقى خبراً طيباً بقرب صدور طبعة جديدة من مسرحيتي (الشمس والدنس)...

واتجهت إلى المعهد حيث كانت سيارة الجامعة بانتظاري... وانطلقنا إلى هناك في واحدة من أطيب اللحظات في رحلتي هذه... وهناك استرحت قليلاً في غرفة العميد، وخرجنا إلى إحدى القاعات لإلقاء محاضرة في الفقه الحضاري... ولنتناول بعدها غداءً طيباً في مطعم الجامعة مع ثلة من

الأساتذة... ثم ما لبثت أن أستأنفت العمل فألقيت محاضرة عن (قيمة الخطاب الأدبي والفني) وجدتني فيها أمسك تماماً بزمام الموضوع وفق الأسلوب الهادئ الذي أرتاح إليه... وتلقيت بعدها عدداً من التقويمات السخية والمداخلات الطيبة... ثم تحولت بصحبة رئيس القسم إلى شعبة أخرى، لكي يقدمني أحد أساتذة الثقافة الإسلامية في محاضرة عن قيمة التاريخ...

غادرت بعدها الجامعة بمعية السائق الذي طلبت منه إيصالي إلى تجمع باصات الجت لتثبيت حجز العودة على عصر الجمعة، ومنها إلى منطقة الجامع الحسيني لاستكمال ما أقدر عليه من المشتريات...

وقد بدأت بزيارة للمكتب الإسلامي وتلقي الأجوبة على العديد من المعلقات، ثم صليت الظهر والعصر وانطلقت في جولة مسواق ناجحة، وهادئة، بعيداً عن السباق مع الزمن وشد الأعصاب، واستطعت أن أشتري العديد من الحاجيات، وأن أستكمل معظم مطالب قائمة الأدوية، وأشرب قدحاً كبيراً من عصير الكوكتيل ثم أستقل التاكسي إلى المعهد، حيث كان بانتظاري أستاذ في علوم القرآن دعاني وعدد من الإخوة إلى تناول العشاء في أحد المطاعم...

وكانت واحدة من أعذب الجلسات عبر رحلتي هذه بأحاديثها ونكاتها، ومداخلاتها وعشائها الطيب... غادرنا بعدها لكي يوصلني أحد الإخوة إلى الفندق... حيث كان بانتظاري طالب الماجستير، وبدأنا بعد قليل جلسة طويلة أخرى لتصفية العديد من المعلقات بخصوص رسالته، واستكمال الحوار حول هموم الأدب ورحلتي معه...

كنت أحسّ بارتياح عميق لولا القلق الذي سببه تلقي فاكس من الرابطة يشير إلى رغبة دكتور عبد القدوس بمكالمتي هاتفياً... كنت أخشى من أن تنفتح عليَّ جبهة دعوة المغرب وحفل تكريمي الذي دعت إليه أمانة الرابطة هناك... وبعد محاولات تمكنت من العثور على (أبو صالح) في البيت فأكد لي الموضوع... وتم الاتفاق على ضرورة الاتصال بالأمراني لاختيار موعد مناسب عبر العطلة الصيفية بدلاً من نيسان، الذي يصعب الحصول على الموافقة

فيه... ولكن محاولات الاتصال بالأمراني ذهبت عبثاً... وفي ساعة متأخرة من الليل غادرني الطالب وصديقه... لكي ما ألبث أن أرتمي على السرير متعباً للحصول على ساعة إضافية من النوم!!

الخميس ١٢/٤: استيقظت قلقاً كشأني كلما وجدتني قبالة مطرقة الوقت الضيق وسندان المطالب العاجلة الملحّة... كان عليَّ أن أنجز رسالة للزعاترة وأبيِّض تقديمي لكتاب (الطريق إلى القدس)... وأن أنطلق بعدها للتفتيش عن بطاريات للسمع كلفني بها دكتور يسار التمر مدير العلاقات في جامعة الموصل... في عدد من المجمعات الخاصة بأجهزة السمع... ودق جرس الهاتف فإذا بأحد الإخوة يريد زيارتي... انزعجت في بادئ الأمر بسبب ضيق الوقت، ولكن ما لبث أن تبين لي أن مجيء هذا الرجل يخدمني في البحث عن البطاريات بسيارته في أماكن متباعدة... وأعرب الرجل عن ترحيبه، وانطلقنا بمعية ماجد أبو غزالة للبحث، فلم أعثر سوى على نوعية أخرى، وقلت في نفسي: لا بأس. فهي أفضل من الرجوع بخفي حنين...

واتجهنا إلى المصرف الإسلامي... وكانت مسألة فتح حساب بالعملة الأردنية لأغراض تسهيل الإجراءات المالية عقدة أخرى في طريقي... تمكنا من حلّها بعد حوالي الساعة، ودّعت بعدها صاحب السيارة وماجد، وانطلقت في العبدلي لشراء بعض الأدوية الناقصة، ولزيارة دار الضياء التي رحب مديرها العام بي ترحيباً حاراً ودعاني للغداء، لكني اعتذرت ورحت أسأله عن مصير مؤلفاتي الثلاثة لديه. فأكد أنه بصدد طبع أحدها في وقت لاحق... غادرته مرتاحاً لكي أعود إلى المعهد، وأتمكن من الاتصال الهاتفي بعبد القدوس، حيث رتبت معه أمر تغيير الموعد مع الأمراني بالنسبة لدعوة التكريم...

وأحسست بالمزيد من الارتياح، وانطلقت بعدها مع صفوان ووالدته لزيارة مدير مدارس الأقصى يوسف العظم (رَحِمَهُ اللهُ) الذي استقبلنا بحرارة، وجرت معه أحاديث مؤثرة كان يقطعها بكاؤه الصامت المؤثر حيناً بعد حين... وتمكنت من طرح مشاكل صفوان بوضوح وتلقي وعد منه بالمساعدة، ثم ما لبثنا أن قفلنا

عائدين، لكي أدخل لأكثر من ساعة دوامة ملاحقة المعلقات في المعهد... ثم أتحول بعدها إلى شقة أم مروان لتناول غداء طيب وتبادل الأحاديث... كنت أحسّ بارتياح وسعادة بالغة لولا ما كان يقطعها بين لحظة وأخرى من قلق بخصوص دعوة المغرب، واحتمال وجود بعض الثغرات التي لم أستطع متابعتها عبر مكالمتي الهاتفية مع عبد القدوس... وغادرت المكان مكتئباً، وزادني هماً أن أم مروان حمّلتني بأثقال إضافية إلى الموصل رغم اعتذاري عن بعضها...

وهرعت إلى المعهد ولم يكن بيني وبين السيمنار والمحاضرة التي ستعقبه سوى ساعة أو أقل منها، فدخلت الغرفة وأقفلت الباب عليَّ، وأنجزت عدداً من المطالب بما في ذلك فاكس توضيحي للدكتور عبد القدوس استكملت فيه ثغرات المكالمة... أحسست بارتياح وأنا أجده يمضي في الجهاز إلى هدفه...

كانت هناك مطالب ملحّة كثيرة، لكن العوضي مدير المعهد كان يقطع عليَّ الخلوة بين لحظة وأخرى، مؤكداً ضرورة التحاقي بالسيمنار حول (المصطلح) بأسرع ما أقدر، وأنهم لن يبدؤوا قبل حضوري... فما كان مني إلّا أن أترك ركام الأوراق المبعثرة وأن ألتحق بهم، حيث بدأ السيمنار وألقى أحد المختصين بالعلوم الشرعية موجزاً لبحثه، أشاد عبره بتأثره بكتاباتي ورحب بي بحرارة... ثم ما لبث العوضي أن طلب مني البدء بالحوار...

كنت قد دوّنت بعض النقاط على عجل، حيث لم يكن الوقت الضيق قد أتاح لي قراءة نص البحث... ثم ما لبث الدور أن جاء على الآخرين لكي تتم المناقشة بعد ساعة واحدة... هرعت بعدها لانتهاز الدقائق الفاصلة عن محاضرتي في موضوع (العولمة وضرورة التأصيل الحضاري)...

دخلت القاعة فوجدتها غاصة بالحضور رجالاً ونساءً، فحمدت الله... وقدمني العوضي بسخاء... وبدأت محاضرتي بهدوء وإمساك محكم بخيوط الموضوع وتدفق في المفردات الكثيفة التي عالجتها المحاضرة... وتلقيت بعدها مداخلات مكثفة تمت مناقشتها بالسرعة التي يتطلبها الوقت الضيق...

وما لبثت أن نهضت قائماً لكي أتلقى سيلاً من التقويمات السخية،

ومصافحات الإخوة والأساتذة والمفكرين والباحثين... ولكي أتمكن من الاعتذار عن لقاء مع مجموعة من الشباب كنت قد وعدتهم قبل يومين... بالاشتراك معهم في مناقشة سبل العمل... من خلال ورقة عمل كانوا قد أعدّوها سلفاً...

كنت مرهقاً... وكان الطنطاوي يحفزني على الإسراع باللحاق به لقضاء الأمسية في بيته... ولكن حصاراً آخر كان عليَّ أن اخترقه... عدد من الحاضرين من بينهم زوجة القرضاوي الثانية التي تعدّ بحثاً للدكتوراه... كان عليَّ أن أفتح صدري للإجابة على أسئلتهم... واستطعت أخيراً الفكاك... لكن مكالمة هاتفية من لندن من دكتور أنس، أرغمتني على البقاء فترةً أخرى، دار عبرها حديث ذو شجون...

غادرت بعدها المعهد، مودِّعاً الدكتور أحمد الحسّو، ومنطلقاً بسيارة دكتور محمد زكي إلى بيت طنطاوي، وأنا أحسّ أنني قد ألقيت عن كاهلي عبئاً ثقيلاً... وكانت الأمسية هادئة طيبة حضرها زعاترة وأبي الحسن... وداعية شامي عرض عليَّ ترتيب موعد معه بدعوة خاصة للمناقشة في العديد من الموضوعات الفكرية والدعوية فوعدته خيراً...

ثم ما لبثت والدكتور زكي أن غادرنا المكان لكي يوصلني إلى الفندق... حيث فوجئت بأن طالب الماجستير وصديقه لم يغادرا الفندق بعد وأنهما سيمكثان حتى يوم غدٍ... واتصلا بي وأعربا عن رغبتهما في استكمال الأمسية في غرفتي، فرحبت بهما على مضض بسبب كثرة أعمالي وضرورة ترتيب الحقائب والأوراق استعداداً للسفر يوم غدٍ...

وسهرنا حتى ساعة متأخرة من الليل... وتبادلنا الأحاديث ثم ودعاني بحرارة... لكي ما ألبث أن أشمّر عن ساعد الجدّ لإنجاز وترتيب الحقائب والأوراق، وأجري مكالمة ناجحة مع الأمراني في المغرب لترتيب الموعد الجديد، حيث أحسست بارتياح عميق... وتمكنت بعد أكثر من ساعتين من إنجاز ترتيب كل شيء. واستلقيت على السرير منهكاً وسعيداً في الوقت نفسه،

فها هي ذي الحلقة قبل الأخيرة من رحلة المعاناة والكدح هذه... وبعدها سأتحرر... سأتحرر... سأتحرر!!

الجمعة ١٢/٥: استكملت لمّ المتاع، وتناولت فطوراً خفيفاً، ثم نزلت إلى الصالة، حيث ما لبث ماجد أن جاء بسيارة أجرة لكي تقلني إلى المعهد.

وضعت حقائبي في المعهد وتناولت قدحاً من الشاي ثم انطلقت إلى مركز المدينة لاستكمال المشتريات واستطعت أن أنجز المطلوب وأن أصلّي الجمعة، وأخرج بعدها لاستكمال ما تبقى، وتناول الغداء في مطعم القدس، والتوجه إلى المعهد لانتظار دكتور محمد زكي لكي يقلّني إلى كراج الجت...

وقلت في نفسي ها هي ذي ساعات السفر الطويل ستتيح لي لأوّل مرة منذ أكثر من شهر فرصة للاسترخاء... الاسترخاء!! وجاء دكتور محمد زكي، وأقلّني إلى الكراج... ووقفنا هناك نتحدث، وزادني ارتياحاً أن أرتب معه أمر الأمانات التي حملتها معي من ماليزيا... ثم ودّعني، لكي أستقل الباص، فينطلق بي في رحلة العودة المنتظرة، عبر الطريق الطويل، الذي سيمكنني من استعادة الشريط المترع بالمعاناة، وتصفية حلقاته الكدرة الواحدة تلو الأخرى...

كانت حقاً رحلة طيبة... حيث وقفنا قليلاً في صفاوي لشراء العديد من المواد الغذائية المتبقية... وفي رويشد لتناول العشاء والصلاة... ثم ما لبث القلق أن تناوشني بخصوص إنزال الحقائب وتفتيشها، ولكنها لم تفتش في الأولى... ومرّت في الثانية بسهولة تامة... حيث رحت بعدها أتابع بقية الإجراءات وأنا أحسّ بارتياح عميق... ثم ما لبث الباص أن يمم صوب بغداد، لكي تأخذني بعد قليل سنة من النوم العميق، فلا أستيقظ إلا عند أطراف بغداد... وشيء من القلق يتناوشني خشية عدم السيطرة على الأكياس والحقائب التي بلغت حوالي العشرة... ولكني تمكنت منها أخيراً وبعد جهد جهيد وبمعاونة اثنين من الحمالين، اللذين نقلاها إلى سيارة كانت متهيئة للسفر إلى الموصل...

فاستأجرت الحوض الخلفي كلّه، وأطمأنيت لوضع المتاع في الصندوق، ثم ما لبثت السيارة أن انطلقت إلى الموصل في رحلة مريحة وسريعة... ودخلت البيت وسط الإحساس السعيد إياه لدى كل عودة، لكي تستقبلني زوجتي وأطمئن على أوضاع الأقرباء جميعاً... ثم أدخل ـ كالعادة ـ دوّامة القلق والتشتت... وأنا أعرض الهدايا والبضائع التي جلبتها معي... لكنها إذ كانت قليلة محدودة هذه المرة؛ فإن ردود الفعل المعهودة كانت ضيقة المساحة هي الأخرى...

وانطلقت عصراً إلى الكلية لألقي محاضرتي في السيرة على طلبة الدراسة المسائية بتمكن وانسيابية رغم إعيائي، ولكي أعود إلى البيت وأنا أحسّ أني أضع عصا التسيار في مكانها... بعد أسابيع تقلّبت فيها مائة مرة ومرة بين النعيم والجحيم...

[٢٨]

رحلة عام ١٩٩٩ م إلى الأردن

الأحد ٥/٢: في السيارة إلى بغداد ـ في الجت إلى عمان.

الاثنين: الاستقرار في الفندق ـ الفطور ـ انتظار مملّ دون أن يأتي أحد ممن طلب تحديد موعد ـ غداء مزعج ـ عدد من الاتصالات الهاتفية ـ دكتور صهيب يشير إلى إمكان تسجيل حلقات في سجى ـ إحساس بالتوتر خشية ضياع الفرصة ـ ارتياح للتمكن من الاتصال بعماد الخطيب وعرضه إمكانات التسجيل ـ اتفاق على زيارة للمشاهدة عصراً ـ انفجار الندم وتزايد التوتر إياه بعد دقائق بسبب الأشخاص الذين سأشاركهم الحوار وميل إلى الاعتذار ـ حضور حلقة بائسة عن القضية الفلسطينية وارتياح للاعتذار بعد قلق وتوتر ـ أمسية طيبة مع الأمراني في الفندق...

الثلاثاء: الذهاب إلى الجامعة ـ ترحيب حار وتقويمات سخية ـ زيارة رئيس الجامعة ـ جلسة الافتتاح ـ إدارة الجلسة الأولى ـ إلقاء موجز لبحثي يتجاوز ـ بفضل الله ـ ما أملته من نجاح ـ ردود أفعال طيبة وتقويمات سخية

ـ تناول الطعام في الكلية ـ العميد يفاتحني برغبة رئيس الجامعة بإعارة خدماتي لسنة كاملة فأقترح التمهل ـ مدير الخدمات يعاونني في مسألة إيجاد طبيب جيد للأسنان والاتفاق معه على موعد ـ عودة إلى القاعة لمتابعة الجلسة الثانية ـ استراحة لشرب الشاي ثم عودة للأمسية الشعرية ـ نجاح وردود أفعال فوق ما كنت آمله بخصوص القصيدتين اللتين ألقيتهما ـ عودة مع زيد أبي الحاج وحوار حول مطبات سجى وسلامة موقفي بعدم التسجيل ـ أمسية وعشاء طيب وحوار خصب في دار طارق التل... جلسة وأحاديث ذوات شجون في صالة الفندق بعد العشاء مع الأمراني حتى ساعة متأخرة.

الأربعاء: الذهاب إلى الجامعة ـ الجلسة الصباحية الأولى ـ الدكتور الجبوري يهاجم الحداثة وينقد أطروحاتي، فأردّ عليه، ثم ينتهي الأمر بوفاق طيب وتبادل لمشاعر المحبة ـ فترة للشاي والصلاة... تقويمات سخية...

العودة لجلسة أخرى ومداخلات عديدة للمشاركين تنطوي على تقويمات سخية... الغداء وتلقي المكافأة من العميد ـ الجلسة الأخيرة وقراءة التوصيات وترتيب موعد مع الطلبة لمحاضرة أكاديمية يوم السبت القادم ـ توديع عدد من المؤتمرين ونقل أحد الأساتذة من غزة مشاعر المحبة والتقييم لعموم المثقفين هناك، فأحمد الله... الأمر نفسه مع أستاذ جزائري فالحمد لله وحده... أمسية طيبة وحوار بين الجد والهزل في بيت دكتور عدنان الدليمي... العودة إلى الفندق...

الخميس: رحلة طيبة وصعبة إلى شمالي الأردن بسبب الحرّ. وأحاديث وحوارات ومفارقات شتى عبر الطريق... ثلة من الطلبة الأتراك يلتقونني عرضاً فيعربون عن اعتزازهم والمثقفين الأتراك فالحمد لله... صور مشتركة... وجولة طويلة وغداء يتأخر عن موعده لكنه لذيذ طيب... والطنطاوي يعرض فكرة إصدار أعمالي الكاملة في دار القلم، وأنه عرض الفكرة على صاحبها فوعده بدراستها... الدكتور المناصرة يزورني في الفندق ويهديني كتابه، ويثني على محاضرتي والدكتور الأمراني، وندخل في حوار خصب مع دكتور عودة أبو عودة

حول التفسير الدلالي، ومحاولة شحرور السيئة، وحلقات الحوار في سياق الرأي والرأي الآخر، وتضاؤل المحاور المسلم أمام خصمه... وضرورة أن يكون للمثقف مرجعية... والدكتور عوض يعرض عليَّ صياغة المقترح، وأنه سينقلها إلى بلده فأعده، لكنني أتردد بيني وبين نفسي، ثم ما ألبث أن أصرف النظر عن الموضوع خشية تجاهله هناك... وثمة تقييم من الأصبحي الوزير اليمني السابق حول توجُّهي الموسوعي... أمسية طيبة مع الأمراني في صالة الفندق قبل الصعود للنوم.

الجمعة: الاستيقاظ على جملة من الأمور المعلّقة والمقلقة بما في ذلك مسألة الانتقال من الفندق، والاعتذار عن دعوة غداء عند دكتور عودة أبو عودة... جلسة طيبة مع دكتور فاروق عمر، مجيء دكتور محمد زكي، والتوجه لأداء صلاة الجمعة، ومنها في رحلة طيبة وسط مناخ رائع إلى أحراش زي في محافظة السلط، ومنها إلى جرش لزيارة الدكتور الحمداني والعودة من ثم إلى عمان، حيث يعرض دكتور محمد زكي فكرة عرض مؤلفاتي على شبكة الانترنيت لقاء مبلغ من المال... أتردد قليلاً ثم أميل إلى الموافقة على أن يكون ذلك بعد عودتي إلى العراق والتفرغ لدراسة العرض... بعد قليل يتصل بي زكي لكي يبلغني أنه تمكن من الاتصال بمركز البحوث في ماليزيا حول طبيعة الخلل في الأقراص فأحسّ بارتياح كبير...

ساعة من الانتظار في صالة الفندق لصحفي من جريدة السبيل، ثم يتبين أنه يجلس والأمراني وآخرين في الصالة العليا، حيث يدور حوار حول هموم الأدب الإسلامي يسجل على الكاسيت لكي ينشر في (السبيل)... عشاء مع الأمراني في مطعم الفندق ثم أمسية طيبة وأحاديث ذوات شجون حتى ساعة متأخرة من الليل...

السبت: إجراء جملة من المكالمات الهاتفية، والعوض يخبرني أن الأقراص الخاصة بكتابي (مدخل إلى التاريخ) تعاني من تلف في بعض أقسامها ويعدني أنه سيسعى لتلافي النقص... التوجه إلى جامعة الزرقاء وإلقاء محاضرة

مشتركة مع دكتور الأمراني حول قيمة الخطاب الأدبي ومشاكله، يحضرها رئيس الجامعة وكبار الإداريين وعدد من الأساتذة والطلبة، ويدور بعدها حوار خصب حول الموضوع، أحسّ عبره بالتحقق وبأنني أديت المهمة على أفضل وجه بفضل الله، حيث أتلقى التقويمات الخصبة فضلاً عن التفاف العديد من الطلبة والطالبات يطلبون رأياً أو استشارة ما، أو مداخلة بخصوص خطة بحث أو محاضرة لندوة أو مؤتمر...

تناول الغداء مع عدد من الأساتذة ورئيس الجامعة... وطلب من رئيس الجامعة بإلقاء محاضرة أخرى يحدد لها يوم الاثنين حول (الكتابين المقروء والمنظور)... ومعنى ذلك تمديد بقائي في الفندق إلى يوم الاثنين فالحمد لله... التوجه إلى الفندق وقيلولة سريعة ومنها إلى الصالة بانتظار الدكتور شريدة مدير الخدمات، لكي يقلني إلى مجمع طب الأسنان، حيث يعلمني الطبيب بعد الكشف والتخدير والإيغال في حفر الأضراس ألّا ضرورة لسحب العصب، فأحمد الله وأحسّ بفرح طاغٍ. وأقارن بين هذه العيادة بأجهزتها ونظافتها وتمرس أطبائها وأسلوبهم في التعامل؛ مع ما هو موجود في العراق، فأجدني قبالة فارق يصعب وصفه... ويرحب بي الأطباء ويعربون عن سعادتهم باللقاء وأنهم يعرفونني من خلال أعمالي فحمداً لله...

أتوجه إلى الفندق بعد الاتفاق على موعد عصر يوم غدٍ للحشوة النهائية، ثم ما يلبث دكتور محمد زكي أن يصلنا بعد أداء صلاة العشاء في جامع الملك عبد الله إلى دار الطنطاوي وسط أحاديث دكتور عدنان الدليمي الممتعة... عشاء طيب وحوار خصب ولقاء بثلاثة ممن كنت أتمنى اللقاء بهم، حيث تلقيت الأجوبة على العديد من المعلقات، وحيث تم تحديد المواعيد بخصوص الأمسيات واللقاءات الحوارية القادمة، وحيث تلقيت من محمد جمال عمرو صورة دقيقة عن الوضع في دار البشير، جعلتني أتجاوز الحيرة والتردد بصدد اللقاء بها لغرض حسم العديد من المعلقات... والدكتور عبد القدوس يتصل بي هاتفياً عبر مكالمة طويلة تدور فيها أحاديث شتى عن المؤتمرات

والبحوث والمجلة والإصدارات، ويعرض عليَّ ضرورة حضور ندوتَي القاهرة، فأعلمه بصعوبة ذلك واعتذاري. فيطلب إرسال بحوث على الأقل لأن الأخت المسؤولة عن ندوة الأديبة المسلمة تعتبر ذلك نصراً كبيراً فالحمد لله...

وأعرض عليه فكرتي في تقديم إجازة مرضية بدون راتب من أجل التمكن من حضور الندوات مستقبلاً فيرحب بذلك. ثم ما نلبث أن نعود بمعية الحسناوي (ﷺ)، حيث أواصل العمل إلى ساعة متأخرة من الليل، وحيث أبلغ حافة الإعياء فيما ذكّرني بالعديد من رحلاتي السابقة...

الأحد: صراخ الأطفال وصخب وفد هندي وصرخات الهاتف توقظني مبكراً... حالة من القلق والاكتئاب التي أعرفها جيداً في رحلاتي تحاصرني بسبب كثرة المطالب التي تنتظر حلّاً: زيارة لمجلة (الأمة)، وتصفية بعض المعلّقات، وحوار خصب... أبو الحسن يقلني والأمراني من هناك إلى دار البشير، فنلتقي بمحمد جمال عمرو قبل أن يهم بالخروج. ثم نزور رضوان دعبول حيث يستقبلنا بحفاوة وتكون جلسة ودّية مترعة بالألفة والاستجابة للعديد من المطالب، الأمر الذي يغسل ما تبقى من التراكمات القديمة... نتحول إلى جمال عمرو ونصفي معلقات أخرى كانت تضغط على جملتي العصبية فأحمد الله...

أغادر المكان إلى دار الفرقان، وأحسّ بفرح غامر إذ يعرب مديرها عن ترحيبه بطبع كتابين لي قررت سحبهما من دار الضياء بعد انتظار سنتين... هذا إلى قوله بأنه سيقدم لي مبلغاً من المال في سياق حقوقي لديهم، وأهرع إلى دار الضياء وأحسّ بسعادة بالغة وأنا أتسلم أصول الكتابين وأوقع عقداً على نشر ثالثهما... وأعود سعيداً إلى دار الفرقان، حيث دعيت والأمراني على الغداء، فنتناول وجبة لذيذة من (العرايس)، ثم نغادر المكان إلى المعهد، حيث يتم تصفية معلقات أخرى: توزيع الرسائل، واللقاء بأم مروان وأولادها وترتيب موعد لتناول الغداء... ترتيب صيغة لحلّ معضلة الدسكات الخاصة بكتابَي الدليل والمدخل، عدة اتصالات هاتفية..

ويعرض عليَّ مدير المكتب دعوة وجهت لي من المعهد العالمي لزيارة المغرب وإلقاء عدة محاضرات عن إسلامية المعرفة، فأعتذر وأنا أتذكر المعاناة القاسية لدى تلبية كل دعوة... يقلنا العوضي عائدين، وأدخل عيادة طب الأسنان، لكي ما يلبث الطبيب أن يحشو الضرسين وأغادر المكان سعيداً، لكني ما ألبث أن اكتشف آلاماً في أحد الأضراس لدى كل احتكاك فأعود إلى دائرة الانقباض، وأتجه مشياً إلى الفندق حيث يجيء دكتور عبد الله الخباص وعدد من الأساتذة لكي نتوجه إلى مطعم المضيف، ونتناول عشاء شهياً من المقبلات والمشاوي وسط النكات المتلاحقة من الخباص والتقويمات السخية من الحاضرين، ويودع بعضنا بعضاً بحرارة... ويشير غرايبة إلى أن هناك محاولة لرفع مكافآتي في الشرق القطرية، وعرض فكرة تحويل حسابي إلى مصرف أكثر سهولة... نصل الفندق مرهقين...

وأودع عدداً من الإخوة المغادرين بحرارة، ثم أصعد إلى الغرفة مرهقاً كئيباً بسبب كثرة ما ينتظرني من أعمال رغم حاجتي إلى النوم... النوم العميق...

الاثنين: اتصالات هاتفية... وقراءة في الخطوط العريضة لمحاضرة اليوم عن (الكتابين المقروء والمسطور)... وإكمال الخطوط العريضة لمحاضرة المعهد حول (مرجعية ثقافية لعالم الإسلام)... تناول الفطور مع الأمراني ودكتور عوض وأحاديث ممتعة من تاريخ السودان والمغرب عبر ربع القرن الأخير... التوجه إلى جامعة الزرقاء وجلسة ودية لدى مدير الاستعلامات...

التوجه إلى القاعة وإلقاء محاضرة مكثفة وموفقة بحمد الله حضرها عدد كبير من الطلبة والأساتذة فضلاً عن رئيس الجامعة وكبار الإداريين... أعقبها حوار خصب وتهنئة من العديد من الحضور... ثم جلسة ودية مع رئيس الجامعة ونائبه، فنتوجه لتناول الغداء، ومنه إلى الزرقاء لشراء إحدى الأدوات الاحتياطية للسيارة... وفي الفندق ارتميت على السرير، حيث لم يتبق سوى

نصف ساعة فقط لموعدنا مع دكتور مأمون جرار... واستطعت الحصول على سنة من النوم قطعها الهاتف وصوت أحد الصحفيين يطلب موعداً لمقابلتي...

التوجه مع مأمون إلى مكتب الرابطة الأدبية، حيث شاركت والأمراني في كلمتين وحوار خصب حول الأدب الإسلامي، كانت تقلقني عبره هواجس مع متاعب الضرس المحشو وضرورة إدراك الطبيب قبل مغادرته لعرض الحالة عليه، وإلّا اقتضاني ذلك البقاء ليوم آخر وربما لأيام لو ثبت أن الضرس يحتاج إلى قتل العصب...

قمنا إلى الصلاة وتناول (الكنافة) وكان يزيدني هماً مطلب رعد الحيالي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) بخصوص دعوته إلى الأردن بواسطة جهتين ممن لا يعرف الله ورسوله، وتمكنت من تغيير إحدى الجهتين بواسطة الساريسي وإيجاد بديل أكثر اعتدالاً... وكنت قد تجاوزت ظهر اليوم مهمة لا تقل سوءاً وهي حمل رسالة إلى رئيس جامعة الموصل بخصوص إعارة الخدمات، حيث لن يفيد من الفرصة سوى ذوي الامتيازات اللاعلمية، فاعتذرت لمدير العلاقات عن المهمة فقبل عذري...

كان العديد من السائلين يحيطون بي كل يطلب مني شيئاً، وأنا أحسّ بتوفّز عصبي خشية أن يفوتني موعد الطبيب، واستنصرت أحد الإخوة فأقلني بسيارته إلى المجمع الخاص بطب الأسنان، حيث أدركت الطبيب وهو يهم بالمغادرة فحمدت الله. وما لبث أن أعلمني بأن حساسية الضرس أمرٌ طبيعي وأنها ستزول خلال أسبوعين، كما قام بجلخ الحشوة وتسويتها...

ثم غادرت المكان وأنا أكاد أطير من الفرح والارتياح... وفي بيت الحسناوي تناولنا عشاء طيباً ودارت أحاديث ممتعة، ثم ما لبثنا أن تحولنا إلى أمسية في بيت جاره دارت فيها أحاديث شتى وتلقيت تقويمات من معظم الموجودين... ثم ما لبثنا أن ودّع بعضنا بعضاً. وعدت والأمراني إلى الفندق على قدر من الاكتئاب والقلق، فإن عليَّ أن أعمل حتى ساعة متأخرة من الليل لإنجاز المهام التي تتطلب تصفيتها...

الثلاثاء: يوم النعيم والجحيم هو هذا اليوم... قفزات عديدة إلى فوق، وارتكاسات قاسية إلى أسفل وضعتني في دائرة الدمار النفسي والاكتئاب. بعد الاستيقاظ رتبت المواعيد بشكل محكم، وأنجزت العديد من الأعمال في غرفة الفندق، واتصلت هاتفياً بالعوضي، كما اتصل بي أبو الحسن وأعلمني بقبول كتابي (قضايا ساخنة) للنشر ضمن إصدارات فلسطين المسلمة، وقال إنه سيمر عليَّ غداً صباحاً لأخذي إلى (الأمة) للتداول في بعض الأمور...

أحسست بفرح غامر وانطلقت إلى المعهد لكي أفاجأ بتهيئة كشف حسابي لعام (١٩٩٧م)، وأتمكن من الاتصال الهاتفي بالشرق القطرية في الدوحة لترتيب أمر إرسال المكافآت، وحيث أعلمني مسؤول الحسابات بأنهم أرسلوا عبر وجباتهم الأخيرة مبلغ (١٥٠٠) دولار، فالحمد لله...

كما تمكنت من الاطلاع على النسخة المسحوبة من (دليل الأحاديث) فلم أجد فيها أثراً لخطأ فني أو مطبعي فالحمد لله... استطعت أيضاً أن أشتري معظم الأدوية والمطالب البيتية ثم أهرع إلى دار الفرقان لتسلّم مبلغ ثلاثمائة دينار أردني كجزء من حقوقي عن كتبي الثلاثة لديهم... توجهت بعدها إلى دار البشير لتسلم حقوق حكمت، فلم أجد جمال عمرو هناك... قفلت عائداً إلى المعهد وتناولت غدائي في بيت صفوان، ثم عدت إلى المعهد لألتقي عدداً من الأساتذة والمدعوين إلى محاضرتي. وجرى حوار طيب مع معاون مدير سجى للإنتاج الفني ونقلت إليه مرئياتي ونقدي بشكل صريح فقبلها بامتنان...

دخلنا القاعة التي حضرها حشد طيب من الحضور أساتذة وشباباً ونساءً بما فيهم رئيس جامعة الزرقاء وعربيات رئيس مجلس النواب الأردني... قدمني الدكتور محمد صقر بسخاء، وألقيت محاضرتي عن (مرجعية لمثقفي عالم الإسلام)... وكنت مرتاحاً تماماً بأسلوبي في الطرح ومقتنعاً بما قدمته... ثم جرى حوار خصب من عدد من الحضور...

وما لبث العدّ التنازلي القاسي أن بدأ الدور، أحد المتشدّدين يثير

إشكاليات حادة عبر المناقشة كادت أن تسمّم الجو، لولا أن حُسمت برفع الأذان والإعلان عن انتهاء المحاضرة...

غادرنا المكان وتحلّق حولي عدد من الحضور بما فيهم مجموعة من الطلبة البلغار والرومانيين والمقدونيين المسلمين يطلبون بعض مسرحياتي ويقيّمون دوري... والمتشدد إياه يعود فيودعني بحرارة ويطبع قبلتين على خدي ويعرب عن محبته العميقة لي... أهرع إلى إحدى الصيدليات بمعية الطنطاوي لاستكمال شراء الأدوية، وأعود إلى المعهد لالتقاط بعض الصور، ولكي يعلمني ماجد بأنه أرسل نسخة من دسكات دليل الأحاديث إلى ماليزيا... يا للكارثة!! قلت في نفسي... فهذه ضربة موجعة أخرى... إنها ستحدث إرباكاً هناك وتداخلاً مع كتابي المنهجي لجامعة ماليزيا... وتعال يا عماد وابذل جهداً إضافياً لتصفية الموضوع... أما دسكات الكتاب المنهجي فقد تسلمها دكتور محمد زكي ووعد بفحصها وإعطاء النتيجة يوم غدٍ...

اتجهنا بسيارة الطنطاوي إلى بيت قفة لقضاء الأمسية وتناول العشاء هناك... وزادني ضغطاً نفسياً أن عليَّ أن أتخذ قراري بصدد السفر هذه الليلة لتصفية حساباتي مع الفندق... وأن عليَّ أن أتابع جملة عديدة من الأعمال المعلقة، التي تقتضي وقتاً قد لا يسمح لي بالسفر... هذا إلى أن عليَّ أن أسهر حتى ساعة متأخرة لإنجاز العديد من المعلقات ليوم غدٍ، فضلاً عن ضرورة ترتيب الحقائب استعداداً للسفر... يا الله!.. ما أشد تعاسة الإنسان وآلامه التي لا يعرف كيف تحيق به!.. وزادني تعاسة تلك الآلام الخفية التي انبجست على حين غفلة قريباً من ضرسي الذي حُشي قبل أيام...

ودّعت الطنطاوي والأمراني عبر لحظات مترعة بالتعاسة هي الأخرى... وترددت طويلاً قبل أن أصعد إلى غرفتي بصدد حسم الموقف إزاء الفندق... ولكني ما لبثت أن اخترت الاتصال بالسنترال وإعلامهم أنني سأغادر صباح غدٍ... حيث سيوصلني أبو الحسن بالحقائب إلى المعهد...

الأربعاء: استيقاظ لا أحسد عليه، فها أنا ذا قبالة مغادرة الفندق وترتيب

الحقائب والتوجه إلى مكتب الأمة، ومن هناك إلى المعهد لوضع الحقائب، ومتابعة مكوكية إلى حدّ التوتر لإنجاز جملة مشاغل: إشكالية الدسكات في الجامعة العالمية... متابعات حسابات البنك الإسلامي وإمكان إعادتها إلى الجاري... كتابة عدة فاكسات إلى قطر وماليزيا... شراء الحاجيات المتبقية التي تقتضي التوجه إلى قلب المدينة... الحصول على مكافآت حكمت صالح... التوجه إلى المنشأة... الخ...

انتظرت طويلاً الأخ أبو الحسن ليقلني إلى (الأمة) لمتابعة مطالب كتابي (قضايا ساخنة) ومسائل أخرى... وانتابني القلق حيث الحقائب مرمية قبالتي... ولجأت إلى الهاتف أكثر من مرة، ثم ما لبث أن جاء بمعية أحد محرري (فلسطين المسلمة). أعلن الأخير عن قبول كتابي للنشر وطلب التواصل مع فلسطين المسلمة وقال إنهم سيدفعون لي خمسمائة دولار، فاعتذرت عن قبولها قبل تسويق الكتاب... كما طلب المساهمة في طرح مرئيات أو حتى إنجاز مؤلف عن القضية الفلسطينية... أوصلاني إلى المعهد لكي ما ألبث قبل أن ألتقط أنفاسي أن أتلقى مكالمة هاتفية من الدكتور السرطاوي عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية يدعوني فيها للمشاركة في حلقة في برنامج (اقرأ) التلفازي الفضائي يوم الأحد القادم...

أتردد قليلاً وأنا أعاني (النار) ثم أميل إلى الاعتذار... وأقفل الهاتف لكي ما يلبث الندم أن ينفجر، فأهرع للاتصال به وأعلمه بأني على استعداد شرط أن أتمكن من مكالمة زوجتي لطمأنتها على تأخيري... وبعد جهد فتح الله ﷻ عليَّ، وأبدت قبل أن أعلمها بشيء رغبتها الحارة بمواصلة بقائي لأيام أخرى، فأحسست بارتياح عميق وتم الاتصال بالسرطاوي ورتبت بعض المسائل الأولية...

بعد الصلاة اتجهت وماجد إلى البنك الإسلامي، ولحسن الحظ تم الحصول على الأجوبة الخاصة بالعديد من المسائل المعلّقة، وعدنا إلى المعهد وأنا أحسّ بارتياح ورضا عميقين، وتناولت غدائي في بيت والدة صفوان عبر

جلسة طيبة عدت بعدها إلى المعهد لكي أصفي عبر ثلاث ساعات أو أربع العديد من المعلّقات، وأكتب ثلاثة فاكسات يتم إرسالها بنجاح والحمد لله... فأزداد استقراراً وأتجه إلى الجامع لأداء صلاة المغرب، وليس ثمة ما يعكرني وأنا أقارن بين وضعي الآن ووضعي قبل أربع وعشرين ساعة فقط... وصدق الله العظيم القائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]...

ثمة ما يقلقني أنا الذي يبدو ألّا مهرب له من انبجاس القلق المحتوم كالينابيع: موضوع اللقاء التلفازي القادم الذي ينطوي على معالجة مفردة (الاستقرار السياسي ودوره في الفاعلية الحضارية)... إذ قد يعني هذا نوعاً من التبرير أرفضه رفضاً قاطعاً... ولكنني ما ألبث أن أحسم الحيرة والقلق باتخاذ قرار بإقناع السرطاوي بتغيير الموضوع وإلّا فإنه الاعتذار بحجة أو أخرى...

بعد الصلاة عدت إلى المعهد لكي أتم بعض الأعمال وأدّون هذه الصفحات وأحاور العوضي في بعض المسائل... وأتلقى مكالمة من دكتور محمد زكي نتفق عبرها على رحلة أخرى يوم الجمعة... وأتحدث في الهاتف إلى الدكتور الملكاوي وأتلقى دعوة من العوضي على الغداء في مطعم القدس... ثم ألتهم (الأنكي دنيا) وأقفل عائداً إلى جهة (بارك الجديد) لكي أبيت فيه ليلة واحدة، بعدها قد أتحول وفق الخطة مع برنامج (اقرأ) إلى فندق مرمرة...

ارتحت للفندق قياساً على فنادق الدرجة الأولى، وانتابتني موجة من الشجن المترع بالاعتزاز وأنا أتذكر كيف أنني وزوجتي قضيت فيه عدة أيام قاسية عام (١٩٧٨م).

غادرت الفندق لكي أتخطى وسط عمان... المنطقة التي أحبها وأرتاح إليها... وانتهى بي المطاف إلى مطعم هاشم لتناول عشاء من الفول يمكن أن يكون أطيب عشاء عبر رحلتي هذه!! استرخيت بعدها قريباً من الرصيف في واحدة من أمتع الجلسات وقلت في نفسي: ماذا لو لم يعكرها أمران: دعوة برنامج اقرأ الذي أرغمني على البقاء لعدة أيام أخرى، فضلاً عن دوّامة القلق بخصوص موضوع الحلقة في الجانب المتعلق بالاستقرار السياسي، إذ قررت أن

أطلب تغييره أو أعتذر أساساً عن المشاركة بسبب ما ينطوي عليه من تبرير للسلطات الحاكمة... وقلت: لولا هاتين لكان يوم غد هو يوم العودة إلى الأهل والديار، بعد رحلة أنجزت فيها الكثير وصفيت العديد من المعلقات... ولكن لا بأس فلكل شيء نهاية... تحولت إلى مطعم آخر لتناول الكنافة اللذيذة ثم قفلت عائداً إلى الفندق لأقضي بقية الأمسية في صالته البديعة قبالة قناة الجزيرة الفضائية، لكن النوم راح يداعبني باستمرار فصعدت إلى غرفتي لكي أحظى بأعمق نومة عبر رحلتي هذه...

الخميس: استيقظت على النوبة القاسية إياها من القلق والاكتئاب هذه التي ذقت مراراتها عبر معظم رحلاتي... وقلت في نفسي: سأرجع إلى بلدي بإذن الله، وهناك عبر طلعات الفجر سأستعيد فرحي الضائع بإذن الله... كان عليَّ أن أحسم اليوم مسألة تغيير موضوع اللقاء التلفازي مع الدكتور السرطاوي، ولم يكن الأمر مضموناً، وكان عليَّ أن أشتري العديد من الطلبات المؤجلة... وبعد تناول فطور بائس في الغرفة غادرت الفندق حيث تيسرت مسألة شراء الحاجيات دون عناء... وجلست قليلاً في المكتب الإسلامي للاستفسار من ممثله في عمان عن جملة من القضايا، وازددت ارتياحاً وأنا أتسلّم النسخة الخاصة بكتابي (حاضر العالم الإسلامي) التي خشيتُ أن يتولى المكتب إصدارها بالخطأ بعد إذ تم الاتفاق بصدد الكتاب مع دار النفائس.

توجهت إلى المعهد لأحضر جانباً من محاضرة بائسة أعقبها حوار بالإنكليزية كشف عن حقد المفكر الغربي ضد كل ما هو عربي أو إسلامي... ودعاني دكتور محمد زكي إلى ترك القاعة ردّاً على أطروحات المحاضر الإنكليزي... بعد قليل جاء السرطاوي وفق الموعد المتفق عليه وأبديت له رأيي وألححت على موقفي وإلا فإني أعتذر عن اللقاء... فاستجاب الرجل لطلبي بتحويل الحوار صوب الفقه الحضاري، حيث أعطيته جملة من رؤوس الموضوعات لإدارة الحوار. وانقض عليَّ على حين غفلة وكالعادة أستاذ من جامعة مؤتة مختص بالعلوم السياسية دون سابق موعد معه، وجلست أستمع

إلى كلامه المتواصل على مضض وسائق المحطة التلفازية ينتظرني لكي يقلّني إلى فندق مرمرة. وما لبثت أن غادرت المكان مع بعض حقائبي صوب الفندق.

ما أن وصلت وحططت فيه الرحال حتى أحسست أنني أصبحت منفياً عن عمان وعن أصدقائي، وأنني في البيئة إياها التي يحس المرء بالعداء تجاه نبضها الغربي الذي يعرفه جيداً روّاد الفنادق من الدرجة الأولى... وزادني قرفاً أن أجد الثلاجة الصغيرة ملأى بالمشروبات الروحية... وما لبث ندم عاتٍ أن انقض عليَّ لكي يضعني في دوّامته لعدة دقائق... وقلت في نفسي كان عليَّ أن أعتذر... وتناوشتني الوساوس بخصوص ارتباط الحلقة بجهة ما من أحد البلدان العربية، رغم أنني تأكدت تماماً ألّا علاقة، وإلّا لم أوافق ابتداء... كما انتابني الوهم بخصوص احتمالات التوظيف، ولكنني تذكرت أن مدير البرنامج وشريكي في الحوار الدكتور أحمد نوفل هما من أشد الدعاة نقاءً وإخلاصاً، كما أن صاحب البرنامج من أولئك الخليجيين الذين نذروا أموالهم للعمل الدعوي كالراجحي...

نزلت إلى المطعم لأتناول وجبة بائسة من السمك كادت تصيبني بالغثيان، من ذلك النوع الذي عذبني في فنادق الدرجة الأولى وفي باريس، حيث اللحوم المعتقة التي اختنقت في شرايينها الطعوم المقززة، وحيث الإضافات المقرفة من الكريمة ونكهات لا أدري كيف يستسيغونها!

وعدت إلى الغرفة لكي ما ألبث أن أستعيد توازني وشيئاً من انسجامي خاصةً بعد أن أخذت حماماً طيباً منحني الرضا والاستقرار... وقلت في نفسي كفى حرباً مع نفسك يا عماد فلقد تعبت... تعبت كثيراً وآن لك أن ترتاح.

وقلت أيضاً أن عليَّ أن أحيل هذه الأيام المتبقية من الرحلة إلى فرصة طيبة للتحقق والاستجمام... وزادني ارتياحاً ترتيب موعد مع أخي الغالي الدكتور محمد زكي للقيام برحلة مع الدكتور أحمد الحسو يوم غدٍ إلى منطقة التلال السبعة... وأخذت إغفاءة سريعة ولكنها عميقة استيقظت بعدها لكي أتناول قريباً من النافذة ثلاثة أكواب من الشاي (عدّلت) دماغي كما يقول

المصريون... ولبست بدلتي ثم غادرت الفندق لكي أتخطى في الشوارع المحيطة بالفندق، والتي تطل عليها عمارات وقصور يعجز الوصف عنها...

وزادني سعادةً أن أحظى بجامع هناك افتُتح حديثاً لكي أصلي فيه المغرب والعشاء وأقفل عائداً إلى الفندق... لكي ما تلبث حلقة إزعاج جديدة أن تنكّد عليَّ: آلام في الضرس الأيسر الذي حشوته قبل أيام تروح وتجيء كنوبات المغص وأصابني الاكتئاب ولكني قلت في نفسي لعلها بسبب تخدّش في اللثة القريبة فلأصبر عليها.

جلست قليلاً في صالة الفندق الكئيبة، التي لا تكاد تجد فيها أحداً، وقارنتها بصالات الفنادق الأخرى المترعة حيوية وحركة، فأحسست بالانقباض ورحت أعد الأيام التي تفصلني عن العودة وأنا أقول مرةً أخرى: لا بدّ لكل شيء من نهاية... ولكن لماذا يختارون فنادق نكدة كهذه، غالية الثمن، رغم أن هناك فنادق أفضل بكثير وأرخص بكثير... الويل للمظهرية!!

صعدت إلى الغرفة لكي أدون هذه المذكرات ولكي أجوع قليلاً فأنزل إلى المطعم الغربي البائس لتناول عشائي... وشتان بينه وبين طعام بلدي في الموصل أو حتى المطاعم الشعبية والمتوسطة في عمان نفسها!!

وثمة منغّص آخر: التلفزيون الذي ينفتح على كل القنوات والذي يتطلب مقاومة ضارية لعدم الاستجابة لندائه اللعين... ورحت أردد مع نفسي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢] لكي أقاوم الإغراء وسأقاوم بإذن الله...

نزلت لتناول العشاء... طلبت شوربة عدس وبيض مقلي تجاوزاً لقرف اللحم... وكنت موفقاً، ثم استرخيت في الصالة لأكثر من ساعة أتذكر جلساتنا الطيبة في الموصل، حيث الإحساس بالقرب والأمن والاندماج وأقول في نفسي، بعد اليوم لن أوافق على أية إعارة طويلة المدى حتى ولو صُفَّتْ نقود الدنيا أمامي...

الجمعة: استيقظت ـ على غير المعتاد ـ على قدر كبير من الانبساط

والفرح ربما بسبب النزهة التي يشاركنا فيها الدكتور أحمد الحسّو، وربما بسبب عدم وجود مطالب معلّقة تنتظر الإنجاز... وزادني ارتياحاً الاتصال الهاتفي مع العوضي وترتيب موعد معه يجيء فيه لكي يقلني إلى المستشفى الإسلامي لإجراء بعض الفحوص والاستفسار عن بعض المسائل بمعاونة أخيه الذي يعمل هناك... هذا إلى أنني تمكنت عبر الفسحة الزمنية قبيل نزولي إلى الصالة من إنجاز اثنتين من المهام، التي كلفني بها مكتب الأردن بخصوص تقديم مرئياتي حول ندوتين قادمتين...

نزلت إلى الصالة بانتظار دكتور محمد زكي وأنا أحسّ بارتياح وسعادة، ولكن الوقت ما لبث أن تجاوز الموعد... وطال الانتظار وازداد القلق، وهرعت إلى الشارع علّي أعثر له على أثر، ثم رجعت إلى الفندق وبدأ القلق يتناوشني لاحتمال وقوع حادث ما لا قدّر الله... وقلت في نفسي: إن كل أيامي عبر رحلتي هذه تلقت دفقات من الكدر ولم ينج منها سوى يوم واحد... ودعوت الله ﷻ... وبعد لحظات جاء زكي وأولاده فقلت الحمد لله... وتوجهنا لأداء صلاة الجمعة في مسجد قريب، ثم انطلقنا إلى منطقة رغدان التي تخرج إليها العوائل في نزهاتها الأسبوعية. وهناك لحقنا دكتور أحمد الحسّو وقضينا وقتاً ممتعاً وتناولنا مشويات لذيذة بشهية كبيرة، ودارت أحاديث عن الموصل والماضي والمستقبل وكانت بحق واحدة من أجمل حلقات رحلتي هذه...

وعرضاً التقينا بالأمراني والطنطاوي وتم تبادل الأحاديث والنكات، ثم ما لبثنا أن قفلنا عائدين، وأقنعني دكتور محمد زكي أن أصطحبه إلى البيت للتداول في أمر ترتيب الخطوط العريضة لتنزيل أعمالي الفكرية وسيرتي على صفحات الإنترنيت... وجرّتنا الأحاديث إلى أمور شتى، وأدينا صلاة العشاء في جامع رائع افتتح حديثاً قريباً من الجامعة، والتقينا بعدد من الأساتذة أبدوا ترحيبهم، وعرض أحدهم علينا الذهاب معه لأمسية مع حشد من الأساتذة فاعتذرت... وفي بيت دكتور محمد زكي تم ترتيب الخطوط العريضة بعد مشاهدة عروض مدهشة على الإنترنيت...

كان القلق يتناوشني كالعادة، وكنت أريد العودة مبكراً إلى الفندق لإنجاز بعض الأعمال المعلقة، ولعلّي أحظى بجلسة الاسترخاء المريحة في الصالة كعادتي، ولكني وصلت متأخراً بعض الشيء والكآبة تضيق عليَّ الخناق كالعادة... ترددت في الجلوس في الصالة ثم اخترت الصعود إلى الغرفة، وأنا أكاد أحسّ بالاختناق من جراء الاكتئاب وأقول في نفسي: لن يكون خروجي بعد اليوم إلّا في الضرورات القصوى... وزادني تعاسةً عودة الآلام إلى الجانب الأيسر بسبب الضرسين اللعينين... وما لبث أن اندمجت في العمل فنسيت كل شيء... ها هو ذا دائي ودوائي!!

وثمة قلق جديد انبجس صبيحة اليوم: هناك مسافر موصلي بعد يومين وأن بإمكاني أن أنسق معه للعودة مباشرة إلى الموصل... ولقد ترددت طويلاً في الاتصال به ولكني لم أستطع حسم الموقف... وقلت في نفسي: ماذا لو لم يخبرني دكتور محمد زكي عن هذا الرجل، ألم أكن قد ارتحت لقراري بالعودة بالجت إلى بغداد؟!

وقلق ثالث: اللقاء فجأة بطنطاوي والأمراني ألزمني بحضور الأمسية غداً في بيت مأمون جرار، فماذا لو تم فتح إضبارة برنامج اقرأ واكتشفت ما يسوؤني ويعيدني إلى دائرة الندم وشدّ الأعصاب؟!

السبت: على رشقة الكآبة إياها أفتح عيني وأقول في نفسي: هل سأقدر على استعادة فرحي القديم بمجرد رجوعي إلى الموصل والتخفف من أوهاق السفر ومطالبه التي لا تنتهي؟ أتناول فطوراً كئيباً في مطعم الفندق رغم تنوّع البوفيه وعروضه المغرية... القلق يحاصرني خشية ألّا يتمكن العوضي من الوصول إلى الفندق بسبب عدم إعطائه مكانه بدقة... لكنه يجيء ونتجه إلى المستشفى الإسلامي، حيث أجري فحوصات الدم فأعود مع العوضي وأفارقه إلى دار البشير للاطلاع على كتبهم وحل المعلقات مع جمال عمرو... انتقيت مجموعة من الكتب وتمكنت من تصفية كافة المعلقات، وغادرت المكان وأنا أحسّ بقدر من الارتياح... وما لبث العوضي أن جاءني لكي نتجه والعاملون في

المعهد إلى مطعم القدس لتناول غداء طيب ثم نقفل عائدين، لكي أنكب على العمل الساعات الطوال وأنجز العديد من المطالب...

وفجأة دخل عليَّ ماجد وأعلمني بأن هناك جهة أخرى يمكن أن أشغّل فيها نقودي بنسبة أعلى بكثير من الأرباح... فأقول في نفسي: يا سبحان الله!.. هل كتب عليَّ القلق والحيرة حتى في هذه المسائل؟ وكيف برز هذا الرجل من طيّ الخفاء؟ وما لبث أن جاء وأعلمني أنه ذو خبرة واسعة، وأن بمقدوره تقديم أرباح مجزية شهراً بشهر. فما زادني إلّا حيرةً وتردداً... ثم غادر المكان لكي ما تلبث الجماعة الأولى أن تجيء: ثلاثة من الشباب ذوي الخبرة الذين تنضح وجوههم بشراً وإيماناً... فاطمأننت إليهم وبعد حوار طويل أحسست أن وضع مقدراتي في أيديهم أفضل، وإن كنت أميل إلى توزيع المبلغ على الجهتين. وأعلمت ماجد بأني سأتخذ قراري خلال يومين إن شاء الله... والمهم هو سحب إيداعاتي في البنك والإعراض عن ربح قد لا يكون حلالاً، فالحمد لله...

وراحت متاعب الأضراس اليسرى ووجع الرأس تتناوشني بين الحين والحين فتصيبني بالاكتئاب... وغادرت المكان بمعية العوضي ليوصلني إلى الفندق، لكي ما ألبث أن أتلقى من الاستعلامات فاكساً من القناة التي تجري لقاءها معنا يوم غدٍ... وتناوش الاكتئاب قلبي خشية ألّا يكون أصحاب البرنامج قد أخذوا بتحفظاتي، ولكن الله سلّم ووجدتني قبالة العنوان المقترح البديل: فقه العصر...

جاءني ابن دكتور مأمون جرار لكي يقلني إلى دار أبيه، حيث الدعوة على العشاء وقضاء أمسية طيبة مع حشد من الأدباء... كانت متاعبي مع الرأس والأسنان لا تزال تحاصرني، ودخلت البيت وسط غلالة من الاكتئاب، وكان دكتور بهيج ملا حويش ضمن المدعوين، حيث تم الحديث عن الموسوعة العلمية التي شاركت فيها، ووعد بإرسال دورتين منها إحداهما لي والأخرى للجامعة... وتناولنا عشاءً شهياً ثم ساقتنا الأحاديث الطيبة في كل اتجاه.

وما لبثنا أن غادرنا المكان لكي أوّدع الأصدقاء وسط مشاعر مترعة بالود

والوفاء، وتقويمات سخية مترعة هي الأخرى وداً ووفاءً... ومن عجب أنني دخلت غرفتي فرحاً منسجماً على خلاف العادة، ثم ما لبثت أن غرقت في العمل حتى ساعة متأخرة من الليل...

الأحد ٥/١٦: عدت قبل قليل من تسجيل حلقة التلفزيون العربي حول فقه العصر... عدت فرحاً سعيداً كيوم أمس، فقد اجتزت تجربة حسبت لها الكثير من الحسابات وقد جاءت سليمة والحمد لله بمضامينها وأمورها الإجرائية وانسجام المتحاورين وتقييم المشاركين... تلقيت في الاستعلامات مكالمة مطولة من هشام، ثم خرجت لترتيب الحقائب، والتهام الكيك الإنكليزي اللذيذ، وإتمام هذه المذكرات، وتلّقي وخزات الألم في الفك العلوي الأيسر بسبب متاعب الأضراس التي استمرت تنقلني بين الجحيم والنعيم في هدوئها وثورتها...

استيقظت صباح اليوم على رشقة الكآبة إياها وهرعت إلى الصالة بسبب مجيء العوضي قبل الموعد بنصف ساعة، ولم أتناول الفطور بسبب ضيق الوقت. وانطلقنا إلى المستشفى الإسلامي لاستلام فحوصات الدم، ولأخذ أشعة للأضراس لم تتحقق إلّا بعد انتظار طويل، وكانت غاية في الوضوح بسبب حداثة الأجهزة التي حرمنا منها في العراق... وقال الطبيب إن الضرسين العلويين ربما تم حشوهما بشكل خاطئ، وأن هناك إصابات أخرى في أنحاء الفكين، وحاولت أن أقنعه بإعادة الحفر من جديد لكنه اعتذر بسبب زحمة عمله... لم يكن أمامي سوى يوم واحد فآثرت ترك الموضوع لحين عودتي إلى الموصل فلعلّ الأشعة الدقيقة تعين أطباءها على اكتشاف سبب المتاعب... واتجهنا إلى المعهد لإنجاز بعض المسائل واللقاء مع العلاونة حول عدد من المسائل التاريخية...

وبعد صلاة الظهر عدت بمعيته إلى الفندق لكي أتناول غداءً مقرفاً من الطاووق كدت أن أتقيأ بسببه، الأمر الذي ذكرني بوجبات زهرة الشرق ومطاعم فنادق الدرجة الأولى... وصعدت إلى الغرفة لتناول قيلولة استعداداً للّقاء التلفازي ولكن النوم استعصى عليَّ... وما لبثت أن غادرت المنام في

حالة من القلق والاكتئاب، وقارنت الحال بين ما أنا عليه الآن وبين وضعي في الموصل، فاجتاحني الحنين وقلت في نفسي: مهلاً فغداً يوم السفر... وتذكرت كيف أن رحلتي ستتأخر لثلاث ساعات بسبب عدم وجود حافلة للساعة الثالثة... فقلت لا بأس فما هو إلّا يوم واحد وأجتاز رحلة التناقضات...

كان عليَّ أن أحضّر للقاء التلفزيوني... شربت كوبين من الشاي... وركزت في ذهني بعض المرتكزات حول الأجوبة، ثم خرجت لكي أتخطى إلى الجامع القريب وأنا أعاني من الاكتئاب... وعدت بعد الصلاة لكي ما يلبث السائق أن يقلّني إلى الاستديو، حيث تم تسجيل الحلقة بأقصى درجات الانسجام فيما لم أكن أتوقعه على الإطلاق!!

[٢٩]

رحلة عام ٢٠٠١ م إلى فرنسا وإسبانيا

الأربعاء ٦/٢٧ : المغادرة فجراً ـ إشكالية الجواز ـ برودة الطائرة ـ الوصول ـ الاستقبال ـ بيت دكتور زهير عميد كلية الدراسات الإسلامية ـ شاتو شينون.

الخميس: التعرف على الكلية وأساتذتها ـ لقاء مع عدد من الطلبة وتقييم (المدخل إلى التاريخ) ـ لقاء آخر في غرفة دكتورة خديجة ـ جولة في الغابات ـ الانطلاق عصراً إلى ستراسبورغ ـ الانسجام ـ الوصول والانتظار على الـ T.V.

الجمعة: جولة رائعة في ستراسبورغ: الشوارع والقناة والتراث ـ انزعاج من تصرف سائق المركب ـ الصلاة ـ حضور مراسيم الزواج في البلدية - غداء في بيت العريس ـ موكب العرس ـ الحديقة والصور والمشاركة ـ قاعة الاحتفالات والأمسية الفلسطينية والمشاركة في احتفاليات الزواج ـ عشاء في المطعم التركي.

السبت: جلسة في صالة الفندق ـ جولة في الشوارع المحيطة والمكتبة

العربية ــ غداء في سرداب مطعم مغربي بمعية المنشد غسان وزميله المغربي التاجر في إيطاليا ــ دعوة لزيارة إيطاليا ــ الفندق ــ المسجد التركي ــ عشاء ــ احتفالية الزواج والمشاركة.

الأحد: التحوّل إلى فندق آخر ــ جولة رائعة في أطراف ستراسبورغ وعبور إلى الجانب الألماني ــ بقايا ماجينو ــ كافتيريا ــ غداء في السرداب المغربي ــ لقاء وحوار خصب مع عدد من المعنيين ــ جولة ليلية رائعة على الأقدام في ستراسبورغ ــ وعشاء طيب (بيتزا) في المطعم المغربي بصحبة عدد من الأصدقاء... التقاط صور تذكارية... موجات من الاكتئاب بسبب متاعبي مع الأضراس اليسرى...

الاثنين: العودة إلى شاتو شينون ــ هدية لابنة زهير ــ غداء على الطريق ــ جولة في الغابات ــ العشاء ــ المكتبة... مكالمة البيت... ندم على ضياع فرصة الاتصال الهاتفي للدكتور حمدي، وتأخير موعد الفحوصات إلى السبت القادم...

الثلاثاء: الاستيقاظ متأخراً... إنجاز طيب في ملفّ مناهج الكلية ــ غداء ــ قيلولة ــ جولات في الغابات ــ العشاء ــ جلسة طيبة في المكتب عبر تصفح الكتب...

الأربعاء: الاستيقاظ متأخراً... متابعة ملف المناهج... الغداء... القيلولة... جولات طيبة في الغابات... العشاء... ساعات ممتعة في المكتبة...

الخميس: استكمال جانب من الملف... الغداء... قيلولة... رياضة مع دكتور زهير وموظف مغربي في ملعب المدينة... المكتبة...

الجمعة: إعداد الحقيبة للسفر إلى باريس... دقائق من الشدّ النفسي بسبب ضياع أوراق يحيى الذي سيصحبني... واحتمال تأجيل السفرة وموعد الفحوصات... فرحة العثور عليها... الانطلاق في جو ماطر... ركوب القطار في رحلة طيبة... ساعة من الشدّ النفسي بسبب عدم عثورنا على الفندق... الوصول أخيراً... جولة في الشارع المجاور... الانتظار على الــ T.V.

السبت: الاستيقاظ القلق بسبب موعد الفحوصات... سليم يصطحبنا إلى المستشفى... شيء من القلق خشية ألّا نعثر عليها... الوصول وإجراء فحوصات التحاليل... فحوصات التخطيط والإيكو والاتفاق على موعد آخر... اختناق في الطريق والجوع يفترسني بسبب التوقف عن الطعام... غداء وأحاديث طيبة في بيت سليم... الفندق... رياضة المشي في ممر الفندق واستعادة الانسجام... محاضرة وحوار مع مجموعة كبيرة من المعنيين (في الفقه الحضاري)... عشاء وعودة إلى الفندق... ورياضة المشي مرةً أخرى...

الأحد: جولة رائعة مع يحيى في شارع الشانزليزيه وغداء طيب في مطعم على الرصيف... عودة إلى محطة القطار حيث يأخذنا صديق إلى الاتحاد للتعرف واصطحاب دكتور زهير... أمسية وعشاء طيب في بيت محمد بن سالم إلى ساعة متأخرة من الليل...

الاثنين: يوم كامل من المناقشات في مناهج المعهد، في صالة الكلية في باريس... ساعات من شدّ الأعصاب بانتظار مكالمة دكتور حمدي للذهاب إلى المستشفى واستكمال الفحوص... أخيراً يفاجئني بعدم حضور الطبيب وبتأجيل الموعد إلى الأربعاء عصراً... قلق وتخوف من بقائي وحيداً في باريس خشية الضياع هنا وهناك... محاضرة خصبة في الاتحاد مع نخبة من المثقفين وحوار خصب... فرحة وارتياح لفكرة زهير بالعودة بصحبته غداً إلى شاتو شينون ثم التوجه إلى باريس يوم الأربعاء... دعوته على العشاء في مطعم تركي... التحول إلى فندق كليمات...

الثلاثاء: فطور غني في المطعم... لقاء مع تاجر في أحد بوفيهات الشانزليزيه... اللقاء صدفة لدى المغادرة بالملكاوي... ارتياح عميق لتأكيده على ضرورة قيام المعهد بترجمة كتابي في ماليزيا إلى الإنكليزية... جولة في باريس والعودة إلى شاتو شينون... العشاء... وساعات من الكآبة والقلق بسبب عدم وضوح تفاصيل رحلتي يوم غد...

الأربعاء ٧/١١: الاستيقاظ القلق الكئيب في جو ماطر... الارتياح لتأمين

نقودي في الكلية، واتضاح معالم الرحلة، حيث سيقلني يحيى إلى المحطة ويستقبلني سليم في باريس لكي يأخذني إلى المستشفى... رحلة طيبة... العثور بسهولة على سليم والذهاب إلى المستشفى ثلاث ساعات من الانتظار... لقاء دكتور يسار التمر... بدء الفحوصات وشدّ الأعصاب بسبب عدم قدرتي على التفاهم بالفرنسية... فحوصات الجهد والدوبلر والأشعة... ارتياح عميق للنتائج الإيجابية للفحوصات بصدد القلب... موعد يوم الجمعة لتسلّم النتائج... الأخ الأزهر يقلّني بسيارته إلى الفندق... دوّامة من التخبط بسبب عدم استكمال الحجز في فندق كليمات... الأزهر يعرض المبيت لدى أحد أصدقائه...

الموافقة بعد تردد ثم إحساس بالاكتئاب... مكالمة من أحد أصدقاء غازي تنقذ الموقف بأنه قد تم الحجز في فندق اتياب... غداء في مطعم متواضع... التوجه إلى الفندق وتبيّن ألّا حجز هناك... أضطر لدفع المبلغ... وأرتاح قليلاً... التوجه إلى ندوة جمال البنّا البائسة... القلق يحاصرني بسبب عدم تمكني من الاتصال بحمدي بخصوص أشعة المرارة... الحوار يكشف عن وجود عدد من ذوي الأفكار المضادة وإحساس شديد بالضيق... مغادرة المكان لتناول العشاء في مطعم قريب... حمدي يتصل بي بعد عناء شديد لكي يطلب الصوم عن الطعام وشخصاً ذا معرفة بباريس لإعطائه عنوان طبيب المرارة... التوقف عن الأكل رغم الجوع... حيرة قاسية بصدد العثور على من يعينني على العنوان... ارتياح لإقناع المكني... العودة مشياً إلى الفندق...

الخميس: التوجه صباحاً إلى العيادة بعد رحلة في السيارة... صعوبة العثور على موقف للسيارة... المشي طويلاً إلى العيادة... انتظار أكثر من ساعة... ثم بدء الكشف وارتياح عميق لتحول الحصى إلى أماكن أخرى، وتأكيد الطبيب على عدم ضرورة المداخلة الجراحية... ودعوة المكني على الغداء... المكني يدعو زوجته... غداء من السمك البائس يكلفني ٢٥٠ فرانك... ولكني كنت قد وضعت في جيبي ٨٠٠ فرانك بسبب إلحاح المكني على دفع تكاليف السونر! التوجه إلى الفندق... قيلولة سريعة... الخروج عصراً في واحدة من أجمل حلقات رحلتي

هذه... لممارسة التخطي الهادئ والسريع وتناول الشاي وعشاء متواضع من فستق العبيد والموز واليوسفي... جلسة استرخاء رائعة طويلة في صالة الفندق...

الجمعة: قلق بسبب التخوّف من عدم الوصول إلى المستشفى في الموعد المحدد... مكالمة من زهير تطمئنني إلى أنه سيصل في الوقت المناسب... لقاء صحفي مع المستيري للمجلة التي يشرف عليها... حوار خصب رغم الشدّ النفسي بسبب تأخر زهير والندم على عدم الذهاب بالتاكسي مع المستيري... وصول زهير والتوجه إلى المستشفى... شيء من الانتظار ثم مقابلة الطبيب، الذي يؤكد ألا علاقة للحالة بالقلب وأنه يعمل بشكل جيد والحمد لله، وأن المتاعب تتمركز في سوفان الرقبة والانزلاق الغضروفي... ورغم تحذيره إياي من احتمالات المستقبل الصعبة مع الفقرات وضرورة مراجعة طبيب مختص والعمل بسبل الرعاية اللازمة؛ فإنني أحسست بفرحة طاغية للنتائج الطيبة من جهة، ولتحرّري من المتابعات التي افترست الأشهر الطوال من جهة أخرى...

دكتور حمدي يصل كعادته من التوتر وعدم الاستقرار، يتسلم أوراقي على عجل لا أدري لماذا... ثم يؤكد على ضرورة العودة إلى باريس عبر رحلة إسبانيا لمتابعة بقية المعلقات...عبثاً أحاول إقناعه... جبهة جديدة من القلق يفتحها عليَّ بعد أن أقفلت الأبواب عليه... دعوة زهير والعرسان لتناول الغداء... غداء طيب في أحد مطاعم الشانزليزيه لولا قلقي بسبب عدم وجود النقود الكافية معي والانزعاج لتصرف مدير المطعم... وضرورة شراء حقيبة نسائية للعروس... تمنعني جميعاً من الاستمتاع بالأجواء الماطرة ونحن نجلس في مقهى أنيق على الرصيف... أداء الصلاة في الهولدي إن... ارتياح لشراء حقيبة مناسبة للعروس... جلسة طيبة أخرى في مقهى حيث المطر الغزير... التوجه إلى بيت بن سالم وجلسة طيبة وعشاء لذيذ يعكره عدم الجوع والأكل بدون شهية... العودة إلى الفندق ومكالمة دكتور حمدي الذي لم يأت بالأوراق فكأنه يلزمني بالعودة كرةً أخرى إلى باريس... النوم في ساعة متأخرة...

السبت: تناول الفطور مع عدد من الأصدقاء في صالة الفندق... لقاء مع

مدير مكتبة السلام ومعاونه في باريس، حيث الاتفاق على المسائل المتعلقة بترجمة بعض أعمالي إلى الفرنسية... داعية في إيطاليا يعرض عليَّ دعوته لزيارة إيطاليا... التوجه في جو ماطر إلى الكلية... الجلوس في المكتبة واستغلال الفرصة لتدوين المذكرات وتصفية العديد من المعلقات... نسيت أن أذكر بأني يوم أمس تمكنت من تصفية المعلقات المالية مع دكتور زهير شكر، عميد الكلية، وتلقيت منه تأكيداً بزيارات متكررة للكلية مدة كل منها شهرين فقط، وهي المدة التي أحلم بها، فحمداً لله...

تناول الغداء مع إدارة وأساتذة المعهد في كلية باريس... وتقويمات سخية حول أعمالي... وصور تذكارية... ودعوات لزيارة سويسرا وإنكلترا... وإحساس غامر بالتحقق... ركوب المترو مع صهر زهير وزوجته... جولة ممتعة على حافات السين والحيّ اللاتيني والسان جرمان والمكتبات التراثية الشعبية المطلة على السين... جلسة طويلة في كازينو لتناول الشاي والمرطبات... استئناف التجوال ومشاهدة كنيسة نوتردام... انتظار زهير في كازينو بجوار نافورة السان... عشاء مع زهير والعروسين ومدير المعهد في مطعم لبناني أنيق... شيء من القلق بسبب عدم قدرتي على تنفيذ موعدي مع دكتور حمدي لتصفية المعلقات الطبية... العودة إلى فندق آخر بعد انتظار طويل للمترو...

الأحد ٧/١٥: فرح وانشراح لم أذق طعمهما منذ أمد بعيد، ربما لتخلّصي من جلّ منابع القلق والمطالب التي افترستني منذ أكثر من عام وحتى يوم أمس... ربما لانطلاقنا إلى إسبانيا لحضور المجلس العلمي للكلية... انطلاق القطار في رحلة ممتعة وأجواء ماطرة... جلسة في كازينو بانتظار وصول سيارة المدرّسين التي ستقلنا إلى فلنسية... الانطلاق في رحلة رائعة إلى إسبانيا... غداء بوفية طيب على الطريق... الوصول مساءً والاستقرار في فندق فخم... شيء من عدم الارتياح لوضع كل مدعوَّيْن في غرفة واحدة... الذهاب إلى مقرّ مسجد فلنسية، حيث ستعقد الجلسات صباح الغد وحيث تناولنا الطعام... العودة إلى الفندق...

الاثنين ٧/١٦: بوفية إفطار رائع في بهو الفندق... الذهاب إلى المسجد

وبدء الجلسة الأولى... طلب إلقاء محاضرة وتأجيلها لليوم التالي... المشاركة الخصبة في مناقشات المناهج وعرض محكم لملاحظاتي بخصوص التاريخ والحضارة والسيرة... الغداء... وقيلولة سريعة في الفندق ثم عودة للمناقشات... وصول القرضاوي مساءً... استئناف المناقشات بعد المغرب ثم تناول العشاء وحوار سريع مع القرضاوي... جولة رائعة ليلاً في أحياء فلنسية التراثية، وتداعيات بخصوص مشاهدة آثار الآباء والأجداد... جلسة طيبة في إحدى الكازينوات لتناول الآيس كريم وغيره... العودة إلى الفندق...

الثلاثاء: الفطور العامر... استئناف المناقشات... حضور القرضاوي والمولوي... عرض مركّز آخر لمرئياتي بخصوص التاريخ والحضارة والسيرة... قبول حسن من الحضور وعلى رأسهم القرضاوي... موقف من أحد مدرّسي الكلية لمست فيه خبثاً وكدّر عليَّ انسجامي بعض الشيء... الغداء... والقيلولة السريعة... ثم العودة للمناقشات... محاضرة بعد صلاة المغرب عن الإسلام والغرب وفّقني الله ﷻ فيها بفضل منه... العشاء وجلسة في صالة الفندق... وجولة طيبة على حافة البحر المتوسط ثم النوم في ساعة متأخرة...

الأربعاء: فشل محاولة زيارة غرناطة وقرطبة بسبب اعتذار أحد المدرّسين الذين سيتولون قيادة السيارة لارتباطه بمجلس الإفتاء وبقائه في فلنسية... إحساس يتراوح بين الندم على ضياع الفرصة... فرصة العمر... والفرح الخفي لتحرّري من رحلة استثنائية قد تفترسني فيها الهموم فتفقدني أي إحساس بالمتعة على الإطلاق... وداع الأصدقاء بحرارة... والانطلاق بالسيارة في طريق العودة إلى فرنسا عبر رحلة طيبة ومتعبة في آن... بسبب عدم مبيتنا في أحد الفنادق ومواصلة السفر حتى ساعة متأخرة من الليل... وبسبب عدم العثور على مطعم مناسب لتناول العشاء... هذا إلى ما عانيته من متاعب في الساقين بسبب الجلوس الطويل...

الخميس: الوصول في الثانية... ترتيب الأغراض... نومة عميقة ومتقطعة حتى الحادية عشرة صباحاً... التوجه ظهراً إلى الكلية لتناول الغداء... تقييم

سخي من أحد المختصّين المتفوّقين في القراءات (الدكتور أيمن سويد)... عرض من صهر زهير بزيارة متحف هدايا متيران عصراً... لكن ما وضعني في دائرة التعاسة خلال زيارة المتحف عودة ما أسميه بالحالة الإماراتية التي عانيت منها كثيراً: آلام شديدة في الساق الأيسر... وضيق في التنفس... ووجع في الرأس... وشيء من الإحساس بالغثيان... ولم يكفَّ عني الحصار إلّا بعد العودة، والانطلاق ثانية لرياضة المشي اليومية عبر الغابات، حيث أخلو إلى نفسي وأستعيد توازني...

أعود في السابعة لتناول العشاء بمعية زهير وعدد من الضيوف، حيث أتلقى تقويمات سخية... وحيث يتصدى لسعادتي هذه المرة منشاران آخران، متاعبي مع الجانب الأيمن للأضراس... وحفنة من القلق بسبب بعض المطالب المعلّقة مع الدكتور حمدي في باريس بخصوص المراجعات الصحية... وصعوبة التوفيق بخصوص موعد مناسب خاصةً أن زهير سيغادر الكلية بعد يومين في رحلة إلى سويسرا... وأقول في نفسي محاولاً تجاوز ركام القلق والغم: لا بأس... فإن الحلقة تضيق... والأيام تقترب ولا بدّ لكل شيء من نهاية، وها هي نهاية أكثر من عام مترع بحلقات الهموم والمشاكل والمتاعب لم أر مثيلاً لها في حياتي... هي ها هي ذي توشك على الانتهاء بفضل من الله بعد أيام قلائل، ولعلّي بعدها أجد نفسي في الحالة التي طالما حلمت بها بعيداً عن القلق والشدّ والاكتئاب... وأستيقظ صباح كل يوم على الانشراح والفرح الضائع اللذين افتقدتهما منذ زمن بعيد...

أتجه إلى المكتبة لتدوين هذه المذكرات فأحسّ بقدر من التخفف الجميل رغم ظلال من الكآبة والقلق وسط ظروف كان يتوجب أن تضعني في قلب السعادة... ولكن؟!

أُعلم زهيراً بألّا ضرورة لتنفيذ فكرته بزيارة بواتيه للاطلاع على عروضها التاريخية بخصوص المعركة الشهيرة... ولكنه يصرّ فأستسلم على مضض...

أتصل بالدكتور حمدي ـ بعد قلق وتردد ـ فلا تفتح الهواتف عليَّ، ثم فجأة أسمع صوته وتكون مكالمة طويلة يؤكد لي فيها ضرورة الحضور إلى

باريس ظهيرة الثلاثاء لمراجعة طبيب مختص، ثم بعدئذ إجراء المقطعية في اليوم التالي. وأتوجه إليه بعدة أسئلة أتلقى عليها إجابات طيبة وأقتنع بفكرة الذهاب في اليوم المذكور وأحسّ وأنا أحلحل العقدة الأخيرة إن شاء الله في عام القلق والعذاب هذا بتخفف كبير... ولا يبقى سوى إقناع زهير بالأمر... والحمد لله أولاً وآخراً...

الجمعة ٧/٢٠: أكثر من ساعة بانتظار مكالمة من دكتور حمدي لترتيب أمور السفر إلى باريس ومراجعات الأطباء... ولكن دون جدوى... أعتذر عن دعوة غداء في بيت زهير بسبب صلاة الجمعة... الذهاب مع صديقين إلى أحد مناحل شاتو شينون لشراء العسل... جلسة في غرفة دكتور زهير أصفّي معه خلالها المعلّقات المالية، وأقنعه باصطحاب يحيى معي إلى باريس لتجاوز تعقيدات السفر لوحدي، وأحسّ بأنني قد أزحت عن صدري همّاً كبيراً... فها أنا قد ضمنت رفيق سفر سيذلّل أمامي كل المصاعب في باريس ويوصلني إلى الأماكن المطلوبة بإذن الله... ويزيدني سعادةً أن زهيراً يعلمني بوصول فاكس من دكتور حمدي يؤكد فيه الحجز لدى أحد الأطباء ليوم الثلاثاء، وضرورة الحضور هناك الساعة الرابعة عصر الثلاثاء...

أغادر المكان لأمارس جولة المشي السريع وأنا أكاد أطير نشوةً وسعادةً... ها هي ذي العقدة الأخيرة تنحّل بتوفيق من الله، وما هي إلّا أيام قلائل وأجد نفسي في الموصل بعد غياب طويل فالحمد لله... ويزيدني سعادةً أني أنجز في مكتبة الكلية العديد من المعلّقات الخاصة بمناهج الكلية، ثم ألقي نظرة على صفوف الكتب هناك، حيث متعة التصفّح وتداعي الذكريات... ثم أعود إلى الشقة لكي أطالع حتى ساعة متأخرة من الليل...

السبت: جلسة طيبة لتناول الفطور مع عبد الملك القادم من ستراسبورغ ويحيى...التوجه في العاشرة إلى نيفيل لشراء حذاء للمشي السريع من هناك... جلسة طيبة في حديقة دكتور زهير ثم شراء الحذاء وشيء من القلق خشية ألّا يكون على مقاس قدمي... العودة وتناول الغداء في فناء الكلية مع حشد من

المدرّسين والأصدقاء... حضور جانب من حفل تخريج طلبة التقوية في القرآن الكريم... التوجه مع يحيى وعبد الملك وعدد من منتسبي الكلية إلى بحيرة في المنطقة، حيث نقوم بجولة رائعة في مركب يجتاز البحيرة وسط مناظر رائعة تسحر الألباب... ثم التحول لركوب الدرّاجات المائية وللقيام بنزهة أخرى للمتعة وتمرين عضلات الساقين، حيث أحسّ بفضل الله بقدرة لم أكن أتوقعها على ممارسة التمرين حوالي الساعة...

شيء من الانزعاج من تصرّف ثلاثة من الفرنسيين مع يحيى بسبب حجاب إحدى منتسبات الكلية المرافقة لنا... العودة إلى الكلية... تناول العشاء... رشقة من الكآبة بعد صلاة المغرب أتمكن من طردها بجولة تخطي سريع في الشارع الذي يخترق الغابات وسط الظلمة والهدوء واسترجاع الذكريات... التوجه إلى المكتبة لقضاء أكثر من ساعة مع الكتب وأداء الصلاة ثم العودة إلى الشقة للمطالعة ثم النوم...

الأحد: الاستيقاظ متأخراً... حوار في المكتبة مع طالب وطالبة في قضايا التاريخ... غداء مع زميلين وحوار خصب في قضايا الفكر والقرآن والكون... قيلولة ثم التوجه للمكتبة... أحمل قلقي المعهود بخصوص ضرورة إنجاز القضايا المعلّقة... جولة المشي وعشاء... العودة للعمل وسط دوّامة من القلق بسبب ضرورة الاتصال بالدكتور حمدي لإعطائي عنوان الطبيب في باريس، وبالموصل لإعلام الأسرة بموعد عودتي... أخفق في الاثنتين بعد محاولات عديدة... وأقول في نفسي إن العمل بعيداً عن القلق متعة بالغة مهما كانت كثافته وهو أمرٌ نادراً ما حظيت به... وأقول كذلك ها هي ذي الحلقة الأخيرة من سنة العذاب ولا بدّ لكل شيء من نهاية... أستعرض خطوطاً أخرى من كتب المكتبة دون أي إحساس بالمتعة... ثم أتجه إلى الشقة لكي أطالع حتى ساعة متأخرة، ثم أسلم نفسي لنوم عميق...

الاثنين: أستيقظ متأخراً على قدر كبير من القلق خشية ألّا أتمكن من الاتصال بالدكتور حمدي، أو ألّا يكون قد أرسل الفاكس المنتظر حول

الموضوع... أحسّ بسعادة غامرة وسكرتيرة العميد تعلمني بوصول الفاكس... أنطلق لتصفية جملة من المعلّقات... وأجلس إلى أحد المدرّسين في الكلية حيث يدور حوار طيب... ثم نتناول الغداء بمعية أحد العاملين في الكلية... لقاء آخر وحوار خصب مع زكريا... عودة إلى الشقة وإنجاز جملة من الأعمال... التوجه إلى المكتبة لاستكمال المطالب المتبقية وأداء صلاة العصر... ثم تناول العشاء بشهية...

لقاء صحفي لمجلة (الأوربية) حول المرأة المسلمة وشهادة التاريخ... جلسة نكات مع الشيخ أيمن... جولة مشي سريع وإحساس غامر بالسعادة لتجاوز كل منابع القلق وإنجاز كل المعلّقات، وقرب السفر إلى الأهل الذين أجريت معهم صباح اليوم مكالمة هاتفية زادتني ارتياحاً... جلسة أخيرة في المكتبة بانتظار صلاة العشاء... ترتيب الحقائب... ثم النوم بانتظار صباح الثلاثاء لتناول الفطور مع صهر دكتور زهير والانطلاق إلى نيفيل لتوديع العميد ومنها إلى باريس، حيث الحلقة الأخيرة من المتابعات الطبية إن شاء الله...

كان عليَّ والأخ يحيى المرافق لي أن نركب أكثر من مترو ونحن نحمل الحقائب الثقيلة للوصول إلى طبيب الفقرات في الموعد المناسب... تناولنا غداءً سريعاً في محطة القطار، ثم انطلقنا إلى هدفنا وعثرنا على المكان بفضل الله وخبرة يحيى... ولحسن الحظ استطاع دكتور حمدي أن يلحق بنا في الوقت المناسب... وتم الفحص وفك فقرات الرقبة والغضروفية وتلقي التعليمات... وأحسست بارتياح عميق لإلغاء موعد آخر مع طبيب الأشعة يوم غد بسبب عدم ضرورته... غادرنا المكان لكي يوصلنا دكتور حمدي إلى أقرب محطة للمترو... اجتزنا المحطة بصعوبة بسبب الحقائب... وكدت أتعرض لمحاولة نشل قاسية كادت تأتي على محمولاتي النقدية التي تبلغ أربعة آلاف دولار بفضل الله ﷻ وحذري الشديد...

وجدنا صعوبة بالغة في العثور على المترو الآخر الذي يقلنا إلى الفندق... واجتزنا دقائق من شد الأعصاب بسبب ضيق الوقت وضرورة الحذر من

محاولات النشل... ثم لما غادرناه كان علينا أن نقطع بالحقائب المزعجة مسافة متطاولة مشياً على الأقدام للحاق بالفندق قبل أن يقفل الأبواب... وقد هيّج ذلك آلاماً مبرحة في الفقرات (وقد أحسست بندم مبرّح في اليوم التالي؛ عندما أعلمني دكتور حمدي أن على المرء بعد فك الفقرات ألّا يحمل ثقلاً ولا يتعرض لأي جهد جسدي، ولكن توجيهاته جاءت بعد فوات الأوان).

استرحنا في الفندق بعض الوقت، وخرجنا لتناول العشاء والتجوال قليلاً في الشوارع المحيطة ثم ما لبثنا أن عدنا لننام...

الأربعاء: استيقظت صباحاً على قدر كبير من الارتياح، وخرجت ويحيى بعد الفطور للتوجه بالمترو إلى مكتبة السلام لقضاء الوقت الطويل قبيل موعد الطائرة.

وما لبث دكتور حمدي أن أتصل بنا هاتفياً بعد أن أعياني العثور عليه ليلة أمس وصباح اليوم... وقال بأنه وزوجته حميدة قطب في طريقهما إلى الفندق، فعدنا مسرعين... كنت أحسّ بارتياح عميق لإعطائي فرصة طيبة لتصفية كل المعلقات المتبقية معه... وازددت ارتياحاً عندما أعلمني بأنه سيوصلني إلى المطار... وبعد جلسة طيبة مسترخية هناك ودعت الضيوف واتجهت إلى الطائرة، لكي تقلّني عبر رحلة مريحة إلى دبي، ولكي أجد في استقبالي هناك عبد الحكيم وأبو همام...

الخميس ٧/٢٦: رتبت أمر سفري من عمان إلى الموصل مع أحد السواق بواسطة الهاتف، وقضيت عدة ساعات في ترتيب الحقائب دون لحظة من نوم، وقفلت عائداً إلى المطار بصحبة عبد الحكيم وشيرزاد... لكي ما تلبث الطائرة ان تقلّني إلى عمان في رحلة طيبة لولا ضيق النفس... وهناك وجدت السائق في انتظاري لكي يقلّني عبر رحلة طويلة ولكنها ميسرة بحمد الله ﷻ إلى الموصل التي وصلناها في الثالثة ليلاً...

الجمعة ٧/٢٧: كان استقبال الأهل مترعاً بالشوق والحرارة، وكانت لحظات مؤثرة وطيبة، أخذت بعدها حماماً مريحاً وقسطاً من النوم، لكي ما ألبث عبر

أكثر من ثلاثة أسابيع أن أستقبل سيول الضيوف المتدفقة عليَّ صباحاً وعصراً وليلاً... أو أستجيب للعديد من الدعوات... حيث لم يتح لي أن أجلس مع العائلة إلّا قليلاً...

قائمة بالأعمال الكاملة

للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل
وفق تصنيفها الموضوعي

أولاً: الأعمال التاريخية

أ ـ محور المنهج والفلسفة:

١ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ (٥ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

٢ ـ حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ ابن خلدون إسلامياً (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٥ ـ المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٦ ـ دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية (بالاشتراك مع المهندس حسن الرزو) (طبعة واحدة) (دار الرازي ـ عمان).

٧ ـ المنظور التاريخي في فكر سيد قطب (طبعتان) (دار القلم ـ بيروت).

٨ ـ التاريخ والسنن التاريخية في كتابات النورسي (قيد النشر).

٩ ـ مدخل إلى التاريخ الإسلامي (التأصيل الإسلامي للتاريخ) (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي ـ الرباط).

١٠ ـ مدخل إلى الحضارة الإسلامية (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي ـ الرباط).

ب ـ محور السيرة والتراجم:

١١ ـ دراسة في السيرة (١٨ طبعة) (دار النفائس ـ بيروت).

١٢ ـ كتابات معاصرة في السيرة النبوية (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

١٣ ـ ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ عماد الدين زنكي (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ نور الدين محمود: الرجل وتجربته الإسلامية (٣ طبعات) (دار القلم ـ بيروت).

ج ـ محور البحوث والدراسات:

١٦ ـ دراسات تاريخية (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٧ ـ المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي: عصر ولاة السلاجقة في الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٩ ـ الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٠ ـ خطوات في تراث الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢١ ـ محاضرات في التاريخ والحضارة الإسلامية (قيد النشر).

د ـ محور قضايا في التاريخ المعاصر:

٢٢ ـ ملامح مأساتنا في إفريقيا (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٣ ـ لعبة اليمين واليسار (٥ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٤ ـ أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ مقالات إسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٦ ـ الرؤية الآن: في هموم فلسطين والعالم الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٧ ـ أولى ملاحم القرن (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٨ ـ مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٩ ـ أمريكا مرةً أخرى (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ثانياً: الأعمال الفكرية

أ ـ محور المنظور الإسلامي للمعرفة:

١ ـ أصول تشكيل العقل المسلم (حول إعادة تشكيل العقل المسلم) (٥ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢ ـ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ العلم في مواجهة المادية (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ مدخل إلى إسلامية المعرفة (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٥ ـ تهافت العلمانية (٧ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ب ـ محور المنظور الغربي للإسلام:

٦ ـ قالوا عن الإسلام (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٧ ـ القرآن الكريم من منظور غربي (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٨ ـ المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي (طبعتان) (دار الفرقان ـ عمان).

٩ ـ الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٠ ـ نظرة الغرب إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم (طبعة واحدة) (دار النفائس ـ بيروت).

١١ ـ غربيون يتحدثون عن الإسلام (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

ج ـ محور البحوث والدراسات:

١٢ ـ مع القرآن في عالمه الرحيب (٣ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

١٣ ـ حوار في المعمار الكوني: وقضايا إسلامية معاصرة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ رؤية إسلامية في قضايا معاصرة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ مقال في العدل الاجتماعي (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٦ ـ متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٧ ـ كتابات على بوابة المستقبل (بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس) (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ الله أو الطاغوت: مسائل أساسية في التصوّر الإسلامي (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

١٩ ـ رحلة في عالم الكتاب الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٠ ـ محاضرات إسلامية (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢١ ـ أخطاء في حياتنا الإسلامية (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٢ ـ دراسات قرآنية (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

د ـ محور المقالات الإسلامية:

٢٣ ـ آفاق قرآنية (٣ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

٢٤ ـ مؤشرات إسلامية في زمن السرعة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ في الرؤية الإسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٦ ـ في دائرة الضوء (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

٢٧ ـ من النافذة الإسلامية (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

٢٨ ـ العالم ينتظر البديل (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٩ ـ آيات قرآنية تطل على العصر (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣٠ ـ أحاديث نبوية تطل على العصر (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ثالثاً: الأعمال الأدبية

أ ـ محور الدراسات الأدبية والفنية:

١ ـ الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢ ـ فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ الفن والعقيدة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ قراءة في كتابات النورسي: رؤية جمالية (الكلمات) (طبعة واحدة) (دار سوزلر ـ القاهرة).

ب ـ محور التنظير:

٥ ـ في النقد الإسلامي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٦ ـ مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٧ ـ حول استراتيجية الأدب الإسلامي (الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي) (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٨ ـ متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٩ ـ من يوميات الأدب الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ج ـ محور النقد التطبيقي:

١٠ ـ محاولات جديدة في النقد الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١١ ـ في النقد التطبيقي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٢ ـ في النقد التطبيقي الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

د ـ محور الإبداع:

ـ المسرحيات:

١٣ ـ المأسورون (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ الشمس والدنس (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ المغول (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٦ ـ الهمّ الكبير (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٧ ـ التحقيق (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ معجزة في الضفة الغربية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٩ ـ خمس مسرحيات إسلامية ذات فصل واحد (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٠ ـ العبور (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ـ الروايات:

٢١ ـ الإعصار والمئذنة (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٢ ـ السيف والكلمة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٣ ـ مذكرات جندي في جيش الرسول (ﷺ) (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

ـ القصص:

٢٤ ـ كلمة الله (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ رحلة الصعود التي لا نهاية لها (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ـ الشعر:

٢٦ ـ جداول الحب واليقين (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٧ ـ ابتهالات في زمن الغربة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ـ أدب الرحلات:

٢٨ ـ من أدب الرحلات

ـ أدب الحوار:

٢٩ ـ ريبورتاج: حوار في الهموم الإسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣٠ ـ الطريق إلى فلسطين (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

٣١ ـ لقاءات صحفية (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

ـ السيرة الذاتية:

٣٢ ـ السيرة الذاتية:

لا إله إلا أنت (سيرة ذاتية) (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣٣ ـ من مذكرات طالب جامعي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

القسم الأول

رحلتي مع الحياة

الفصل الأوّل: ١٩٤١ ــ ١٩٥٣م ٣٩
الفصل الثاني: ١٩٥٣ ــ ١٩٥٨م ٨١
الفصل الثالث: ١٩٥٨ ــ ١٩٦٢م ١٢١
الفصل الرابع: ١٩٦٢ ــ ١٩٦٨م ١٥١
الفصل الخامس: ١٩٦٨ ــ ١٩٧٧م ١٨١
الفصل السادس: ١٩٧٧ ــ ١٩٨٧م ٢٤٦
الفصل السابع: ١٩٨٧ ــ ٢٠٠٠م ٢٩٦
الفصل الثامن: ٢٠٠٠ ــ ٢٠٠٢م ٣٤٤
الفصل التاسع: ٢٠٠٢ ــ ٢٠٠٥م ٣٨٠
الفصل العاشر: ٢٠٠٥ ــ ٢٠١٠م ٤١٦

القسم الثاني

رحلتي مع الكلمة

الفصل الحادي عشر: حفريات في جذور الرحلة ٤٧١
الفصل الثاني عشر: رحلتي مع الكلمة ٤٩٤
الفصل الثالث عشر: تأملات في الكتابة والإبداع ٥٨١

قناعات خاصة ٥٩٩
الفصل الرابع عشر: رحلتي مع الأسفار ٦٣٤
[١] رحلة عام ١٩٦٣ م إلى سوريا ولبنان ومصر ٦٣٤
[٢] رحلة عام ١٩٦٧ م إلى مصر ٦٣٦
[٣] رحلة عام ١٩٦٨ م إلى مصر ٦٤٠
[٤] رحلة عام ١٩٧٠ م إلى لبنان وسوريا ٦٤٣
[٥] رحلة عام ١٩٧١ م إلى سوريا ولبنان ٦٤٥
[٦] رحلة عام ١٩٧٤ م إلى لبنان وسوريا ٦٤٩
[٧] رحلة عام ١٩٧٦ م إلى الكويت ٦٥٧
[٨] رحلة عام ١٩٧٨ م إلى الأردن ولبنان ٦٦٥
[٩] رحلة عام ١٩٧٩ م إلى قطر ٦٧١
[١٠] رحلة عام ١٩٨٠ م إلى السعودية ٦٧٤
[١١] رحلة عام ١٩٨٠ م إلى الأردن ٦٩٦
[١٢] رحلة عام ١٩٨٠ م الثانية إلى السعودية ٧٠١
[١٣] رحلة عام ١٩٨١ م إلى الإمارات العربية المتحدة ٧٠٥
[١٤] رحلة عام ١٩٨٢ م إلى السعودية ٧١٣
[١٥] رحلة عام ١٩٨٩ م إلى مصر ٧٢٥
[١٦] رحلة عام ١٩٩٠ م إلى السعودية ٧٢٨
[١٧] رحلة عام ١٩٩٠ م إلى إنكلترا وفرنسا ٧٣٦
[١٨] رحلة عام ١٩٩١ م إلى الأردن ٧٤٥
[١٩] رحلة عام ١٩٩٢ م إلى الأردن ٧٥٣
[٢٠] رحلة عام ١٩٩٢ م إلى تركيا ٧٥٧
[٢١] رحلة عام ١٩٩٣ م إلى السودان ٧٦٤
[٢٢] رحلة عام ١٩٩٣ م إلى المغرب ٧٩٣
[٢٣] رحلة عام ١٩٩٥ م إلى قطر ٨٠١

[٢٤] رحلة عام ١٩٩٥ م إلى تركيا ٨١٤
[٢٥] رحلة عام ١٩٩٥ م إلى اليمن ٨٢٣
[٢٦] رحلة عام ١٩٩٧ م إلى الأردن ٨٧١
[٢٧] رحلة عام ١٩٩٧ م إلى ماليزيا ٨٧٩
[٢٨] رحلة عام ١٩٩٩ م إلى الأردن ٩٣٤
[٢٩] رحلة عام ٢٠٠١ م إلى فرنسا وإسبانيا ٩٥٢
قائمة بالأعمال الكاملة للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل وفق تصنيفها
الموضوعي ٩٦٥
أولاً: الأعمال التاريخية ٩٦٥
أ ـ محور المنهج والفلسفة ٩٦٥
ب ـ محور السيرة والتراجم ٩٦٦
ج ـ محور البحوث والدراسات ٩٦٦
د ـ محور قضايا في التاريخ المعاصر ٩٦٦
ثانياً: الأعمال الفكرية ٩٦٧
أ ـ محور المنظور الإسلامي للمعرفة ٩٦٧
ب ـ محور المنظور الغربي للإسلام ٩٦٧
ج ـ محور البحوث والدراسات ٩٦٨
د ـ محور المقالات الإسلامية ٩٦٩
ثالثاً: الأعمال الأدبية ٩٦٩
أ ـ محور الدراسات الأدبية والفنية ٩٦٩
ب ـ محور التنظير ٩٦٦
ج ـ محور النقد التطبيقي ٩٧٠
د ـ محور الإبداع ٩٧٠
فهرس الموضوعات ٩٧٣